

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

اللهم اليك نرغب فيما انت اهله ومظنته ومعروف به ونلتمس منك ما انت واجده وقادر عليه ومامول فيه فهب
بجودك وتجدد لى روح القلب بنور العقل وسكون البال ببصيرة النفس ورخاء العيش بدر الرزق وصلاح
الحال بفايض الخير وصواب القصد بثبات العقد وبلوغ الغاية بصحة العزم ونيل المراد بدوام الصبر وبعد الصيت بجميل السيرة
وتشييع بوضح الطريقة وفاش النعمة برتبة الشكر وسلامة العاقبة بحيازة الفوز واكفنا من اللسان فلتته ومن الهوى فتنته
ومن الشر خطرته ومن الرأى غلطته ومن الظن خبطته ومن الطباع سورته ومن النفس عدوته ومن الامر بغتته ومن
العدو سطوته وجنبنا معاندة الحق ومجانبة الصدق وشراسة الخلق ومنافسة الخلق والغرور بالعلم والبهت بالجهل والانتفاع
باللجاج والاخلاد الى العاجلة والتنزق مع كل ريح واتباع كل ناعق حتى نتمدد بصدر سليمة من الشرك ونفوس بك والسنة
نقية من الهجر ونتوجه اليك بقلوب صافية من الدغل ونفرد لك عبادة بريئة من الرياء خالصة باليقين ونستقيلك من كل عمل
وعسير ونسترجع اليك فى كل قليل وكثير ونحتمل فيك الاذى من كل صغير وكبير حتى ان ملم مسنا من المال والثروة تخفيف عنا
وما رزقنا من الحكمة تشريف لنا حتى نعتقد فيك لم تسد الى عبد من خلقك الاما هو لائق بالاديبك والاما هو اجدى باوفر
الانصباء من عام جودك وسابغ نعمتك وحاضر صنعتك انك انت الله العزيز الحكيم الجواد الكريم الرؤف الرحيم اطال الله
حياتك واعز قدرتك واكرم مثواك وقرن النجح بسعيك وضاعف مناقبه قبلك واوداعه اهالك وذب عنها مايكدرها
عليك لصين همت على خلى فى البدار الى رسمك والشروع الى طاعتك فيما شرت اليه وحضضت عليه من تصنيف شيء
من الفلسفة رويتها لك دخترتها عليك وخطبت بها رغبتك فيها ونشاطك لاقتنائها واغا فقنا شيدا اخر بحر مي معها ومخل
فى طرازها وتقوى عمدها وتدل على شرف جوهرها وانا فتحتها عن مشايخ العصر الذى ادركته والزمان الذى
لحقتهم فيه ووالله ما تكومت على جمعها فى كتاب اهديتها اليك فى اقرب وقت على ايسر وجه لا العبرات هذه الدنيا ولغلاء احوال
اهلها وتقلب ظلالها وافيائها وخبث نجومها وانوائها وقلة يقظة ابائها وابنائها واختلاط رتب باهلها وفساد حال دحال
على المتعلقين بحبلها الخائبين لضرعها الدائبين فى عراقها فقد اصبحنا فى هذه الدار وكانما هى قاع املس او ثرا
اخرس لم يبق من يرضى هديه ويقتبس علمه او يخطب عرفه او يقتفى جوده او يقتدح زنده او يستفاد لفظه او يتوخى
مكانه ويعرف حمده بادب من الاداب عليه ويأنس بحيرة من الهجرة اليه وماذاك الا لتغلل القلوب ودخل الاعراق وخلو قدر
المنية وسلبة لتحقق برفعة مرقبة وسقوط لصيته ورفض السياسة وتتيه بالفحشاء والمنكر ولعمرى ما زالت الدنيا على
سجيتها مذ ربت وعادتها منذ ولدت لكن اشتدت مؤنتها وتضاعفت محنتها اليوم بفقد السائس الصارم وبعدم العابد العالم
وبانقراض صاحب ونكره وتصدق الناس على التعادى والتظالم وتجلجهم وتعدد اسمى فى هذا الخلق غيب لا يعرف مآبه
ولا تقصم بعد لايقه تفيرعيه وتهدى لاحساس البر ومن اجله سقط الاعتراض ووجب التسليم والانقياد وادع هذا
نحو سهم عويل ونصه عن بعض ما اخرجت حاجتك الى هذه الغاية مع تقاضيك بالتعريض والتصريح والملاحظة بالعدة وتعيش
وتلطفك بالتشفيع بعد التشفيع الا ظنى بانه تزيد على تعدك وتبرح بتقاليبك ونبيه وعوارها العينك وتحيه عليها وعلى من
من جلها اصبت من طعنتك وحمئتك وفى المسكوت ابقاك الله مان من هذا كله وليس القلم كاللسان ولا الخط كالبيان
لا سيما ينسجم لا انه سمع بين الناس فهذا واشباهه يقص جناح العزم ويقصر طرف النشاط ويطفى جمر الهمة

ويكذب واد الطمع ويلجلج لسان الرأي الى ان اكل الى بعض من اثق بخلته واستنير بمشورته واستقبل مقاصد امري بما ينبغي ان تأتي عليها الا اهمالا وامهالا لو شركت به ينحو الى مراده ونعلم ان اتمام الامور بشدة الابوة وجمال وزينة وليس في قربي خصال يصح او الشيخ ونقل كلامهم عليك مؤنه ولا مشقة فاحرص لاستطاف شديدة لم يبلغها ذروة الخاصة لم تقع منها في حصيف العامة بل ان لم عنه من لفظ وبناء ووصف وتقريب بعيد وايضاح مشكل لم يحظ من حقيقته الا الى انبهت الطالبه وعليها وقفت الارادة ويخفف عليك ويخفف عنك فما بالامر كل هذه الصعوبة ولا يبلغ كل هذا التبرم وقال ايضا قد علم الصغير والكبير كل انسان يتقسر بهمته وينشق بانفه ويساع بساعده ويسبق الى غايته ويعمل على شاكلته ويجري على قدر علمه ونيته واجتهاده فوهب هذا قوة ولكن بحوله وافقه على نشاطا ولكن ضعيفا فاقبلت على ما عرفتك من حالي في ضيق صدري وفقد انسي وانسداد مذهبي الا انف ما شرد منها وانتظر الى ما انتزعها وارتفع عهدي وطاقتي بتمامها واحلى بوسعي واستطاعتي عطاياها ومن بذل المستجهوده فقد حرم عليك ذمه ومن سعى الى مرادك فقد استحق منك ثوابه هذا في اوان التعارف وفوت التناصف ورجوان لا احيس بين ايادي تخيرك واشتمالك بالكرم على ان شاء الله عز وجل ،

مقابسة

سمعت ابا سليمان المنطقي يقول بالاعتبار تظهر الاسرار وبتقديم الاختبار يصح الاختيار ومن ساء نظره لنفسه قل نصحه لغيره وكما تستطيف الآنية من وسخ ما يجاورها ولا تنسبها ونصوعها خالطها ودنسها التشرب فيها وتستطر اليها وتستحسن وتحفظها ولتكون عينا بها ولا تريدها الا طاهرة نقية مجلوة ومتى لم تجد هكذا لك عنها وكرهتها ونفرت وطرحتها لان طبيعتك لا تساعدك عليها وتقرتك لا تزول منها واباؤك لا يفارقك من اجلها وقشعريرتك لا تذهب من شناعة منظرها وكذلك فاعلم انك لا تصل الى سعادة نفسك وكمال حقيقتك وتصفية ذاتك الا بتنقيتها من درن بدنك وصفائها من كدر جهلك وصرفها عن جماح هواك وفطامها عن ارضاع شهوتك وحسمها عن الضراوة على سوء عادتك وردها عن سلوك الطريق الى هلكتك وتلفك وثبورك واضمحلالك واسعد الناس بها الانسان من نشيم يحس ببعض فقد اهدت لحال نفيسه ودعيت الى غاية شريفة وهيئت لدرجة رفيعة وحليت بحلية رائعة وتوجت بكلمة جامعة تؤذن من ناحية قريبة ،

مقابسة اخرى

هذه مقابسة دارت في مجلس ابي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني في منزله بروزبد الصيمري ابو تحيى ابو الفتح والعروضي ابو محمد المقدسي والقومسي وغلام زحل وكل واحد من هؤلاء امام في شانه وفرد في فنه سوى طائفة دون هؤلاء في الرتبة وهم احيانا يتقدمون فستقطعهم جهدي وارسمه في هذا الموضع وقد كادت تضيع في جملة تعليق كثير ضاع استعصت منه الحسرة والاخرى من حق العلم وحرمة الادب وذمام الحكمة ان يستحل كل شيء دونها ويصبر على كل شديد في تبنيها وتحصيلها ولا تنسب فضيلة الى واحد منهم بعينه لان الكلام بينهم كان يلتف ويلتبس وكانت نبذ هذه والمنسوبة تجري فيه وتفضي عن عنهم بلا ان منه وعدهم ذوي طبايع المختلفة معروف ومن اصحاب التنافس معتاد ولو استتب القول من سائل ومسئول لحكيت الحال مفريا ومسبعا و مصوبا ومصعدا ولكن الامر على ما عرفتك فكن عاذري عند خلل تراه وابيت ان تكون شاكري عند صواب تظفر به ان شاء الله تعالى ، قيل لم خلا علم النجوم من الفايدة والثمرة وليس علم من العلوم كذلك فان الطب ليس على هذا بل النافع والشافي منه والكامل من اهله يقصد بالطب استدامة الصحة اذا الصحة موجودة وصرف العلة اذا كانت العلة عارضة ، وكذلك النحو الذي يقصد به النظر في المعاني وصحة الالفاظ وتوخي الاعراب واعتياد الصواب ومجانبة اللحن على حدود ما في غرايز العرب وطبايعها وسلايقها

وكذلك الفقه الذي قصد به صاحبه اصابة الحكم واقتضاب الفتيا وايجاب الحق ورفع الخلاف وافحام الخصم وحسم
مواد التنازع ورد اهله الى الرضى والتسليم وكذلك الشعر الذي منتهاه قايم في نفس صاحبه ثابت
في قريحته يجيش به صدره ويجود به طبعه يعين عليه ذوقه من مدح مامول وترقيق غزل وهجو مسيء واستنزال
كريم وتوشية لفظ وتحلية وزن وتقريب مراد واحضار خديعة واستمالة غرير وضرب مثل واختراع معنى وانتزاع
تشبيه مع تصرف في الاشعار بعين وفنا بالقوافي ظاهر وكذلك الحساب الذي نفعه ظاهر وحصول حاصله
وفايدته عامة ونتيجته متيقنة وثمرته دانية وعقبه محمود مجد داوه موجود به صحة المعاملة وقامت الدولة و
حرس الملك وجبي المال وامن الغبن وقام الديوان وقوي السلطان وقرت الرعية واستفاضت السيرة واستمرت
القضية هذا الى اسرار فيه عجيبة وغوامض ترجع اليه شريفة وخواص لا تجدها لغيره غريبة وكذلك البلاغة
التي قد علم صاحبها وطالبها ما ينتهي اليه ويقف عليه من تنميق لفظ وتزويق غرض وتغطية مكشوف وتعمية
معروف واحضار بينة واظهار بصيرة واختصار رات وتقابل بات وتالف شارد وتسكين مارد وهداية متحير
وارشاد متلدد واقامة حجة وارادة برهان واستعادة مزيد وتلطيف قول في عتب وتسهيل طريق في
اعتاب وتهنية مسرور وتسلية محزون وتلهية عاشق وتزهيد راغب في نصح عن غرض وحسم مادة مطمع
وقلب حال عن حال حتى يضم بها امور منتشرة وتندمل بها صدور منفطرة وتتسق بها احوال متعاندة
ويستدرك بها حسرات فايته ويخمد نيران ملتهبة وكالصناعات كلها كالهندسة في شرفها والهيئة
في علو رتبتها وهندسة العلوم بعيدة وفوايدها جمة وليس هذا القدر اتيا على حقايقها ولكنه
مشير الى موضع المسالة والبحث عنها فقد وضح لكل ذي حس مفيد وعقل متايد وراي صحيح وذكاء
صريح ان هذه العلوم كثيرة المنافع عامة المصالح حاضرة المرافق وان الناس لو خلوا منها وعروا عنها لتبدد
نظامهم وانقطع قوامهم وكادت انها الكل يد يجاري طول الابد وليس علم النجم كذلك فان صاحبه وان
استقصى وبلغ الحد الاقصى في معرفة الكواكب وتحصيل مسيرها واقترانها ورجوعها ومقابلتها وتربيعها
وتثليثها وتسديسها وضروب حركاتها في مواضعها من بروجها واشكالها ومقاطعها ومطالعها ومشارقها
ومغاربها ومذاهبها حتى اذا حكم اصاب فيه اذا اصاب حقق واذ تحقق جزم واذا جزم حتم فانه لا يستطيع البتة قلب
عن نحس ولا صرف امر الى امر ولا تنقية حال قد دنت ولا تلقى بلية قد كتبت ولا دفع سعادة قد اجنت واظلت
زعمي انه لا يقدر على ان يجعل الاقامة سفرا ولا الهزيمة ظفرا ولا العقد حلا ولا الابرام نقضا ولا الاياس
رجاء ولا الاخفاق دركا ولا العدو صديقا ولا الولي عدوا ولا البعيد قريبا ولا القريب بعيدا وهذا باب
طويل والحديث فيه ذو شجون وكان العالم الحاذق في المتناهي في حقايقه بعد هذا التعب والنصب فقد هذا
تكد ثلث ب وبعد هذه الكلفة الشديدة والمؤونة الغليظة مستسلم للمقادير مستجدي بما ياتي به الليل والنهار
وتعادت حاله مع علمه الكبير وبصيرته الناقدة الحال الجاهل بهذا العلم الذي انقياده كانقياده واعتبار
كاعتباره ولعل توكل الجاهل به احسن من توكل العالم ورجاؤه في الخير المتمنع والشر المتوقى اقوى وارسخ من
رجاء هذا المدل بزيجه وحسابه وتقويمه واصطرلابه قالوا ولهذا روى الصالحون ان الثوري
لقي ماشاء الله فقال له انت تخاف زحل وانا اخاف رب زحل وانت ترجو المشتري وانا ارجو رب المشتري وانت
تغدو بالاستشارة وانا اغدو بالاستخارة فكم بيننا قال ______ وهذا انوشروان وكان من المعظمين
الافاضل يروى عنه انه كان لا يزيغ بالنجوم فقيل له في ذلك فقال صوابه شبيه بالحدس وخطاه شديد على
النفس هكذا ترجم وهو كما ترى قال فتى امتعو هذا الفاضل النحرير والحاذق البصير الى هذا الحد والغاية كان

علمه عاريا من الثمرة خاليا من الفايدة قطا بلا عن النتيجة لاعايدة ولا مرجوع وان امر اولا على ما قررنا واخره
على ما ذكرنا لحري بان لا يشغل الزمان به ولا يوهب العمر له ولا يعار الهم والكد ولا يعاد عليه بجد لا
سببها هذا اذا كانت الاحكام صحيحة ومدركة محققة ومصانة ملحقة ومعروفة محضة ولم يكن
المذهب ما زعم ارباب الكلام والذين يابون تاثير هذه الاجرام العالية في هذه الاجسام السافلة ويقولون
الوسايط والوصايل ويدفعون الفواعل والقوابل فحصلت حفظك الله المسئلة بعد تشذب الكلام
فيها وجمعها جهدي من اولها الى اخرها بطولها وعرضها ودخلها ومغزاها ولا اشك في اطراف زلت تمحي عند
اختلافها واقتباسها وقد تقفت الجواب عنها على وجه انا اجتهد في الاعراب عنها في هذا الموضع بمبلغ وسعي
فاني بين فائتة لا علم لي بها وبين زيادة لا اطمئن من الكلام الا بها وكلتاهما خطة صعبة لي لا
كلف النفس بالعلم وحبها الفاية لكان الاضراب عنها ادب عن العرض واصون للقدر وابعد من
استدعاء اللايمة ممن لعله لو اني بهذا المقدار لكان عندي عظيم المنة حقيقا بالشكر والمحمدة فاول
ما قيل في ضرب هذا الكلام هذه العلوم والمعارف كلها من آثار هذه الاجرام العلوية وسهام الخواطر
السريعة والبطيئة والمتوسطة على اشكال صحيحة ذاتية واسباب على الطبيعة جارية ثم رجع الى الجواب فقال
قايل عن هذه المسئلة على هذه التهويل جوابان مختلفان من وجهين مختلفين احدهما هو زجر عن النظر فيه
لئلا يكون هذا الانسان مع ضعف مخيلته واضطراب غريزته والتفات طينته وانبتات مربته
عن ربه بيانا متكبرا على عباده ظانا بانه ماثل في شانه قائم بجده وقدرته وحوله وقوته وتشهيره
وتقليصه وتحييره وتعريبه فان هذا النمط يحجز الانسان عن الخشوع لخالقه والاذعان لربه ويبعده
عن التسليم لمدبره ويحول بينه وبين طرح الكاهل بين يدي من هو املك له واولى به واما
الجواب الاخر فهو بشرى عظيمة على نعمة جسيمة لمن حصل له هذا العلم وذلك سر لو اطلع عليه وغيب لو وصل
اليه لكان ما يجده الانسان فيه من الروح والراحة والخير فحال العاجز ولا جاه يكفيه مونة هذا الخصب
الفادح ونهيه عن تجشم هذا الكد الجادح فاجعل بالفكر لشرف هذا العلم بدل غيبك ما خفي عند خفيه
ولكنه نستدل لله تقديراسمه فيما استبان لك معلومه وصح عندك مظنونه ثم قال ———— علم ان العلم حق
ولكن الاصابة بعيدة ولا كل صواب معروفا ولا كل محال موصوفا وانما كان اعتبار الامة ادني
طلبتهما والقياس به صوابا والسعي دونه محمودا لامتثال هذا العالم السفلي بذلك العالم العلوي واتصال هذه
الاجسام القابلة بتلك الاجرام الفاعلة واستحالة هذه الصور بحركات تلك المتحركات لتشاكلها بالوحدة وذا وجه
الاتصال والتشابك وهذه الحبائك والربط مع التاثير من السفلي بالمواصلات الشعاعية والمدانات
والحفية والجلية واذا صح التاثير من المؤثر وقبوله من القابل صح الاعتبار واستتب القياس وصدق بعد
وثبت الاثر واستحكمت العادة وانكشفت حدود الاتصالات وتعاضدت الشواهد وصار الصواب غامرا والخطأ
مغمورا والعلم جوهرا راسخا والظن زايلا فتشقق الكلام في وجوه مختلفة حتى كاد لا يحصل منه ما يكون
تلو المسئلة والجواب فلم ازل ارقي وانقب واخزل واتكث حتى تضمنت هذا التي يمر بك في هذا المكان على تأني
كثير وتعاند شديد بين اول واخر وصدر وعجز وسلامة ودخل واقتباس فمن جملة ذلك منه يجوز
ان قيل هذه بعض الاحكام لا تصح لكان من خصوص الجواب ان قال قايل الاحكام لا تصح باسرها ولا تبطل من
اصلها وذلك ليست بالجمهور اذ العمر التظر وتنشط الاصغاء وصحيح الفايدة بعد متابعة الهوى وايثار التعصب
ان الامور الموجودة على ضربين ضرب له الوجود الحق فالامور الموجود بالحق قد اعطت الباقية نسبة من جهة الوجود

وان تجنت منها حقيقة ذلك الحاكم بالاعتبار الفاحص عن هذه الاسرار ان اصاب فبنسبة الجزء الذي لهذا العالم السفلي
من ذلك العالم العلوي وان اخطا فبما فات هذا العالم السفلي من ذلك العالم العلوي والاصابة في هذه الامور السيالة السائلة
عرض والاصابة في امور الفلك جوهر وقد يكون هناك ما هو كالخطاء ولكن بالعرض لا بالذات كما قد يكون ههنا ما هو
كالصواب والحق ولكن بالعرض لا بالذات فلهذا ما صح بعض الاحكام وبطل بعض الاحكام فيما يكون اياه الهذا الفصل وتشابه
قوابل هذا العالم السفلي مع تبدله فيكون حال واستحالة فكل طرف ولمح مستقبل لآثار العالم العلوي شوقا الى كمال وعشقا
بجماله وطلبا للتشبه وعشقا بكل ما امكن من شكله فهو يجري التقبل يحظى هذا العالم السفلي ما يكون مشابها للعالم العلوي
ومن هذا الباب تقبل الانسان الكامل من البشر من الملك وتقبل الملك من الباري وكذلك تقبل الطبيعة للنفس والنفس للعقل
والعقل للباري ، قال آخر وانما وجب هذا التقبل والتشبه لان وجود هذا العالم وجود متهافت مستحيل لا
صورة له ثابتة ولا شكل دائم ولا هيئة معروضة وكان من هذا الجوهر فقيرا الى ما يمده ويشده ويمسكه ويسوسه فهو
موجود ثابت مقابل لذلك العالم الموجود الثابت وانما عرض ما عرض لان احدهما مؤثر والاخر قابل فبحق هذه المرتبة ما وجب
التباين وبحق تلك المرتبة ما وجب التواصل وقال آخر وقد يتفق مع هذا كله للنجم اعتبار حركات كثيرة
من اجرام مختلفة لا يعجز عن نظمها وتقويمها ومزجها وتسييرها وتفصيل احوالها وتحصيل خواصها مع بعد حركة
بعضها وقرب حركة بعضها وبطئها وسرعتها وانعطاف صورها والتباس مقاطعها وتداخل اشكالها ومن الحكمة في هذا
الاغفال ان الله تقدس اسمه يتميز بذلك القدر المفصل والقليل الذي لا يؤبه له والكثير الذي لا يحاول البحث
عنه امر لم يكن في حساب الخلق ولا فيما تعلموا فيه القياس واختلط بالتقدير والتوهم ، قال ولهذا يحكم هذا الحاذق
في صناعته لهذا الملك وهذا الماهر في علمه لهذا الملك ثم يلتقيان فتكون الدائرة على احدهما مع شدة الدفاع وصدق المصاع
هناك وحكم له بالغلبة والظفر قال في هذا الموضع الى شيء انما يحق لهذين الحاكمين لاختلاف المأخذين لا من جهة غلط في الحساب ولا قلة بصيرة في العمل
ولكن يكون في طالعه ان يصيب ذلك الحكم ويكون في طالع ذلك الملك الا يصيب بحق في تلك الحرب بمقتضى حاله وحال صاحبه
يحول بينه وبين الصواب ويكون الآخر مع صحة حسابه وحسن ادراكه قد وجب في طالع نفسه وطالع صاحبه
ضد ذلك فيقع الامر الواجب ويبطل الآخر الذي ليس بواجب وقد كان المنجمان من جهة العلم والحساب اعطيا
الصناعة حقها ووفيا ما عليها ووقفا موقفا واحدا على غير مزية بينة ولا علة قائمة ، قال ابو سليمان ما
احسن هذا وطال ما ابحثك عن هذه المسألة فانقضت عن جوابها قالوا ولولا هذه المشيئة المنعقدة والغاية المستورة
الراسية من الله بها لكان لا يعرض هذا الخطاء مع صحة الحساب ودقة النظر وشدة الغوص ونيل المطلوب تبع
غلبة الهوى والميل الى المحكوم له وهذه البقية دائرة في امور هذا الخلق فاضلهم وناقصهم ومتوسطهم وفي دقيقها
وجليلها وصعبها وذلولها ومن كان له من نفسه باعث على التصفح والنظر والتمييز والاعتبار وقف على ما اوما
اليه عن كثب وسلم من غير شك ولا غضب ثم قيل وحكمة جليلة ضرب الله دون هذه العلل بالاسداد وطوى حقائقها
عن اكثر العباد وذلك ان العالم بما سيكون ويحدث ويستقبل عالم خالق النفس واقع عند العقل فلا احد الا
وهو يتمنى ان يعلم الغيب ويطلع عليه ويدرك ما سوف يكون في غد ويجد سبيلا اليه ولو دل السبيل الى هذا الفن
لرأيت الناس يهرعون اليه لا يؤثرون سبيلا آخر عليه لحلاوة هذا العلم عند الروح ولصوقه بالنفس وغرام
كل احد به وحتى كل انسان فيه فحكمة من الله لم يصح هذا الباب ولا انكشف من دونه الغطاء حتى يتوكل احد
على روضه ويلزم حده ويرغب فيما هو اجدى عليه وانفع له اما عاجلا فقد علمت ان علم ما يكون احب الى جميع الناس
من كل فقه وكلام وادب وهندسة وشعر وحساب وطب لان هذه رتبة الاهية وهي الفاضلة الكبرى فطوى
الله عن خلقه حقائق الغيب ونشر لهم نبذا منه وشيئا يسيرا يتعللون به لئلا يكون هذا العلم محجوبا عليهم كسائر العلوم

ولا يكون ما نعاين غيره . قال ـــــ ولولا هذا التقييد الذي فضحت الكاملين واعجزت القادرين لكان تعجبك الى من غرائب
الاحاديث وعجائب الضروب وطرائف الاحوال عبثا وسعيها وتوكلهم على الله لهوا ولعبا . ثم قيل وهذا يتوضح بمثال ولنكن
ذلك المثال ملكا في زمانه وبلاده واسع الملك عظيم الشان بعيد الصيت شائع الذكر معروفا بالحنكة مشهورا بالحزامة
متصل اليقظة قد وضح عنه انه يضع الخير في موضعه ويوقع الشر في موضعه عنده جزاء كل سيئة وثواب كل حسنة
قد رتب لبريده واصلح لاوليائه وكذلك نصب اصحابا يتراعون اقوام الناس وكذلك لعمارة الارض نهض الناس ويا
ولنصيحهم فيها وشرف آخر بكتابة بشك حضرته وآخر بخلافته ووزارته في حضره وسفره اذا نظرت الى ملكه وجدته موزعا
بسداد الراي ومحمود التدبير واوليائه وحواليه وحاشيته بين يديه وكل يخف الى ما هو منوط به ويستقصي
طاقته فيه ويبذل وسعه دونه والملك يامر وينهي ويصدر ويورد ويحل ويعقد وينظم ويبدد ويعد ويوعد
ويبرق ويرعد ويتقدم ويؤخر ويخلع ويهب ويعاقب ويثيب ويفقر ويغني ويحسن ويسيء ويقدم صغيرا لرايه
وكبيرهم ووضيع رعاياه وشريفهم ونبيه الناس وخاملهم ان الراي الذي يطلق بامره كذا وكذا صدر من
الملك الى كاتبه لانه من جنس الكتابة وعلائقها وما يدخل في شرائطها ووثائقها والراي الآخر صدر الى
صاحب بريده لانه من احكام البريد وفنونه وما يجري في كليته والامر الآخر الذي الى صاحب المعونة لانه من جنس
ما هو مرتب له ومنصوب من اجله والحديث الآخر صدر الى القاضي لانه من باب الدين والحكم والعفة وفي كل هذا مسلم
اليه ومخصوص لا يفتات عليه في شيء ولا يستبد بشيء دونه فالاحوال على هذا كلها جارية على اذلالها وقواعدها وعلى مجاريها
لا يزال بها ماشي الى حين تشكل ولا يرتقي الى ما لا يرى خليقته وهكذا ما عدى جميع ما عددناه باسمه وحكيناه برسمه فلو
وقف رجل له من الحزم نصيب ومن الفطنة قسط على هذا الملك العظيم وعلى هذا الملك الجسيم وسدد فكره
وحدد ذهنه وصرف ذهنه وتصفح الاحوال وحسب شيئا شيئا وقدر امرا امرا وتامل بابا بابا وتخلل شيئا شيئا
ورفع سجفا سجفا وتقفى وجها وجها لما امكنه ان يعلم ما يتم له هذا النظر ويسره هذا القياس ويصيبه هذا الحدس
ويقع عليه هذا الامكان ان يستعمله هذا الملك غدا او بعد غد وما يتقدم به الى شهر وما يكاد يكون منه الى سنة
وسنتين لانه على الاحوال ملما ويحلو عاجلها ويقايس بينها قياسا ويلتقط من الناس لفظ الفظاظة ولحظ اللحظ ويقول
في بعضها يترك كذا وكذا ويفعل كذا وكذا وهذا يدل على كذا وكذا وانما جرى هذه الجرأة على هذا الحكم والبت لانه
قد حرك لحظ الملك ولفظه وحركته وسكونه وتعريضه وتصريحه وجده وهزله وسجيته وتجمعه واسترساله
وجومه ونشاطه وانقباضه وانبساطه وغضبه ومرضاته ونادره ومعتاده وسفره وحضره وبشره وقطوبه
ثم يحس في نفس هذا الملك بين ما هاجس ويخطر بالخاطر فيقول ـــــ اريد ان اعمل عملا واوثر اثرا واحدث
حالا لا يقف عليها اوليائي ولا المطيعون لي ولا المخصوصون بقربي ولا المتعلقون بحبالي ولا احد من اعداي ولا المتبعين
لامري والمحصين لانفاسي والمترقبين لخطاي ونعاسي ولا ادري كيف اخترمه لاني متى تقدمت في ذلك بشيء الى
الكل من يليني ويطيف بي احيي كان الامر في ذلك فقط جميع اموري وهذا هو الفساد الذي يتزيني تجنبه ويجب
على اليقظ فيه فيقدح له الفكر الثاقب والذكاء الالهاب انه ينبغي ان يتاهب للصيد ذات يوم ليتقدم بذلك
ويذيعه ويطالب به فيأخذ اصحابه وخاصته في اهبة ذلك واعداد الآلة فاذا تكامل ذلك له اصحر للصيد وخشو
له وتطلب في البيداء وصمم على بعض ما يلوح له وامعن قبله وركض خلفه جواده وشدد في طلبه براده ونحى من
معه ان يتبعه حتى اذا وغل في تلك الفجاج الخاوية والمدارج المتنائية وتباعد عن متن الجادة وواضح المحجة
صادف انسانا فوقف عليه وحاوره وفاوضه فوجده حصيفا محصلا يتقى فيها وتتبعه فهما فهما وقال له افيك خير
فقال نعم وهذا الخير لا في وعندي ولا يحمي الى الى ما بدا لك وخلقي وذلك فقال ـــــ لسان الواقع عليك

والكلام لك ملك هذا الاقليم فلا ترع واهدأ ولا تقلق ويكرر له عند سماع هذا ويقول السعادة تقتضي لك والجد لطالعك على
فيقول له الملك انى اريد ان اصطفيك لأرب فى نفسى وابلغ بك ان بلغت ذلك على واريد منك ان تكون عينا لى على
نفسك زكية وصاحبا لى نصوحا فتقبل لى بذلك بجهدك وسعيك واطوسرى عن مسامع فؤادك فضلا عما خلا
ذلك فاذا ابلغ منه غاية الثقة والتوكيد الذى اليه تجرى به وتجريه يحثه على السعى والنصح وترى الرضى ووصاه بما
احب واحكمه وازاح علته فى جميع ما يتعلق المراد به ولا يتم الا بحضوره ثم ثنى عنان دابته الى معسكره واوليائه
والحق بهم وتعالى بقية النهار فى قضاء وطره من صيده ثم عاد الى سريره فى داره ومقره فى ملكه وليس عند احد من
رهطه وبطانته وغاشيته وحاشيته وخاصته وعامته علم بما قد اسره الى ذلك الكهل الصحراوى وبما حادثه
فيه والناس على سكناتهم وغفلاتهم حتى اصبحوا ذات يوم عن حادث عظيم وامر جسيم وشان هائل وعارض محير كل
عند ذلك يقول ما اعجب هذا من فعل هذا ومتى تهيأ له هذا ومن ارتصد له هذا ومن انتصب له وكيف تم هذا صاحب البريد
وليس عنده اثر هذا صاحب المعونة وهو عن الخبر بمعزل وهذا الوزير الاكبر وهو متحير وهذا القاضى وهو متفكر
وهذا حاجبه وهو ذاهل يتكلم عن الامر الذى وهم مستدهون وهو منه متعجب وقد قضى الملك مآربه وادرك
حاجته واصاب طلبته وبلغ غايته واتفق له ونال أربه كذلك يتطلع هذا المنجم الى زحل والمشترى والمريخ
والشمس والزهرة وعطارد والقمر والى البروج وطبائعها والراس والذنب وتقاطعهما والهيلاج والكدخداه والى
جميع ما الى هذا وقاربه وكان له فيه نتيجة وثمرة فيحسب ويمزج ويرسم ويقلب عنده اشياء كثيرة من سائر الآثار
التى ظاهر حركاتها بطيئة وآثارها بطيئة فيبحث بما اغفله واهمله واضرب عنه ولم يتسع لهما يملك عليك حسه وعقله
وفكره ورويته حتى لا يدرى من حيث اتى ولا من اين دهى وكيف تم عليه الامر انه دونه الطلب وفاته المطلوب و
غرب عنه الرأى هذا ولا خطأ فى الحساب ولا تقصير فى الحق وهذا كله يلاذ بالله عز وجل فى الامور ويعلم انه
مالك الدهور ومدبر الخلق وصاحب الدواعى والعوائق والعالم على كل نفس والخاطر عند كل نفس وانه اذا
شاء نفع واذا شاء ضر واذا شاء عافى واذا شاء اسقم واذا شاء اغنى واذا شاء افقر واذا شاء احيا واذا شاء امات
وانه كاشف الكربة والمونس فى الغربة ومن المجلى للغمة وصارف الازمة ليس فوق يده يد وهو الاحد الصمد على الابد
والسرمد وكنت سمعت الحرانى الصوفى يقول قديما بمكة وكان شام شيئا من الحكمة وعرف ذروا
من صحف الاوائل فقال هذه الامور وان كانت منوطة بهذه العلويات مربوطة بالفلكيات عنها تحدث ومن جهتها
تنبعث فان فى عرضها ما لا يستحق ان ينسب الى شئ منها الا على وجه التقريب قال ومثال ذلك ملك له سلطان
واسع ونعمة جمة وفى كل احد بما هو لائق به ومما هو ناهض فيه فولى مثلا بيت المال خازنا مليا كافيا ثقة يفرق
على يديه ويجمع على يديه ثم ان هذا الملك قد يضع فى هذه الخزانة شيئا لا يعلم الخازن به وقد يخرج منها شيئا
لا يقف الخازن عليه ويكون ما يعتمد منه دليلا على ملكه واستبداده وعلى تصرفه وقدرته الى ها هنا كان كلام
الحرانى ومثله هذا وان كان نظيرا المثل الاول فانه شاهد له وجامعه وقيل ايضا فى عرض الانسان
الذى كان بين وليك المشايخ ما هو زجر عن تعاطى هذا العلم ومانع عن التحقيق بباب الحكم لما كان علم النجوم
وصاحب الشغف بالاحكام يريد ان يعرف احداث الزمان فى مستقبل الوقت من خير وشر وخصب
وجدب وسعادة ونحس وولاية وعزل ومقام وسفر وغم وفرح وفقر ويسار ومحبة وبغض وعافية
وسقم والفة وشتات وكساد ونفاق واصابة واخفاق وراحة ومشقة وقسوة ورقة وتيسير وتعسير
وتمام وانقطاع والتيام وانصداع وافتراق واجتماع وانفصال واتصال وحياة ومماة وهو انسان ناقص
فى الاصل تزيد فى الفرع وزيادته فى الفرع لا ترفع نقصانه فى الاصل لان نقصانه بالطبع وكماله بالعرض وهذا

وجد الحال المخطوطة بالنسخ المزوقة بالطين فدبارى باريه وجارى مجريه ونازع بربه وتتبع غيبه وتوغل علمه
وتحلل حكمه وعارض مالكه حرمانه فايدة هذا العلم وقصرقوته عن الاستمتاع به والاستثمار من ثمرته واضافه الى من لا
يحيط بشؤونه ولا تحل يتبنى في بابه الغسر والقهر وجعل غاية سعيه فيه الخيبه ونهاية جلمته الحيرة وسلط عليه فرصتا
الظن والحدس والحيلة والزرق والكذب والحمل ولو شيت لرويت من ذلك صدرا وهو مثبوت في الكتب ومنشور في
المجالس ومتداول بين الناس بذلك واشباههم حط رتبته ورده على عقبيه ليعلم انه لا يعلم الا ما علم وانه ليس له ان
يتخطى بما علم على الجهل فان الله لا شريك له في غيبه ولا نديد له في ربوبيته وانه يونس بالعلم ليطاع ويعبد ويوحش
بالجهل ليفزع اليه ويقصد بارج الاحاد ويقدس مشارا اليه وتعالى معتمدا عليه وهذا كما ترى وقد
العرض فيه يقوى هذا العلم في بعض الحين يتشعب به ويدان بتعلمه بقوة سماويه وشكل فلكي فيكثر الاستنباط
والبحث وتستنبه العنايه والفكر فيغلب الاصابة حتى يقل الخطاء وقد يضعف هذا العلم في بعض الدهر فيكثر
الخطا فيه لشكل اخر يقتضي ذلك وحتى يسقط النظر فيه ويحرم البحث عنه ويكون الدين حاظرا لطلبه والحكم به وقد
يعتدل الامر في دهر اخر حتى يكون الخطاء وزن الصواب والصواب في قدر الخطاء وتكون الدواعي
والصوارف متكافية ويكون الدين لا يحث على طلبه كل الحث ولا يحظر على طالبه كل الحظر قال فهذا اذا
صح تعلق الامر كله بما يتصل بهذا العالم السفلي من ذلك العالم العلوي فاذن الصواب والخطا محمولان على القوى
المنبثة والانوار الشايعة والاثار الرايعة والعلل الموجبة والاسباب الموافقة ورايت ابا سليمان يرتضي
بهذا القول ويقوي هذا الراى فقال النوشجاني اما القوم اختصروا الكلام وقربوا البغية فان الاطالة تصد عن
الغاية وتضل الفطن والفهم فسل تصح الاحكام فقال غلام زحل ليس عن جواب يقتسب على كل وجه
نعم ونعم ولا فقال لان صحتها وبطلانها متعلقان بآثار الفلك وقد يقتضي شكل الفلك في زمان لا يصح منها شيء الا ان
غيص على دقايقها وبلغ الى اعماقها وقد يزول ذلك الشكل حتى زمان لا يبطل منها شي فيروا نتو يجي في استدلال وقد
يتحرك هذا الشكال في وقت اخر الى ان يكثر الصواب فيها يتقاربان ومتى وقف الامر على هذا الحد لم يثبت على قول
قضاء ولا وثق بجواب قال فقال ابو سليمان هذا احسن ما يمكن ان يقال في هذا الباب وهو الذي من كلام الشيخ ابي
محمد قيل بعد هذا كله فاما الجواب الذي هو كالبشرى بغاية هذا العلم وثمرة هذه الحال على ما تقدم من قول
من قال من الجماعة فهو ما اختم به هذه المقابسة ان شاء الله تعالى وانما اختير في الرواية قليلا لان كلام القوم
اختلط اختلاطا منع من اداء ما جرى على ذلك كنهه وخاصة بعضه بالطول وبعضه بالتصريف وبعضه بالغموض
والغموض وبعضه بالكناية والتعريض ولولا اني خلعت الحياء خلعا وتصديت للوم تصديا في تحرير هذا الكلام
على ما به من اضطراب اللفظ وانتشار المعنى وزيغ التاليف وتراخي الحكاية لكان ذلك كله منسيا في جملة ما نسي
ومغمورا في غمار ما جهل وفايتا في عرض ما فات والعلم حرسك وحشي والحكمة نفور والبيان حرون والبلاغة
ظنون والجهل صاحب والسفه طباع والعي الوف والقلب شجاع وعلى ذلك فقد نسقت في هذا الكتاب ما ان
لم تكن فايدة لغيري لم يعد ان يكون تذكرة لنفسي وتبصرة لمن يعز ومعززا والى الله نشكو تسوالنا في ايثار
الصدق وتحقيق العقد وتصفية الخلق وما قد حل بنا ونزل بساحتنا من فقدنا لناصر واسلام المعين فنحن
كما قال متايل اتحصنا واصطلحنا له قال بعض الحاضرين ان الله تعالى وتقدس اخترع هذا العالم
وزينه ورتبه وحسنه وشعبه ونظمه وهذبه وقومه واظهر عليه البهجة وابطن فيه افانين الحكمة وحققوا بكل ما اطبا العقول وصفه
وصفه وحشاه بكل ما شا النفوس الى تقليبه والتعجب من اعاجيبه واستمتع الارواح بمحاسنه واودعه امورا واستخفى به
اسرارا ثم حرك الطباع عليها حتى استثارتها ولفظتها واحتلتها وعسفتها ونبت عليها الا انها عرفت بما ربها وحقايقها

ولاعمها واوضح وضايحها وباصرها وحاشيتها وحافظها وكافلها ثم انه تبارك وتعالى ربع بعضها ببعض وقوى بعضها على
بعض وسل بعضه من بعض ونتج بعضه في بعض واستمد بعضه من بعض واحال بعضه الى بعض بوسايط من اشخاص
واجناس وطبايع وانفس وعلوم وعقول وتصرف في ملكه بقدرته وحكمته لا بسبب العقل ولا بعلة الاختيار ولا
مردود الحكم ولا مجحود الذات ولا مجحود الصفات وهو سبحانه مع هذا كله لم يستفد شيئا ولم ينتفع بشيء بل
استفاد منه كل شيء بحسب مادته المقاودة وصورته المعادة ولم يثبت بشيء وثبت به كل شيء ولم يعض بشيء وعض
به كل شيء فهو الفاعل القادر والجواد الواهب والنبيل المفضل والاول السابق والواحد المطلق فلما كان الباحث
عن العالم العلوي يتصفح سكانه ومعرفة اماكنه واثاره ومواقعه واسراره متعرضا لان يكون متشابها للبارئ
مناسبا للرب بهذا الوجه المعروف استحال ان يستفيد بعلمه كما استحال وبطل ان يستفيد خالقه بعلمه لان
نفسه تصل به وحكمه لزومه وحليته بدت منه وصفته عادت عليه وحينئذ تلك تعلقته هذه حال اذا فطن لها
واشرف عليها ببصيرة ثاقبة وتحقق حقيقتها ذو الخبرة ينسى ما فيها عالم اضطرارا عقليا انها اجل واعلا وانفس
واسنى وارفع واوفق واعظم وازكى وادوم وابقى من جميع فوايد سائر العلوم التي حازها اليك العالمون
لان اولئك اجملوا فوايد علومهم فيما حفظ عليهم حد الانسان وخلقه وشهوته واتخذوا من جلب نفع ودفع
ضر ونقصت رتبتهم مشاكلته ومناسبته والتشبه بخاصيته والتحلي بحليته وكذلك حيل الله نفعهم في علمهم
بفوايد لوامنافع اخروها واعطاو قصوها بسببها فاما من اراد معرفة هذه الخفايا والاسرار في هذه الاجرام
والانوار على ما هيئت له وعنيت اليه ونظمت به وربت فيه وزينت بمحاسنه فهو حري بجدير ان يبري من
جميع ما وجده صاحب كل علم من الرافق والمنافع على ما اتسع القول به في فاتحة هذه المقابسة ويفرد
بحكم من رعيها على ما هي عليه غير مستفيد بذلك فايدة ولا جدوى وهذه الطبقة منى وقفت بها حق
الوقوف وتقبلت حق التقبل كان المدرك لها اجل من كل قلب ان [illegible] لانها بشريته صارت الاهية وجسمية
استحالت روحانية وطينية انقلبت نورية ومركبة عادت بسيطا وجزئية حالت كلا وهذا افق قل ما يهتدى اليه
وينبه عليه ثم اني بعد هذا كله قلت لابي سليمان في خلوة ايها الشيخ تكررت في هذه المسئلة
كلمات جافية تشعر ما هيه مكروهة لا اراها تسلم او تسلم قال ما هي قلت مثل قول القائل متشاكلها للرب ومناسبا
لباريه ومثل قوله نفسه لصق به وحكمه لزمه وحليته بدت منه وصفته عادت عليه قلت لعمري
ان تقديس البارئ يمحو هذا كله وينهب به ويطرحه وينفيه ولكن اذا عرفه واشار اليه لكني
عن ربوبيته وافصح عن الالهية لم يجد بدا من هذه الكلمات التي هي الطف ما في ملكه واشرفها في قوته
والدالة التي هي فوق المرام التي تتراسل بين الخلق في عباراتهم واشاراتهم لكنها استعارة في حمى التوحيد و
حرم المعرفة مرفوعة المقادير عما يدنسها ويذيلها ويفسدها ويحيلها على عادة اهل اللسان في الاسماء و
الصفات والحروف والاحداث وانما يومي الى هذه الغايات بهذه العبارات ايماء لانها تفوت ذرع القول
كما تفوت ذرع العقل وتسبق ظن القدر كما تسبق وهم المستثير وهذا اضطرار اشترك فيه جميع
اهل اللغات فيه عند اخبارهم عن الههم الامن كانت معرفته من جنس معرفة العامة واستبصاره من
قبيل استبصارها وعبارته في طريق عبارتها والعامة لا توحيد لها ولا حقيقة معها ولا مبالاة بها ه ه ه
قلت لابي سليمان في هذا الموضع حصل لنا في هذه المسئلة جوابان احدهما زجر عن النظر
في هذا العلم على ما طال الشرح فيه والاخر على هذه الغاية التي تكاد الروح تطير معها طربا عليهما
فهل يجوز ان نعتقد فساد احد الجوابين وهو ما نهى عن التبصر فيه والاخذ بالحظ الوافر منه ليكون الحيا الاخضر

جامعا الوجوب بالحق فقال الجواب ان صبيان ذلك انهما هنا انفس اجنبية وعقول ارديه ولوازم خسيسة
لايجوز لاربابها ان يستخيروا الحكمة او يتطاولوا الى غرايب الفلسفة فالنهى ورد من اجلهم وهو حق والحال معه
فاما النفوس التى قوتها الحكمة ومادتها العلم وحليتها الفضايل وعقدتها الحقايق وذخرها الخيرات وعادتها المكارم وهمتها المعالى
فان النهى لم يتوجه اليها والسلم يوقع عليها كيف يكون ذلك وقد بان بما اكثر القول فيه ان غاية هذا العلم اجل غاية وثمرته
احلى ثمرة ونتيجته اشرف نتيجة فليكن هذا كله كافيا عن سوء الظن وكافيا لك عما وقع القول فيه وما دار بين هولاء السادة
الحاجة فى الفهم والعلم والبيان والتصفح هذه ابقاك الله آخر ما تعلقت به من حكاية هذه المقابسة بين هذه الطائفة
الفاضلة وتداعته رقاب اليك فى خلال امر من قصور لاحيلة لى فيه ومن تقصير لم اقصد اختيارا اليه فخذ فيه بايثارك
ستر القبيح على اخوانك ونشر الجميل عن اصدقايك جميل والله كاف وكافيك ونعم الوكيل له

مقابسة اخرى

جرى عند ابن سعدان يوما كلام فى الاخلاق وحضره بها فرينهم عيسى بن نقيف الرومى ابو السبيح وغير هولاء من مشايخ النصارى
وكانوا متعززين بالفلسفة ومحبين لاهلها وكان محصول ذلك من اراد ان يكسب نفسه هيئة جميلة وسجية محمودة فى تهذيب الاخلاق
وتقويمها وتطهيرها من الادناس التى تعتريها انقسم امران سائيا ان احدهما عسر ذلك وكآبة وتقذيره وتطويله ويكون لذلك ان الامر
الذى يحاول تنجيزه عنه والتغير متعذر عليه فان الوصول اليه محال والاخر استحبابه بتسهيل ذلك واقتياده وسطوته وامكانه فيظن لذلك ان
الغاية التى يطلبها باجتهاده وقصده ورايه وعزمه دانية معرضة سهلة قريبة والمثال على هذا من الشاهد فى اخلاق الانسان
موجود من اعتبار امر البدن وذلك ان الانسان اذا قصد نظافة بدنه وتدليك اعضايه وتقليم اظفاره ونقى القذى
من عينه وتسريح شعره وترجيل جمته وتنقية ارفاغه وازالة الدرن من مغابنه بيده وبيد غيره والقيم فى الحمام غيره
وقدر على ذلك ووجد السبيل اليه سهلا فحين يخرج من الحمام نافض البدن نقى الاطراف قد اكتسب صاحبه صباحة
ونظافة وضياء وخفة ظاهرة من ثقل ما كان راكبه وملازمه من الوسخ والدرن فان اراد بعد ذلك ان يحول تخطيط
انفه او يرد عينه حورا ولطف لسانه استرادا او راد المحال وحاول المعجوز عنه وقرف سوء الاختيار وحكم عليه
بسوء السعى وبطلان الاجتهاد ومع هذا فليس لذاتيا شر من اصلاح ما هو مستطاع لياسه من صلاح ما هو غير
مستطاع وليس له ايضا ان يرجو اصلاح ما ليس بمستطاع لاقتداره على صلاح مستطاع قطب هذه
المذاكرة فى الاخلاق على ان تهذيبها وتطهيرها وردها الى مقادرها وتسويتها وتعديلها من الصعب العسير الممتنع
المتعذر لكنها مع هذا كله ممكنة من نفسها فى اشياء خاصة وفى مواضع معلومة بعض الامكان وممانعة الاستمالة
فيها بعض الضمان فعلى هذا لا ينبغى ان يطمع فى اصلاحها كل الطمع ولا يقطع الرجاء عن اصلاح الممكن منها كل
القطع وكان فى كلامهم حشو كثير حصلت خالصة زبدته ما اعرت ههنا وذكرته فى جملة الناس من اول الدهر
انما يتكلمون فى الاخلاق على هذا تدل الكتب السالفة والاشعار المتقدمة والمواعظ القايمة والمزاجر
المترددة ومع ذلك كله من طبع على الجبن لم يجيء منه شجاع ومن طبع على العثرة لم يمكنه ان يعقل ومن رجل فى
سوسه شيئا ابداه ومن كان فى قوته شى اظهره ومن استكن فى مزاجه الاصل طالع برايه على الايام والا
ختبار فى الاشياء قوة ضعيفة مع الاثبات لمطامع الضرورة التى ترد قاهرة وتوافى مخبرة فان الاختيار
ايضا فى الاول من جملة تلك الضرورة فى عرض القسم الثانى وبه ان اذن ابدا ظهر وسعى وسفر وان لم يكن اخرى
بطل حكمه وبرحه وارتفع عيبه وفعله وقد نشاهد من يرع الجود ويحث عليه ويحسنه ويدعو اليه وهو
ابعد الناس من العمل به والقيام بحكمه وقد نجد من يلوم التغافل فى الحرمة وما يجرى معها ويبعث على الغيرة
والبصيرة فيها وخوض الدم من مثله يرضى فى بابها وهو اشد الناس اغفالا فيها وظهورهم اختلالا فيها فكأنما يقول

احدهم دنسا وما دحا هو غير ما ينبغي ان ياتيه او يتركه مجتنبا وكان ابو سليمان يقول ــــــ كثير من اخلاق الانسان
يخفى عليه ويطوى عنه وذلك جلي لصاحبه وجاره وعشيرته وهو يدرك اخفى من ذلك على صاحبه وجليسه ومعامله وقرينه
وربيبه وكانه في عرض هذه الاحوال عالم جاهل ومستيقظ غافل وجبان شجاع وحليم طائش يرضى عن نفسه في شيء
هو المغتاظ على غيره من اجله قال وهذا كله دليل على ان الخلق يخفى وزن الخلق وعلى انسان يعيش منه ما يعيش من غيره
ويسهل من هذا ما يسهل من ذاك قلت لبعض الثقات الكلام في هذا الحد ما الخلق قال شيء قلت ــــ فما
المحمود منه قال ما اثارته النفس الفاضلة في المزاج المعتدل قلت ــــ فالمذموم منه قال ما توريه
الطبيعة في ذي المزاج المتفاوت والكلام في الاخلاق مطرب وكل هذا الكتاب فيها ولهذا ما يجب ان نتخطى
وان امكن عدت اليها في اثناء غيرها فالغرض كله تقديرها بالقسطاس وتطهيرها من الادناس التي
عليها جمهور هذا الخلق له

مقابســــــــــة اخرى

سمعت ابن مقداد يقول لابد في وضع الناموس الالهي الذي يتوجه به افاضة الخير وترتيب السياسة وما يورث
سكون البال ويحسم مواد الشر ويوطد دعائم السنن ويبعث على تشريف النفوس وتزيين الاخلاق ويقرب
الطريق الى السعادة المطلوبة ويواصل اسباب الحكمة ويشوق الارواح الى طلب الحق وايثار العفة وتقدم سوا
على الملك والنعمة والرحمة المكرمة من الاخبار التي تقسم بين ما هو صدق محض وبين ما هو صدق ممزوج وتكون الالفاظ التي تحدث بها المعاني التي تحتاج
اليها كثيرة الوجود هذا وان لم يكن انما وجب ذلك لان الناس في اصل جبلتهم ومبتدا نشوئهم واول نشأتهم قد افترقوا مجتمعين واجتمعوا
مفترقين واختلفوا متوافقين وائتلفوا مختلفين واجسامهم متوقدة وظنونهم جوالة وعقولهم متفاوتة
وانهانهم عالم اراؤهم سايحة وكل منهم منفرد بمزاج وشكل وطباع وخلق ونظير ذكر واصل وفرع واصناف
والف عادة وضراوة ونفرة واستحسان واستقباح وتوق ووقفة واقدام وجسارة واعتراف وشهادة وبهت
ومكابرة هذا سوى اعراض كثيرة مختلفة لا اسماء لها عندنا خاصة ولا صفات متميزة قال ــــ
ومثل هذا كمثل رجل اصلح طعاما كثيرا واسعا مختلفا من كل لون وجنس ومذاق ورائحة ووضع ونضد حرارة
وبرودة وحلاوة وحموضة ونضد على مائدة واسعة عظيمة لجمع ذوي عدد جم حتى تكون المائدة ذات الوان
مختلفة وطعوم مركبة متباينة في القلة والكثرة والملوحة والحرافة والمرارة المنقسمة ثم يقبل كل انسان على ما يفيق
به شهوته الخاصة له ولم تحيد به الى ما يكون الذي يدعوا اليه الغير لان للعين نوعا من الطلب ليس للفم
وللنفس ايضا مثل ذلك اعني النفس المشتهية فهذا غير ما هو بحاوب النفس الناطقة من الترتيب والتكرمة والامائل
والحادثة له قال ــــ فلما كان الناموس الالهي نصيحة عامة لكافة وجب ان يشتمل عليها
بكل ما يكون ردءا لها ورفدا معها وفارسا لها الفطرة وموضحا لما خفي عنها وداعيا بلطف اليها وصاما يخص
الجزاعيها وهذا قدر كالخالصة منها وقع التفاوض به سقته على ما امكن والحمد لله وحده ده

مقابســــــــــة اخرى

قلت لابي بكر القومسي وكان كثير الاولاسي باي معنى يكون هذا الزمان اشرف من هذا
الزمان وهذا المكان افضل من هذا المكان وهذا الانسان اشرف من هذا الانسان فقال كشعورا بانه الزمان
الى سعادة متناهية وعز غامر وبركة فائضة وخصب عام وشريعة مقبولة وخيرات ممعونة ومشكار م
موثرة من جهة شكل الفلك بما تقتضيه بعض ادواره وكذلك المكان اذا قابل ... من هذه الاجرام الشريفة
والاعمال السنية فاما الزمان الذي هو رسم الفلك بحركته الخاصة فليس فيه جزء اشرف من جزء وكذلك المكان

لانه رديف الزمان ولا سبيل في مثل هذه المسائل الى معرفة الحقائق الا بالامانة التي هي شاملة العالم غالبة عليه
من محيطه الى مركزه واما الانسان فلا شرف له ايضا على انسان آخر من جهة حده الذي هو الحياة والنطق والموت
لان الحد في كل امر واحد فاذن لا اشرف من هذا الوجه فان اعتبر بعد هذا فعل الى فعل ذلك من جهة
الاختيار والايثار والاكتساب والاجتلاب فذلك يقف على الاشرف فالاشرف والاعلا فالاعلا
بحسب ما يوجد منطويا في نفسه نافعا لغيره واقعا موقعه الاخص منه ؛

مقابسة اخرى

قلت لابي بكر القومسي وكان كبير الطبقة في الفلسفة وقد لزم يحيى بن عدي زمانا وكتب
لنصر الدولة وكان حلو الكتابة مقبول الجملة ما معنى قول بعض الحكماء الالفاظ تقع في السمع
فكلما اختلفت كانت احلى والمعاني تقع في النفس فكلما اتفقت كانت احلى فقال هذا
كلام مليح وله قسط من الصواب والحق ان الالفاظ يشتملها السمع والسمع حس ومن شان الحس التبدد فيه
والتبدد بنفسه والمعاني تستفيدها النفس ومن شانها التوحد بها والتوحيد لها ولهذا تبقى الصورة عند
النفس ثابتة وملكة وتبطل عند الحس بطولا وتمحي محوا والحس تابع للطبيعة والنفس متقلبة العقل وكان
الالفاظ على هذا التدريج والتنسيق من امة الحس والمعاني المعقولة فيها من امة العقل فالاختلاف في الاولى بالواجب
والاتفاق في الثاني بالواجب وبالجملة الالفاظ وسائط بين الناطق والسامع فكلما اختلفت مراتبها على عادة اهلها
كان وشيها اروع واجهر والمعاني جواهر النفس فكلما ائتلفت حقايقها على شهادة العقل كانت صورتها
انصع وابهر واذا وفيت البحث حقه فان اللفظ يجزل تارة ويتوسط تارة بحسب الملابسات التي تحصل له من
نور النفس وفيض العقل وشهادة الحق وبواعث النظم وقد يتفق هذا التعويل للانسان بمزاجه الصحيح وطبيعته
الجيدة واختياره المحمود وقد يفوته هذا الوجه فيتلافاه بحسن الاقتدا بمن سبق بهذه المعاني اليه فيكون
اقتداره حافظا عليه نسبة البيان على شكله العجيب وصورته المعشوقة ومدار البيان على صحة التقسيم
وتخير اللفظ وترتيب النظم وتقريب المراد ومعرفة الوصل والفصل وتوخي الزمان والمكان ومجانبة العسف
والاستكراه وطلب العفو كيف كان ؛

مقابسة اخرى

قيل لابي سليمان قد جرى كلام في السر وطيه والبوح به ما السبب في ان السر لا ينكتم البتة فقال لان السر
لا هو موجود قد ضرب دونه حجاب واغلق عليه باب فعليه الكتمان والطي والخفاء والستر مسحة من القدم وهو
مع ذلك موجود العين ثابت الذات محصل الجوهر فباتصال الزمان وامتداد حركة الفلك يتوجه نحو غاية هي كماله فلا
بد له اذن من النمو والظهور لان انتهائه بهما ووقوفه عليهما ولو بقي مكتوما خافيا ابدا لكان والمعدوم سواء وهذا
غير سائغ اعني ان يكون الموجود معدوما ولو قبل الوهم هذا القبول ان يكون المعدوم موجودا وهذه مسئلة في
الهوامز ولها جواب آخر في الشرح ولكن هذا القدر مستفاد من الشيخ الفاضل وسرايضا في كلام ان الحجاب المضروب
على هذا السر يرق ويخلق لانه لا يبقى على هيئته الاولى يوم يقع سرا ويحدث مكتوما ثم قال هذا لك الخواطر والسرائر
على لفظها ودقها ونشر حقايقها تحوم مشاربها ابدا وتظهر وتقوى وتكثر حتى يعرف فيها الشيء بعد الشيء باللحظ
واللفظ وضروب شكل الوجه فكيف ما ابتذل له اللسان ونسجته العبارة وظعن من مكان الى مكان ؛

مقابسة اخرى

سمعت الانطاكي ابا القاسم وكان يعرف بالمجبر يقول الاسباب التي هي مادة الحياة هي وزن الاسباب التي هي جالبة للموت في الرفع كان

الموت على هذا اولى بالانسان من الحياة فقال لان الموت طبيعي وكل طبيعي لا محيص عنه وانما اطلقت الكلام الاول لانك ترى من يخاف الموت لشيء يتخلص غيره الى الموت فلو استطيع حصر هذه الابواب مات يموت من يموت في عدد ما يحيى من يحيى ثم قال وههنا موت طبيعي معروف يقع في مقابلته حياة طبيعية وهكذا ايضا ههنا موت عرضي وفي مواجهته حياة عرضية فالموت الطبيعي قد قامت منه الشهادة من الكافة كما الحياة الطبيعية فجاء العقل بالمعقول الموت بالعرض الجهل الشايع في الانسان واما الحياة العرضية فهي لانسان وحركة بسلامة بدنه وسكون اخلاطه وقوة طبيعته وتصرف ساير ما هو مركب من جهته ثم قال من فتح الله بصيرة عقله لحظ هذه الحقايق ترقى في درجات المعارف وسلاليم الفضايل وانتهى الى افق الروح و الراحة ونجا من هذه المعادن التي هي معادن العطب والتلف ومساكن الآفات والهلاك ونجز في هذا الفصل بكل كلام شريف وكل موعظة حسنة وكان من القادرين على امثاله وممن قد ايده الله بتوفيقه ومعونته

مقابسة اخرى

سأل ابو محمد الاندلسي النحوي عيسى بن علي بن عيسى الوزير وانا عنده فقال لم قال صاحب كل علم ليس في الدنيا اشرف من علم الذي انظر فيه هكذا نجد الطبيب والمنجم والنحوي والفقيه والمتكلم والمهندس والكاتب والشاعر قال وانا المكاني من النحو اقول هذا وهكذا اجد جميع من سميت قال الشيخ عيسى بن علي هذا لان صورة العلم في كل نفس واحدة وكل احد يجد تلك الصورة بعينها فيمدح العلم بها ويظن ان تلك الصورة انما هي لعلمه وحده وكذلك صاحبه وذلك لان تلك صورة العلم الاولى فاما اذا قسمت العلم كما قسمه ابو زيد احمد بن زيد البلخي الفيلسوف في كتابه المسمى اقسام العلوم وتتبعت مراتبه فانك حينئذ تجد علما فوق علم بالموضوع او بالصورة وعلما دون علم بالغاية والثمرة وهذا المعنى الذي اشير اليه يصح لك ولو فرضت نفسك عالما بكل شيء فكنت حينئذ لا تخص علما دون علم بل كنت تطلع على جميعه بنوع الوحدة مع اختلاف مراتبه من نواحي مواده وصوره وفوايده وثمره وكنت تجدها كلها واحدة لان حد العلم كان يسوق من كل فن منها على ما هو به من غير خلل عارض ولا فساد واقع قال الاندلسي قد كنا ايها السيد نتراجع هذه المسئلة نحقرها وانتهينا الى قعرها وفيها هذا الجواب الذي لو رحل اليه من قطر شاسع وغرم عليه مال كثير لكان ذلك دون حقه وما اكثر ما يحقر الشيء فيصير صلة لشيء لا يحقر ولو لا ان عمري يستهلكه النحو لكنت البس لهذا العلم مدار المنكمش واصبغ نفسي صبغة المختصين له

مقابسة اخرى ىَ

قال ابو زكريا الصيمري لابي سليمان اذا كان الباري لا يفعل ما يفعل ضرورة ولا اختيارا فعلى اي نحو يكون فعله فانه ان كان كاستنارة المواضع بالشمس فهو ضروري وان كان كفعل احدنا فهو اختياري وما خلا هذين فغير معقول وما لا يعقل فغير مقبول قال ابو سليمان قد قال كبار الاوايل انه يفعل بنوع اشرف من الاختيار وذلك النوع لا اسم له عندنا لانا انما نعرف الاسما التي قد عهدنا اعيانها او شبهها والناس اذا عدموا شيا عدموا اسمه لان اسمه فرع عليه وعينه اصل له واذا ارتفع الفرع هنا ما لا دفاع له ولا امتناع منه وحواص الخواص معدومة الاسما ونحن نحس بمعاني جمة وفوايد كثيرة لا نستطيع صرفها عن انفسنا وقد تثبت بها وتوثقت في افنانها ومع ذلك اذا حاولنا اسماها عجزنا بلى قد نتعاطى من الاسماء الفايتة اشارات بصفات وتشبيهات تقوم لنا من بعد مقام الاسماء الفايتة ولكن بها فينا اعمال رديئة واهمالات

عند فاسدة ولكن ليس ينافي هذا توجيه الوجود جملة فمن جملة الخلاف هذا الذي نحن فيه انه قد صح بالبرهان ان فعل
الله تقدس وعلا بالاضطرار ولان هذا نعت عاجز ولا دافع لهذا القول ولا يلوح ايضا انه في الاختيار معنى قوي من الانفعال
وهذا مسلم عندي من الفلسفة وشد بعض علم الاوايل فلم يبق بعد هذا الا انه يجوز على تعريف يضيق عنه الاسم منسا
اليه والرسم معا لولا بعد عليه ولو قال لي رجل لم خبرت عن الله بالتذكير دون التانيث لما كان عندي الا
ان اقول هذا ما اقتدي عليه وليس عندي لما هو حقه في الخبر بهذا اسم محض واكثر ما امكنني اني لم انث به
الانثى وحدها لان التذكير والتانيث معنيان يبعدان عنا وبهما اشبهنا سائر الحيوان وهما منفيان عن الله تعالى
من كل وجه وكل جهة ثم قال بعد هذا الذي قدم من القول والذي اختاره في هذا
الجواب بعد التفتيش الوافي قولنا يفعل لا يصح معناه في الباري تعالى البتة بل قولنا يفعل عبارة عن انفعال
الاشياء له لان الاشياء وان لاشياء كلها مشتاقة اليه متوجهة نحوه متانسة مقتبسة منه وذلك اتصالات
وجوده فنحو الاشياء الى ذاته وشوقها الى قربه وحيث الوسايط بينها وبينه ثم ضرب مثلا فقال الا ترى ان
الطبل يضرب عند الرحيل من قبل الملك فترى كل احد يتحرك حركة لايقة به موقوفة عليه نحو الملك من غير ان يكون
قد تقدم الى واحد منهم بما يصلح بل هو على سكونه وحاله السابقة بما لا مراد لهم منه لا به فتحركوا مشتاقين متشبهين
ثم قال وينبغي ان تعلم انه لا فاعل الا و يعتريه نوع من انواع الانفعال في فعله كما انه لا منفعل
الا وهو يعتريه نوع من انواع الفعل في انفعاله الا ان في الانفعال خفي جدا والفعل في المنفعل خفي جدا فلهذا
لا يطلق على الفاعل الا الاسم الاشمل له الاول ولذلك لا يطلق على المنفعل الا الاسم الاخص له والاعم لجملته وهذا
وان كان الاطلاق والاستعمال على حد ما حقق القول فان للعقول لا سبيل الى انكاره وما عرف الحقيقة الا طريق
الى وجوده فقد بان ان قولنا يفعل ولا يفعل وفاعل وغير فاعل كلمات مطلقة على حد المجاز والعادة ٭

مقابسة اخرى

سمعت ابا اسحق الصابي الكاتب يقول لابي الخطاب الصابي اعلم ان المذاهب والمقالات والنحل والآراء جميع ما اختلف
فيه الناس وعليه كابرة في العقل التي ترى فيها قول وجعل مبدأ الاقوال انتهى منه الى اخر ما يمكن ان يقال فليس من
قول الا وقد قيل او يقال وليس من فعل الا وقد فعل او سيفعل وليس من شيء الا وقد علم او يعلم وهكذا
في الظن والرأي وغير ذلك وامثال هذا باين في كل ما اردته وذلك انك لا تشير الى رأي ونحلة الا امكنك ان
تظن به كل ما ظن ويظن وتقول كما قيل ويقال وانما يضيق محجم احدا ويتقسم مشرب الآخر لان الخاطر
يسنح مرة ولا يسنح مرة والقلب يتسع تارة ولا يتسع تارة واللسان ينطق وقتا ويسكت وقتا قال
ابو الخطاب هل للخواطر والالفاظ والآراء والمقالات نسبة الى المزاج والطينة والهوى والى العناصر بالجملة
فقال نعم لها نسبة قوية وعلاقة شديدة ورباط متين الى هذه الامور التي تنظر فيها او تطيف به
او تطل عليه ولا سبيل مع ذلك الى اتفاق الناس في حال من الاحوال ولا سبيل من السبل ولو امكن
ذلك لوجد الا ترى انه لا سبيل الى ان يكون الناس كلهم طوال القد او قصارها او ضخام الرؤس
او صغارها وفصحاء الالسنة او الكنها او على مذهب واحد او حد ومقابلة واحدة كيف يكون هذا او يظن
والطبيعة انما تعطي صورتها لكل شيء بحسب قبوله وتهيئه ومواتاته الزند من عطية الطبيعة ولكن
على قدر قبوله وصلابة الحجر من عطية الطبيعة ولكن على قدره فاختلاف الصور انما نشأ من اختلاف
المواد وهذا اصل لا اصل له وعلة لا علة لها لانه لم يفعله فاعل على ذلك بل الصورة من شأنها هذا والمادة من
شأنها ذلك ولامر سبب على سنن ما ترى فعلى هذا كل احد يتحلى بما شاكل مزاجه وينبض عليه عرقه ونزع اليه شوطه ويجري

به طينه وجرى بذلك الك عليه دأبه وديدنه له

مقابسة اخرى

سمعت الخوارزمى الكاتب يقول لابى اسحاق الصابى بن هيثم بن هلال لم اذا قيل لمصنف او كاتب او خطيب او شاعر فى كلامه كلام وقد اختل شئ منه وبيت قد اختل نظمه ولفظه قلت مصابه ها ت بدل هذه الالفاظ ومكان هذه الكلمه كلمه وموضع هذا المعنى معنى اخر نها فتت قوته وصعب عليه تكلفه بعد ان يد اول ذالك رايه ولو لم انشا قصيده مفردة وتحبير رسالة مقترحة كان عسوا عليه اقل وكان هزة عند اذا عمل فقال ان تم ما وهى يحتاج الى تدبير فذهات اوله من جهة صاحب الاول ومن كان اولى به وكان ذا رايه له وذالك شبيه بعلم الغيب وقل من ينفذ فى حجب الغيب مع العوائق التى دونه وليس كذالك من يبتدئ كلاما او ابتدا فعلا واقتضب حالا لا يستقل حينئذ بنفسه ولا يحتاج فيه الى شئ كان من غيره ويكون تلقيه قطة يعطيه تمام ما قد قدم عليه سده وقدح عليه زنده واتبين هكذا حاله فى كلامه ويعني به لم يعجس قط فى نفسه ولا عدله شيا من فكره فقد يعجزه ما لم يتاهب له ولم يوطن نفسه لبيدوي الحال كل مبتدئ شيا فقوة المبدإ فيه تفضى به الى غاية ذالك الشئ وكل متعقب امرا قد ابدا به غيره فانه يتعقبه يفضى الى حد ما بدا به فى تعقيبه ويصير ذالك مبدأ له ثم تتقطع المشاكلة بين المبتدا وبين المتعقب ه

مقابسة اخرى يج

قال يحيى بن عدى قول القايل العلة قبل المعلول لا مدخل للزمان فيه وكذالك قول النحويين الاسم قبل الفعل لا يتضمن معنى الزمان وكا نجار فى قضايا الدهر والفرق بين الزمان والدهر بين ولعله سيمر فى موضع من هذا الكتاب فقال له البديهى فقولنا الاب قبل الابن اين هو من الزمان قال من جهة لا مدخل للزمان بينهما وذالك ان الغرض فيهما ان هذا علة هذا ومن جهة يدخل لانه يصير موذنا بان هذا كان فى الزمان قبل هذا فى الزمان واما قول النحويين ان الاسم قبل الفعل فمعقول ان رتبته مقدم عليه ولا فى وجد الاسم وجد الفعل ومتى وجد الفعل وجد الحرف فرتبة الوجود واحدة فى الجميع ومراتب الاعيان مختلفة فى الجميع ثم قال ويبنى ان يصفو الحظ الذى يجرد فى نحو الاشياء الاول التى هى كثيرة بالاسماء والنعوت عند الاستعمال وواحدة بالحقايق والذات فان هذا التطراد صفى وتم كفى موونة عظيمة وحاز امرا عزيزا ه

مقابسة اخرى يد

قال يحيى بن عدى فى درس البديهى عليه سنة احدى وستين وثلثمائة وناحاض ما مبدأ الجوهر الصورة والمادة ومبدأ الكم النقطة والوحدة ومبدا الكيف السكون والحركة قال وهذه المبادى هى اوايل العالم العلوى والسفلى والعقلى والحسى وصار يصاحبها التخليص بحث العقل واستنباط النفس وشهادة الحال وحقيقة المطلوب ان حاول محاول زيادة على هذا لم يستطع وان رام رايم نقصا منه لم يقدر لان انتظامه بالعلة الاولى وتمامه من اجلها ودوامه بدوامها والحركة والسكون والنقطة والوحدة والمادة والصورة لم تختلف فى اعيانها بل القوابل التى هى بها ويحسبها انقسمت النعوت عليها واشتركت العبارات عنها ومتى امكن تسدد اللحظ الى الغاية والى النهاية المتناهية لم يوجد الا الحق الذى هو هو لا لشئ هو به بل كل شئ هو به هو لما هو من اجله ثم قال النقطة فى الجوهر صورة والصورة هى فى الكم نقطة

والوحدة في جميعها مستولية شاملة محتوية غالبة فاليها يجب ان يرمى الرامي وعنها يجب ان يحكي الحاكي فليس فوقها منتهى ولا دونها مبتغى قال العروضي اذا كانت الوحدة مستولية كما بان من القول فما بال الكثرة ادنى الينا واسبق الى نواظرنا واغنى عن طلب الدليل فيها فقال لانا بها وهي بنا فمن هذه الجهة وجب ان تشتد عنايتنا في تحصيلها وتقليبها حتى تظهر الوحدة في الثاني كما ظهرت الكثرة في الاول وهو الذي يسمى سعادة واليها وقع التوجه وعليها اقتصر السعي ه وحصل ابو العلا صاعد فانقطع الكلام وفات ان يبلغ اقصى ما عنده

يه

مقابسة اخرى

قلت لوهب بن يعيش الرقي لم صارت الكيفية تسرى من الكيف الى الاول والثاني مثال ذلك الرايحة التي للتفاح فانها تسرى الى الدماغ وليس كذلك الكمية من ذي الكم مثال ذلك تفاحتان وثلاث عند زيد لا تسرى كميتها الى عمرو فقال الكمية اقرب الى الجوهر واشد تحدا به وادل على المواصلة والتشبث بالوحدة وليس كذلك الكيفية بحسب الكثرة تخالفنا المقتضى الكيفية بحسب الوحدة الا ترى ان الكيفية تابعة لما ترى اي الجسم واسبق من الطبيعة الا ترى ان الكمية تابعة لما ترى اي العقل وتتصل بالنفس

يو

مقابسة اخرى

لم صار الانسان اذا زور كلاما للمجلس يحضره وخصم يناظره وصاحب يعاتبه لا يكون باداً به في حال ما يباشر المراد يرجع عن الغرض ويتوخى غاية ما في النفس فقال لانه في الحال الثانية يصير اسيرا في يد ما قدمه ووقمه فهو يحتاج في تلك الحال الى قوة حافظة وقوة مؤدية وربما خاننا هاتان الحديهما وليس كذلك اذا ارتجل كلاما واقترح معنى فانه يكون مطلق العنان في ضروب التصرف وافانين التزيين غير موقوف على شيء متقدم ولا محقق شيئا موقفا يخاف مجانبته على خلاف تقديره في وهمه ووضعه في نفسه بخلو من الحال وسلامة البال يفضيان به الى آخر ما في نفسه لان الواسطة الحايلة ساقطة والحجب محرزة والاولية منفية والوحدة ساعدة لا تسرع ايدك الله الى الطعن والعيب في هذه المواضع التي تولت قليلا ولا يبلغ ظنك بها ان الجميع اخذ عن هؤلاء الجلة الاعلام حسب ما كانت المذاكرة والمقابسة تمتد ان بهم ويقوران عليهم وكان الغرض كله ان يستفاد كل ما تنفسوا به وتنافسوا فيه فان شاركتني على ذلك فالحكمة فيما بيننا والحق شايع عندنا والفائدة حاصلة لنا واذن اجبت بجدك وفطنتك لم تخرج من جميع وجوه العدل الى الظلم لكن تبعد عن الخلق الجميل وعما يليق بالرجل الاصيل واساس التلاقي والاجتماع والتصافي والاستماع والمفاوضة بين الناس بكل ما نطق بالتودد والايناس على الكرم وتفضيل ذوي العناية والحياء والابقاء والاغضاء الحري من رياسة والسعادة والاعلى ما يجمل بذوي الحكمة والفضل والحفاظ والله يبلغ بك ويحسن على اقتباس الحكمة عونك وتفرغيتنا بمكانك وبعد ساحتنا للزلفى عنده والمكانة فيه بمنه واحسانه على انك اذا استقصيت هذا الكتاب كله وفليته وعرفت غريبه وعجايبه علمت انك ظالم ان عتبت واني مظلوم في يدك اذا استزرت ووالله لقد تعبت في تخليص ما قالوه وخاطرت الآن بروية ما بقي ابوء ولو عرفت معاني لما الخطاب بالحالي ولا حلوت من عمري من بعض ما تجنى به على كان الله لك واخذ بيدك وادام الصنع الجميل لك

يز

مقابسة اخرى

سيل ابن سوار وكان ابن السمح ثناب الطاق هل ما فيه الناس من السيرة وما هم عليه من الاعتقاد حق كله او اكثره حق او كله باطل او اكثره فقال المسئلة هائلة والجواب هين قبل انه ما افادك الله فان زكية العلم لا تمزح وان اختلف عليها الدلاء وكثر على حافاتها الواردة فقال صدقتم واعلموا انه اذا

لحظ استيلاء الطبيعة عليهم وعليتها لهم في الراي المعتقد والسيرة المؤثرة فاكثر ذالك بالحال الان سلطان
العقل في بلاد الطبيعة غريب والغريب ذليل وان لحظ حكم العقل وما يجب به ويليق بجوهره ويحسن
مضافا اليه فاكثر ذالك حق كان الملحوظ رايا وسيرة وعادة او خليقة وعلى حسب هاتين القبيلتين
يكون القضاء ويقع الحكم والحق لا يصير حقا بكثرة معتقديه ولا يستحيل باطلا بقلة منتحليه وكذلك الغالب
ولكن قد يظن بالراي الذي قد سبق اليه الاتفاق من جملة الناس وافاضلهم انه اولى بالتقديم و
الايثار واحق بالتعظيم والاختيار لانه يكون مقوما بالبحث مجبورا بالفكر مصقولا على الزمان تلمسه كل يد
وتجليه كل عين وتتعاوره شانية على صورته الواحدة دليلا قويا وشاهدا زكيا على حقيقته لانه يبرا حينئذ من
هوى ويعرى من تعصب ناصره ويبقى بصورته الخاصة ويجري مجرى السكينة التي لا تحتاج الى علاج المعالج
وتمويه المموه واستنقاد المنتقد وتنفيق المنفق وحيلة المحتال ٭

٤ ## مقابسة اخرى

سالت ابا زكريا الصيمري عن الانسان يقول حدثتني نفسي بكذا وكذا وحدثت نفسي بكذا وكذا هذا فاني
اجد الانسان ونفسه يجاريان متلاصقين بلا افتراق فيتحدثان ويتصالحان فيتعاضدان وهذا يدل على بينونة
بين الانسان ونفسه فقال الانسان انما هو انسان بالنفس والنفس ما هو انسان والانسان
له صورة بحسب قبوله من النفس والنفس نفس بحسب ملابستها للبدن وتصريفها له وتدبيرها فيه
فاذا قال الانسان حدثتني نفسي او حدثت نفسي فانما ذالك لشعوره بشرف نفسه فقد ربما استفاد
من صورتها الخاصة به واستنارة العقل عليه هذا ان كان الحديث مواتيا للحق اخذا بقسطه منه
وان يكن الاخرى دخل الفساد من ناحية المادة والخلط والمزاج والقابل الا ترى انك لا تقول حدثني عقلي
بكذا وكذا ولا حدثت عقلي بكذا وكذا لان افق العقل اعلا وعالمه ارفع واثره الطف واقوى ونسبه
اشرف واسنى والانسان متقوم بالنفس حتى اذا لحظها بعينه التي له منها ساغ له ان يحدثها ويحدث
عنها ويحقق بثها وحالها وهي العقل بوجه اخر والعقل هي بوجه اخر ولكن العبارة عن هذه الخفيات
قاصرة وان كانت النفس بها مستقرة فعلى هذا الانسان يحدث نفسه بما يغلب منها وتحدثه نفسه
بما يغلب عليها منه وهو هي وهي هو ولكن بنوع ونوع وحال وحال واسم واسم وملحوص وملحوص
وتقريب وتقريب وهذه معان اختلست من مذاكرات هذه المشايخ فلم يمكن ان تورد تامة
مستقصاة لان الكتب التي تروض هذه الحقائق موجودة ومن يشرح مشكلها ويفتح مستغلقها
حاضر فليكن التعويل في بلوغ غايات هذه المواضع على العلماء والكتب والقرائح

ط ## مقابسة اخرى

خرج ابو سليمان يوما ببغداد الى الصحراء بعض ايام الربيع قصدا للتفرج والمؤانسة وصحبه وكان معنا ايضا غلام
دون البلوغ جهم الوجه بغيض المحيا شتيم المنظر ولكنه كان مع هذه الصورة يترنم ترنما نديا عن جرم
نزف وصوت شجي ونغمة رخيمة واطراف حلو وكان معنا جماعة من طراف الحلة فلما تنفس الوقت اخذ الصبي
في فنه وبلغ اقصى ما عنده فترنح اصحابنا وتهادوا وطربوا فقلت لصاحب لي ذكي اما ترى ما يعمل بنا شجي
هذا الصوت ومنه هذا العاشق وطيبه هذا اللحن وتفنن هذه النغم فقال لو كان لهذا من يخرجه ويعني
به ويلقنه بالطرائق المؤلفة والالحان المختلفة لكاد يطير الى الغاية ويصير فتنة فانه عجيب الطبع بديع الفن غالب الذهن
والشرف فقال ابو سليمان حدثوني بما لكم فيه عن الطبيعة لم احتاجت الى الصناعة وقد علمنا ان الصناعة تحكي الطبيعة وتروم اللحاق بها والقرب فلتة

منها على سقوطها دونها وهذا راى صحيح وقول مشروح وانما حكمتها وتبعت رسمها وقصت اثرها لانحطاط
رتبتها عنها وقد زعمت ان هذه الحوادث لم تكفها الطبيعة ولم تغنيها وانها تغير وانها قد احتاجت الى الصناعة حتى
يكون الكمال مستفادا وماخوذا من جهتها والغاية مبلوغة بمعونتها او اصدارها فقلنا له ما ندري في
اهذه المسألة فقال وفكروا فعدنا له وقلنا انا قد ثلجنا ولو منت بالبيان ونشطت لنشر الفائدة كان
ذلك محسوبا في بيض اياديك وغرر فضائلك فقال ان الطبيعة انما احتاجت الى الصناعة في هذا المكان
لان الصناعة هاهنا تستملي من النفس والعقل وتملي على الطبيعة وقد صح ان الطبيعة مرتبتها دون
مرتبة النفس وتقبل آثارها وتمتثل امرها وتكمل بكمالها وتعمل على استعمالها وتكتب باملائها وترسم بالقائها
والموسيقى حاصل للنفس وموجود فيها على نوع لطيف وصنف شريف فالموسيقار اذا صادف طبيعة قابلة
ومادة مستجيبة وقريحة مواتية وآلة منقادة افرغ عليها بتاييد العقل والنفس لبوسا مونقا وتاليفا
معجبا واعطاها صورة معشوقة وحلية مرموقة وقوته في ذلك تكون بمواصلة النفس الناطقة فمن
هاهنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة لانها وصلت الى كمالها من ناحية النفس الناطقة بوساطة الصناعة
الحادثة التي من شانها استملاء ما ليس لها واملاء ما يحصل فيها استكمالا بما تاخذ وكمالا لما تعطي فقال
له البخاري وكان من تلامذته ما شكرنا على هذه الصلات السنية وما حمدنا الله على ما يهب لك منك
من هذه الفوائد الدائمة فقال هذا بكم اقتبست وبحجركم قدحت والى ضوء ناركم عشوت واذا صفي
ضمير الصديق للصديق واضاء الحق بينهما واشتمل الخير عليهما وصار كل واحد منهما رداء لصاحبه وعونا على
قصده وسببا قويا في نيل ارادته ودرك بغيته ولا عجب من هذا فالنفوس تتقادح والعقول تتلاقح والالسن
تتفاتح واسرار هذا الانسان الذي هو العالم الصغير في هذا العالم الكبير كثيرة جمة واسعة منبثة وانما يحتاج
الناظر في هذا النمط الى عناية بنفسه في طلب سعادته ورعاية لحاله في السلوك الى غايته غير عائج على زهرة
العين ونضرة الحس ولذة الوقت فانه بهذه المقدمات يصل الى تلك الغايات ويجنى تلك الثمرات ويجد
تلك التكاليف مرتفعا عن هذه الاقذاء والقاذورات واول هذا الامر وآخره بالله ومن الله اللهم طهر قلوبنا
من ضروب الفساد وحبب الى نفوسنا طرائق الرشاد وكن لنا دليلا الى نجاتنا كفيلا بمنك وجودك الذين
ما خلا منهما شيء من خلقك العلوي والسفلي ولا فاتا شيئا من صنعك الجلي والخفي يا من الكل به واحد
وهو في الكل موجود هذا ما خلص من هذا الاجتماع وهو ظاهر الشرف اتيت به على ما لقيته في شرح كنى واستحسانه
وقبوله وكن معينا لي على طلب نظيره والتعاقب على الخير والتناصر على البر سيرة الفاضلين وعادة
اهل التقى والدين

مقابسة اخرى

قلت لماخم المجوسي وكان ذا حظ وافر من الحكمة لابي الحسن محمد بن يوسف العامري وكان من اعلام عصره ايها
الشيخ اني اجد النظر في حال النفس بعد الموت مبنيا على الظن والتوهم وذلك ان الانسان كما يستحيل منه ان يعلم
حاله قبل كونه ووجوده كذلك يستحيل ان يعلم حاله بعد كونه لانه يصير منتهى علمه ومستنبط مراده عدما و
العدم لا يقتبس منه علم شيء بوجه ولا يستفاد منه معرفة حال لا فيما يتعلق بالحق ولا فيما يتعلق بالباطل
فقال في الجواب ليس النظر في حال النفس بعد الموت مبنيا على الظن وان كان شبيها به ولن يجب
ان يثبت القضاء في هذا المعنى بالظن للمشابهة بينه وبين غيره لان الفصل حاضر والفرق ظاهر وذلك
ان الانسان لم يجهل حاله قط فيما سلف لان الطريق الى تبيين ذلك وتحصيله مسلوك والشاهد

والشاهد على ثمرة المطلوب تيسير التقريب يدل على ذلك في هذا الوقت وان كان البرهان في الصناعة موجودا
اذا اخذت على ترتيبها الخاص بها في معرفة المنطق الذي هو آلة في استقراء الطبيعة التي هي مراتب في معرفة
النفس التي هي طلبتنا كما نحن في علم متحقق بجملته كان للانسان الاخر سيرته في هذا العالم فلما صيرت النفس
لها حركات الطبيعة على تأليفها وتوزيع الكلات المختلفة فيها واعطتها النفس بوساطة الطبيعة صورة
حصتها بها ودبرت اخلاطها وهيئات مزاجها فظهر الانسان في التأني بشكل غير الشكل الذي كان للاجزاء التي
مرها في الخوالي حتى الى الحيوان بالقول المحصل والكلام في هذا ذو شعب وذوائب فان الانسان في معارفه التي يتحققها
يجد لنفسه قنية ليست كسائر القنيات وهيئة ليست كجميع الهيئات اعني الحكمة التي هي علم الحق والعمل
بالحق فيجوز طالبا لبقائها ناظرا وباحثا عن حقيقة ذلك حائرا الى ان يبلغ بفرط العناية وجودة الفحص و
حسن مشاورة العقل الى الحد الذي يتضح له بان النفس ليست تابعة للمزاج ولا حادثة بالاخلاط بل هي
مستتبعة للمزاج ومقومة للاخلاط ولو كانت الطبيعة التي هي ظل من ظلالها اذ قواها وان النفس ليس لها
استعانة بالبدن ولا بشيء منه وانها خالصة لا شوب فيها وقائمة بجوهرها غنية بنفسها عما يفسدها
ويحللها ويحوجها ويؤثر فيها وكيف يكون ذلك وهي لا تنفعل البتة ولا رداءة فيها البتة فبهذا
واشباهه يتفتح للانسان ان النفس يمكن ان تطلب علم حالها بعد مفارقة البدن بالامر الطبيعي
والسبب الضروري فقد تجلى وانكشف ان البحث عن ذلك ليس بحثا عن عدم مطلق بل هو بحث عن
احوال مترتبة منهورة مرتبة محدودة بل هو بحث عما يتصور غايته ويطمئن اليه تارة بالبرهان المنطقي
وتارة بالدليل العقلي وتارة بالايماء الحسي والامر الالهي وقال ______ ايضا في مثل هذا الموضع
ما يجب ايراده وان طال الفصل واسامر ذكره ان الحسيات معابر الى العقليات ولا بد لنا ما دمنا
محتجبين عن حقائق العقل ولا نقدر ان نخلص الى عالمه دفعة واحدة من سبيل نسلكها ومثل نستعيرها
وشواهد نستنبطها ونتوق بها ولو امكننا القول الى عرصات القول وبلاده كان التقاءنا
الى الحواس فضلا لا انا متى اخذنا الامثلة من الحواس فليس يجب ان نتشبث بها الى التي
ونطالب بها المعقولات كل الطالب بل الذي يحكم به الحق ويقتضيه الحزم ان ناخذ الامثلة من الحس
فاذا وصلنا الى العقل حينئذ فارقناها واستغنينا عنها مستوحشين منها ومن حرجها واضطرابها ولما
كنا بالحس في اصل الطبيعة لم ننفك منه ولما كنا بالعقل في اول الجوهر لم نجهل فضله فلهذا ما تعلقنا
بالحس ولم نفض به ووصلنا الى العقل ولم نميز عليه وهذا اقتضاه قول عرض في جملة كلام مر وذلك
انه في كل محسوس ظل من المعقول وليس في كل معقول ظل من الحس ومتى وجدنا شيئا في الحس فلما اثر
عند العقل به وقع التشبيه واليه كان التشوق وبه حدث المقدار والانسان متى لم يخلع آثار الحس
خلعا لم يجل لبوس العقل تجليا وانما شوق الاقرار بمعرفة حال النفس بعد الموت لان الحس لم يساعد
في تسليم ذلك بشهادة يسكن اليها وان كان العقل قد استوضح ذلك بالامثلة المضروبة في اقامة
البينة عليها وفي الجملة هذه المسألة عذراء ضيقة ونجاء مشكلة ولكن العقل الذي هو خليفة الله
في هذا العالم يجول في هذه المضايق ويدفع هذه الموانع والعوائق ولولا هذه الغاية المرموقة
والحالة المعشوقة بهذه الاوائل المشروحة والابواب المفتوحة لكان اليأس يزهق الارواح ويتلف
الانفس ولكان العالم بكل ما فيه من العجائب والآثار والشواهد لشيء لا حقيقة له ولا حكمة
فيه وانه شبيه بالعبث واللعب وليس له محصول ولا فيه شيء معقول ولا حاجة بعد هذا

البيان الذي عز جاديه وطرب سامعه في هذا المكان الا قلة الصبر على النظر وسوء العناية في طلب
الحق وايثار الراحة بالراحة وقطع ايام العمر بالتمني وتوجيه التهمة الى الحق وتسليط الجدل على
الاستبصار والاعتماد على البهت والوقاحة والافات الحق معرض لك بل بارك عليك بل نازل
عندك بل حاضر عندك بل متحلل بك موجود فيك وانما يؤتى من جفائك في الطلب وسوء التاني
في التحري لا من تواري الحق عنك ولا من اشتباهه عليك وليس مع الجفا والعنف وصول الى الحق
ولا مع الرفق يأس من الحق الحق اسبق اليك منك واعطف عليك وارأف بك منك واظهر
فيك منك في غيره وكان وقفنا بهذا الباب فيما عليه وسقط عني شيء كثير مع هذا كله وفيما حصل
نقلل وعلى الله التمام

٢١ **مقابسة اخرى**

سمعت ابا سليمان يقول فضيحة حسيب لا ادب له افظع واشنع من فضيحة اديب لا حسب له
فقال ابن الوراق النحوي ولم ذاك فقال لان هذا عدم ما يقوم نفسه ويكمل ذاته وذاك
فقد ما يقوم اصله ويتبع قديمه والنفس انفع من الاصل لان الاصل راجع الى الولادة والنفس
دالة على النقص والزيادة نعم وعلى الشقا والسعادة وقد يحرز الانسان بنفسه الجيدة سقوط
ابويه قبيلا في تكسب الخير وايثار الجميل وشد الادب وقصد العلم كل ذلك سلف لم كما يحرس
الانسان لشرف ابويه فيتكل على ما سبق لاوليته ولا يشتغل زمانه العزيز في تحلية نفسه بحلى اباء
واجداده ولخواله واعمامه ليكون ذلك زينة له في حياته وذكرا لعقبه من بعده فلا جرم احرى من
صاحبه كثيرا ثم قال سمعت بباب الطاق في هذه الايام وانسان من اكاد السوق يقول
لاخر من ضربا ير شرفك ميت وشرفي حي وشرفك اخرس وشرفي ناطق وشرفك اعمى وشرفي بصير
قيل له ماذا اراد بهذا قال اراد انه بنفسه على هذه الفضائل الشريفة والحال المتمناة وانت
بنفسك على اضدادها لا تحيي ولا تنطق ولا تنضر لم تنفعك ارومتك البيضاء ولم تضرني جرثومتي
السوداء ومتى نابك امر فحدث بشرف غيرك فكنت بمنزلة الخصي المدل بفحل غيره وهذا ما لا
يجدي عليه عند البضاع

مقابسة اخرى

قلت لابي سليمان اني اجد بين المنطق والنحو مناسبة غالبة ومشابهة قريبة وعلى ذلك فما الفرق
بينهما وهل يتعاونان بالمناسبة وهل يتفاوتان بالقرب فقال النحو منطق عربي
والمنطق نحو عقلي وجل نظر المنطقي في المعاني وان كان لا يجوز له الاخلال بالالفاظ التي
هي لها كالحلل والمعارض وجل نظر النحوي في الالفاظ وان كان لا يسوغ له الاخلال بالمعاني
التي هي لها كالحقائق والجواهر الا ترى ان المنطقي يقول بعض وهو يشغل والنحوي فيما اخلا
اللفظ ونظاير هذا المثال شوايع ذوايع في عرض الفنين والنظيرين اعني المنطق والنحو وكما
ان التقصير في تحبير اللفظ ضار ونقص وانحطاط فذلك التقصير في تحرير المعنى ضار ونقص
وانحطاط وحد الافهام والتفهم معروف وحد البلاغة والخطابة موصوف والحاجة الى
الافهام والتفهم على عادة اهل اللغة اشد من الحاجة الى الخطابة والبلاغة لانها متقدمة
بالضمير والطبع اقرب الينا والعقل بعد عنا والبديهة منوطة بالحس وان كانت معانة من

بهرج الحسن وليس ينبغي ان يكتفى بالافهام كيف كان وعلى اى وجه وقع فان الدينار قد يكون ردئ ذهب
وقد يكون ردئ طبع وقد يكون فاسد السكة وقد يكون جيد الذهب عجيب الطبع حسن السكة فلنا
الذي عليه المدار واليه العيار بمرجه فمرة برداءة هذا ومرة برداءة هذا ويقابله مرة بحسن هذا ومرة
بحسن هذا والافهام افهامان ردئ وجيد فالاول لسفلة الناس لان ذلك غايتهم وشبيه
برتبتهم في نقصهم والثاني لساير الناس لان ذلك جامع للمصالح والمنافع فاما البلاغة فانها زايدة
على الافهام الجيدة بالوزن والبناء والسجع والتقفية والحلية الرايعة وتخير اللفظ واختصار
الزينة بالرقة والجزالة والمتانة وهذا الفن لخاصة النفس لان القصد فيه الاطراب بعد الافهام
والتواصل الى غاية ما في القلوب لذوي الفضل بتقويم البيان قلت ـــ له فما النحو فقال على
ما يحضرني الساعة من رسمه على غير تصفية حده وتنقيحه انه نظر في كلام العرب يعود بتحصيل
ما تألفه وتعتاده او تفرقه وتتعلل منه وتعرفه وتخليه او تاباه وتذهب عنه وتستغني بغيره
قلت ـــ فما المنطق قال آلة بها يقع الفصل والتمييز بين ما هو يقال هو حق او باطل فيما يعتقد
بين ما يقال هو خير او شر فيما يفعل وبين ما يقال هو صدق او كذب فيما يطلق باللسان وبين
ما يقال هو حسن او قبيح بالفعل قلت فهل يعين احدهما صاحبه قال نعم واي معونة اذا اجتمع
المنطق العقلي والمنطق الحسي فهو الغاية والكمال قال ويجب ان تعلم ان فوائد النحو مقصورة
على عادة العرب بالقصد الاول قاصرة عن عادة غيرهم بالقصد الثاني والمنطق مقصورة
على عادة جميع اهل العقل من اى جيل كانوا وباى لغة ابانوا الا ان يتعذر اسما عند قوم
وتوجد عند قوم فحينئذ الحال في التقصير يتوك على تعذر الاسماء او على وصفها على
الخلاف اما بالتواطؤ والاصطلاح واما بالطبع والاسماع قال ـــ وبالجملة النحو
يرتب اللفظ ترتيبا يؤدى الى الحق المعروف او الى العادة الجارية والمنطق يرتب المعنى
ترتيبا يؤدى الى الحق المعترف به من غير عادة سابقة والشهادة في المنطق ماخوذة من
العقل والشهادة في النحو ماخوذة من العرف ودليل النحو طباعي ودليل المنطق عقلي
والنحو مقصور والمنطق مبسوط والنحو يتبع ما في طباع العرب وقد يعتريه الاختلاف
والمنطق يتبع ما في غرائز النفوس وهو مستمر على الائتلاف والحاجة الى النحو اكثر من
الحاجة الى المنطق كما ان الحاجة الى الكلام في الجملة اكثر من الحاجة الى البلاغة لان ذلك
اول وهذا ثان والنحو اول مباحث الانسان والمنطق آخر مطالبه وكل انسان منطقي بالطبع
الاول ولكن يذهب عن استنباط ما عنده بالاهمال وليس كل انسان نحويا في الاصل والخطأ في النحو
يسمى لحنا والخطأ في المنطق يسمى احالة والنحو تحقيق المعنى باللفظ والمنطق تحقيق المعنى بالعقل
وقد يزول اللفظ الى اللفظ والمعنى بحاله لا يزول ولا يحول فاما المعنى فانه متى زال الى معنى آخر
تغير المعقول ورجع الى غير ما عهد في الاول والنحو يدخل المنطق ولكن مرتبا له والمنطق يدخل
النحو ولكن محققا له وقد يفهم بعض الاغراض وان عرى لفظه من النحو ولا يفهم شئ منها اذا
عرى عن العقل فالعقل اشد انتظاما للمنطق والنحو اشد التحاما بالطبع والنحو شكل سمعي و
المنطق شكل عقلي وشهادة النحو طباعية وشهادة المنطق عقلية وما يستعار للنحو من المنطق النحو
حتى يتقوم اكثر مما يستعار من النحو للمنطق حتى يصح ويستحكم فالمنطق وزن لعيار العقل والنحو

كيل بصاع اللفظ ولهذا قيل النحو الشذوذ والنادر رددي المنطق ما جرى مجراهما فهذا ما استرف
من قوله وهو باب مفتوح يمكن ان يقال فيه من هذا الجنس ما يكون شاهدا لما قال والسلام

٢٣ مقابسة اخرى

قلت لابي سليمان كنا امس في مجلس ابي علي القومسي نجري كلاما في الظرف فقال له الاندلسي ايها الشيخ
لم صار الظرف المخصوص بالزمان اكثر من الظرف المخصوص بالمكان فسكت هنيهة ثم قال لا ادري
وليس هذا من النحو النحوي فهذا ان تعرف ان لنا الظرف ظرفان ظرف زمان وظرف مكان وتحصوا اسماء هذا
وتميزها من اسماء هذا وتقف على المواضع المخصوصة بها والاعراب اللازم لهما وفيهما فقال
ابو سليمان صدق ابو علي فلقد ظلمه الاندلسي من اين يعلم ذلك وليس عليه في صناعته ان يبحث
عنه لان مبادي كل صناعة ماخوذة من ناس آخرين قوامين عالين قلت فلو افدتنا فيه
شيئا فقال الظرف الزماني الطف من ظرف المكان والمكاني اكثف من ظرف الزمان وكان المكان
من قبيل الحس والزمان من قبيل النفس وكان الزمان من حد المحيط والمكان من حد المركز فوجب
لهذا ان يكون تصرف الالطف اكثر من تصرف الاكثف وبحسب تصرفه يكون اسماء احواله في تصرفه
اكثر والزمان منسوب الى حركات الفلك فجوهره شريف والمكان من جوهر المحيط فجوهره مخلوط
والفلك اقرب من الامور العالية فكذلك مرسومه الذي هو الزمان قال ومما يشهد ان الزمان
الطف انك تقول زمان حاضر وزمان ماض وزمان مستقبل هذا بالنظر الاول وقد احس
به كل الناس وهو يزيد بالمنطق على هذه القسمة زيادة بينة ومن اجل تصرف الزمان في الوجوه
الكثيرة استخرج يحيى بن عدي المنطقي من قول القائل القائم غير القاعد وجوها تزيد على عشرين
الف وجه بالافي ورسالته في ذلك حاضرة ثم قال ومما يزيد لطافة الزمان وضوحا ان الزمان
الواحد يجري لكثير من واحد الى ما لا آخر لها والمكان الواحد متى شغل بالواحد عجز عن الثاني ثم قال واي
نظر اشرف من نظر الفيلسوف الذي يترقى من السفل فيجول في الوسائط ويبلغ الى العلو وربما انحدر من العلو
يخرق بهذه الحجب كلها مبينا عنها وعن جملتها وتفصيلها بمعرفة موزونة من العقل وروية
مؤيدة بالبصيرة وحقائق بالعدل موزونة وتصفح بالغا الى الحد الاقصى بلا طرف ولا ترقب
ولا شك ولا مرية بل علم ثابت ومعرفة راسخة وبيان جلي ومشاهدة تامة وبرهان موجود
وللشغوف بالحكمة في هذه المواضع مواد ومسرح ومرعى ومغنم وذلك لان الالهية عالية
وعلايقها متشاكلة متناسبة ومواجهها متقاربة متواصلة كشفا لفظا بالنظر والفحص
بان منها ما يبهر كشعاع الشمس وكان نضر الله وجهه اذا سلك هذا الوادي سال عزاه
ولم يدرك طرفاه وكان يخرج من باب الى باب ومن صنف الى صنف استراحة من طول
جمامه وانسا بمن يفهم عنه بعض مرامه وذلك انه كان مهجورا مطرحا وطول سكوته و
يتضاعف ادبه فاذا حركناه ادبي تحريك انفتح وانفرج وترك التقية الوحشة والمداراة
الثقيلة وكان ربما انشد بعد هذا الشوط الطويل والنفس المديد قول الشاعر

لو كنت اقدر ان اقولا   لشفيت من قلبي غليلا
لكن لساني صارم   مليت مضاربه فلولا

مقابسة اخرى

سألني أبو سليمان يوماً عن الطبيعة وقال كيف هي عند أهل النحو واللغة أهي فعيلة بمعنى فاعلة أو
بمعنى مفعولة قلت لم أكره أن أرتجل الجواب عنها لعلي أرفع فيه إلى الاعتذار منه وأنا أسئل
شيخنا أبا سعيد السيرافي غداً إن شاء الله فهو اليوم عالم العالم وشيخ الدنيا ومقنع
أهل الأرض فقال إنه كذلك أجمله منك على بالي وتلطف في تحصيل ما عنده أجمع في
هذه المسئلة فسألت أبا سعيد عنها فقال هذا من قبيل الأسماء المحضة لا
من قبيل الأسماء المشوبة فلا يقال لذلك إنه فعيل بمعنى فاعل كقدير بمعنى قادر ولا يقال إنه
فعيل بمعنى مفعول كذبيح ولكن يقال هو فعل في أصله كجبير وأثير ومع هذا فمعنى المفعول
به أقرب من معنى الفاعل منه ولفعيل أسرار ووجوه وقد كان بعض الناس ذل فيه عند بعض
الأمراء وإذا لم يكن بد من اعتباره على طريقة هذا السائل فلأن يكون بمعنى مفعول أولى وذلك أنا نقول
طباعه كذا وكذا وطبيعته أي ما طبع عليه ومعنى فعل والمفعول فيه أبين وأخواته يدل على
ذلك أعني الضريبة والسليقة والسجية والغريزة والنحيزة قال وهذا كلام
كاف في الحرف فإن استزدته فإنه فرّق بأشياء لك ذكرها هاهنا كالواجب وإن لم تكن
محتاجاً إليه من كل وجه ولكن الكلام له صورة لا تملك وغاية لا تدرك وإذا عادها زحمته
بغاية لعلها تشاكل نفس ما نحن فيه وتسهل له وتحدث عليه فقد برينا من العنف
واللوم والإفراط في التوبيخ إن شاء الله تم قال واعلم أن للأفعال مراتب مختلفة في
مواضع متباينة فالظاهر منها مرتبة ضرب وما ماثله فإنه نافذ إلى مبعد ولست أعني بما
ما كان مثلاً شيئاً بل ما زاد عليه أيضاً ولكن بعد أن تكون له أثر منفصل من فاعله ثم ما عدا
هذا أيضاً مراتب أعلاها ما يلزم كقولك خلا وعلا وكرم وظرف وعلم وسلم وثبت ودبّ
ثم قال ما زاد أيضاً مثاله هذا حكم كقولك تدحرج واحرنجم والإنسان له في كل شيء من هذه
الأشياء شكل يباين شكله الآخر بما من المباينة يشعر به مرة ويسهو عنه أخرى ومجموع الأفعال
فعل يحدث بك من غيرك مثل ما يحدث لغيرك منه مثاله ضرب وضرب يحدث بك منك
مثاله حسن وسمع وضرب يحدث فيك مثاله خجل ووجل ونسي وفي نوع ما يحدث بك
ما يجوز أن يؤمر به وأن ينهى عنه مثاله اشجع ولا تجبن واعلم ولا تجهل وهاهنا ضرب تحدثه
أنت فيه أو تحدث به مثاله ركن وجد وأعدم وإذا حققت النظر كانت المطاوعة أغلب على
جميع هذه الضروب إلا ما تميز عنها ولم يلتبس بها إلى هاهنا حصل ما اتصل بما كنا فيه
وكرهت أن أخترله عنه وأعود فأتمم صدراً بدأت به في هذه المقابسة بعجزه ثم فبادرت
بالجواب إلى أبي سليمان وقصصته قراءة عليه فقال هذا حسن مقبول ويدل أن ما سمعته
من هذا الشيخ غيض من فيض وشرارة من حريق ثم قال وإنما يصح قوله هذا إذا خص
المعنى الذي خصت الطبيعة به من قبولها من النفس وانقيادها لتصريفها وانفعالها
بتفعيلها فإن الطبيعة كالهدف لما على النفس وكالشيء الشاخص فاه المنتظر لما يلقى إليه
ويرسم له لا يتعدى حكمه ولا يعصي أمره ولا يخالف نهجه وهذا شأن النفس مع العقل
ولكن أعلى من هذا لأن الفيض الأول والجود الأول لا واسطة له ولا شوب ولا عارض عليه
ولا كدر فيه ولا اختلاف ولا تزاحم في الاختلاط ولا تدافع ولا اعتراض بل على نوع الخلوص

وما يزيد على ما يقع في النفوس ثم التنزيل والتدابج والوشج يفيض ذلك كله في الطبيعة بصباباتها
وسفافاتها وبقوافيها ومعانيها وتظهر عند ذلك الاشكال المختلفة في الاشخاص وتبدو اقواه
بوسايط المسامع والاحساس فاما اذا وفحصها فيما يقبل منهما اما دونها وينقاد لها ويأتم لامرها
ويجري على رسمها ويظهر تشكلها في الاجزاء المتشابهة المختلفة العناصر المختلطة والمتميزة
وللمواد المستعدة والابنية والاشتات الملائمة والمتباينة فانها في حد الفاعلة التي تطبع
وتنقش وتصلح وتجمع وتؤلف وتنقض وتخفر وتهيج وتندر وتستخرج وهذه الرتبة
حصلت لها من تقبلها النفس لانها اعطتها صورتها وكانت فاعلتها ولانها قبلت
منها فكانت منفعلة لها فلها المرتبتان والحالتان بنظر ونظر ووجه ووجه قال واذا وقف
على هاتين الحالتين الاولى بموجب اللسان العربي والثاني بقضية الاعتبار النظري لم يبق في
الطبيعة من هذا النسق ما يفتقر الى ايضاحه والابانة عنه لان التصفح قد اتى على كل ما كان في القوة
من هذين الوجهين فاما حدها الذي هو لها بالتحقيق فهو ما قال ارسطوطاليس انه مبدأ الحركة و
السكون وايضاح هذا يتبين في الكتب الموضوعة فيه وفي اشكاله وانما قويت العناية في تشريح
هذا القول على قدر ما بدأ من المسألة والجواب ثم بعث حاطك الله من هذه المقابسات لئلا
لانها متواخية في بابها اعوانها في حديث النحو واللغة والمنطق والنظر وبهذا تبين لك
ان البحث عن المنطق قد يرمي بك الى جانب النحو والبحث عن النحو يرمي بك الى جانب المنطق
ولولا ان الكمال غير مستطاع لكان يجب ان يكون المنطقي نحويا والنحوي منطقيا خاصة والنحو
واللغة عربية والمنطق مترجم بها ومفهوم عنها والخلل على قدر ذلك قد دخل فيها بنقل
بعد نقل وشرح بعد شرح

٢٥ مقابسة اخرى

قال سمعت شيخنا ابا سليمان يقول معارف الناس بالقول المجمل على التقريب تنقسم اصولها
الى الظن والوهم والحدس والعقل واليقين والشك والغالب السابق والالهام والايحاس
والخاطر والسانح واللائح ثم ان هذه كلها تتجاوز مرة وتتلابس مرة وتتراءى مرة وتتوارى ولن يخلص
مطلب من المطالب ولا مذهب من المذاهب من شوب مثلها على قدر القلة والكثرة والضعف
والقوة واللين والشدة على حسب المزاج والهيئة والخلط والطبيعة والمنشأ والعادة وعلى ما
يجب للانسان من استمدادها وتقليدها وليخلص مظنونه من موهومه ويميز محسوسه من معقوله
وانفصل معلومه من مجهوله وبان ملتمسه من هواه لكان لا يدخل الظن في العلم ولا يدب الحس
في العقل ولا يتغشى العقل في الحس ولا يكدر الحق بالباطل ولا يصفو الباطل بالحق لتوضحت
الاشياء باعيانها وتنقيت من ادرانها وزال شك الناظر في اثنائها ووقع على حقائقها
وانبائها وعاد ثلج الصدر باليقين معمور النفس بالسكون غنيا عن تاليف القياس
والبرهان وتصنيف فنون القول والبيان ولكن الانسان مضروب بالظن والحدس
ومصنوع بالعقل والحس ومردود بين النقص والزيادة ومعرض في كل وقت للشقاء
والسعادة لا فكاك له من جميع ذلك ما دام في مسكنه الطبيعي وعقله الجزئي وجهله
الكلي اللهم الا ان يلبسه الله لباس الرحمة ويغشيه غشاء العصمة فحينئذ ان

قال قال الصواب وان فعل فعل الواجب وان اعتقد الحق وان هم هم بالخير وان نوى نوى
الجميل وان حث حث على الصلاح وان زجر زجر عن الفساد وان لحظ لحظ العلو وان غض
غض عن السفل فقال له بعض الحاضرين فكأنه يفارق الطبيعة البشرية وينسلخ من العوائق
العنصرية فقال يفارقها من وجه ولا يفارقها من وجه بان يميت هواجسها اماتة
ويسكن موانجها تسكينا ويخمد لواهبها اخمادًا ويقتدر على بلوغ هذه الغاية اقتدارًا ولا
يفارقها بان يبقى انسانا لا طبيعة له ولا مزاج ولا بشرية هذا ما لا يجب ولا يكون وقد بها
امكن من ذلك قدرًا يجاوز كل امنية ويشرف على حالة سنية وهذه هي حال الفلاسفة
الكبار وحال البررة الاخيار وحال من قد خص بالزلفى واناف على الذروة العليا
وانه فهم في هذا وما شاكله يقوى به دوسرى وتمرة وكان كاملا بهذا الفن لا يؤتى فيه من عي
ومس ولا من نقص ولبس وقام جلساؤه عنه في هذه العشية وكانما قد نهلوا من الخمرة
الصرف والشراب العتيق وكان كلامه اكثر من هذا ولكن الى هاهنا بلغ حفظي وتتبعي
وسيم عنه ما يشفي القوم ولا يورث السأم ان شاء الله تعالى

مقابسة أخرى ٢٦

سمعت ابا اسحق الصابي الكاتب يقول رأيت ثابت بن قرة الحراني في المنام قاعدًا على سرير في وسط دجلتنا
هذه وحوله ناس كثير كان لكل واحد منهم من قطرهم على خلق مختلفة وهو يعظهم ويتبسم في خلال
وعظه وكلامه وحصلت عنه نكتة شريفة ذهبت مني في اليقظة وسألني ذلك هذا
وكنت مع تفكري كثير اللهج بالظفر به والوقوع عليه فلا يعود بطائل فلما كان بعد دهر وبعد
اختلاف احوال ذكرت انه قال خذ يا ابراهيم ثمرة الفلسفة من هذه الكلمات الشافية التي
هي خير لك من اهلك وولدك ومالك ورتبتك اعلم ان اليقظة التي هي لنا بالحس هو
النوم والحلم الذي لنا بالفعل هو اليقظة ولغلبة الحس علينا قد اتفقنا ان الامر بخلاف هذا
ولا فلا بد للعقل كان الحس يتصدع لك الحق في هذا الحلم فاذا وضح هذا فالواجب ان ينبغي
ان ينقص من الحس وان ظننا ان اليقظة من ناحية ويلتبس بالعقل وان ظننا ان الحلم من ناحية
وكان ابو اسحق يقول وهذه النكتة مفروشها ولكن يبقى ان تفهم منتفعا بها وتسمع على وجه
التقبل لها لا على معنى الاعتراض لها الفلسفة هي لطائف العقل فكل من لطف وصل
اليها ولطف الانسان في طلبها هو تأنيه عند التفهم وصبره عند الطلب وشأنه على السيرة
التي يندب اليها المشفقون الناصحون فان النفس تزكو عند ذلك والصدر ينشرح والخاطر
يتوالى فلا يبقى حينئذ باب الا انفتح ولا مشكل الا اوضح

مقابسة اخرى ٢٧

سئل ابو سليمان هل يجوز ان يقال الانسان ذو نفس كما يقال هو ذو ثوب وذو مال قال
اما على التحقيق فلا وذلك ان الانسان قد يكون ذا ثوب وذا مال وقد لا يكون ويستحيل
ان يكون الانسان انسانا الا وهو ذو نفس الا على السعة والمجاز قيل له فهل نقول ان النفس
ذات انسان قال لا لانها غنية عن الاضافة الا ترى انه لا يقال ان الثوب ذو انسان وان
اليد ذات انسان كما يقال ذو ثوب والانسان ذو يد لانه لا حاجة بالثوب الى الانسان

وانما الحاجة بالانسان الى الثوب واليد ثمرة قال واعلم انه ينبغي ان يفهم من قولنا الانسان
ذو نفس انه بالنفس انسان لان الانسان عرف بالنفس انه انسان ومما يزيدك بيانا انك
اذا قلت ذو نفس فقد اضمرت في الانسان نفسا في الاول ثم ميزته بعد بقولك ذو نفس
وهذا رجوع فيما اعطيت الا ترى انك اذا قلت الانسان ذو ثوب لم يتضمن الثوب في
الانسان بل تميزه منه حتى يكون اشارتك الى هذا غير اشارتك الى هذا فقد انكشف ان الانسان
لا يقال هو ذو نفس الا على سعة وتجوز ومما يزيدك ايضا استبانة ان معنى الملك يستحيل
في هذا الكلام وقولك الانسان ذو ثوب بايضاح للملك والملك غير المملوك وليس للانسان
مع النفس فانه لا يملك النفس بل النفس تملكه الا ترى انها تصرفه وتكلفه وتستعمله وتستخدمه
فاين معنى الملك الذي يقتضيه اللفظ في جميع نظاير هذا القول والسلام

٢٨ مقابسة اخرى

قيل لابي سليمان هل هاهنا غير المعقول والمحسوس فقال الترتيب في القسمة الصحيحة يضاعف هذا
ويزيد عليه وذلك ان لنا اشياء كثيرة في هذا الباب اولها محسوس ثم محسوس معقول ثم معقول محسوس
ثم معقول محسوس فاما المحسوس فيحتفا للبهيمة وما يجري في حكمها واما المعقول المحض فا
التحو للفلك واسمه واما المحسوس المعقول فما تخيله الانسان الذي لم يصف بعد واما
المحسوس فايدركه النظر بالبحث وكلما امعن هذا بلغ الى عالم الاجرام الناطقة الحية التي
قد غنيت عن الحس بفضل ما لها من الفيض الدائم قيل له فماذا يبلغ قال قد قلنا مرارا بان
تستنير نفسه بالمعارف الصحيحة وتعتدل سيرته على الطريقة العقلية وتطهر اخلاقه
من الاوساخ الطينية وتنفذ قوته في الامور العالية قيل له فلم استغنى في نهاية
المعقول عن الحس ولم يستغن في نهاية الحس عن العقل فقال لان المعقول في نهايته
حسي والحس يحتاج الى ما ارتفع اليه ولا بد من حس يبين به الخلق في العموم ولا بد من عقل
يوصل به الباري على الخصوص والحس رايد وللكثير رد ودليل هو اعلا منه والعقل مستزيد
لكنه يستزيد ممن هو دونه فوردت العلة في الاصل والفرع اصل الوجود وفرع العدم
مزاجه وانتهت الحال تامة الى ما لا يعرفه الجاهل عمى ولا يدركه استحسارا ولا ينال التوقف
كلالا والسلام

مقابسة اخرى

سمعت النوشجاني يقول وضح بالعبرة الصحيحة والتصفح الشافي والنظر البليغ ان الفاعل
الاول هو علة كل ما يرا ويوجد ويعقل ويحس لا قصد له في افعاله ولا غرض ولا مراد
ولا اختيار ولا روية ولا توخي ولا عزيمة ولا معالجة ولا مباشرة ولا امر ولا تروٍّ ولا
محاولة فقال له بعض الحاضرين لو ايدت هذا القول ببرهان ساطع او دليل
مقنع كنت قد شيدت ما اسست وقويت ما بنيت فقال ان هذه كلها دخلت
افعالنا للعجز وقصور لنا وانحطاطنا وضعفنا وفاقتنا ونحولنا وتبدلنا وسيلا
وجبرت مكاسرنا بها وتمت نواقصنا بمواصلتها وانسدت مفاقرنا
باستعمالها فاما الباري الحق الذي هو واهب كل كامل كماله وجابر كل نقص نقصه

فهو علي عن الاعراض والعلل والسالك قلـــــــ له السائل فكيف اتفقنا على انه منعوت بالحكمة وافعاله على ما ترى تمت وكيف يبان عن هذا ويتحقق حتى يتخلص من خوافي اللحظ والقلوب وسرائر اللفظ من الالسنة فقالـــــــ لعمري ان في ايضاحه لصعوبة وعسرا وان كان العقل قد قفى بما قدمته وعلى صعوبة ذلك فاني اتلطف في التقريب قولا عسى ان يكون السامع فيه فهما ومقنع ان لم يكن فيه مراي وسمم ثم ابتدأ فقالـــــــ قد وجدنا في افعالنا ما يبدر في بعض الزمان من غير قصد مفروض ولا مراد متوجه ويشتمل مع ذلك على النظم والاتقان والصواب والاحكام والسلامة حتى نتعجب من انفسنا غاية التعجب وتتهادى الحديث به وليس منا احد الا وهو يجد هذا النفسه من نفسه اعني البادر والخارج عن قصد متقدم وعزم مستحكم ورأي مثبت ومقدمة مرتبة وحتى يقول كثير منا ان ذلك اتفق بلا مؤامرة وانبجس بلا فكرة وانبعث بلا روية وتم بلا قصد وحدث بلا مقدمة وعرض بلا علة وكانه كالشيء البائن بنفسه القائم بذاته وعندما تفاق الامر على السلامة وانتظامه يكثر شكرنا لله عز وجل وحمدنا اياه فنرى انه كان صنعا منه لنا ولطفا منه بنا ويدا سبقت بالحسنى الينا ونعمة من الله تعالى توالت علينا وقد تتصل ببعض افعالنا واعمالنا ايضا بالقصد والعزيمة والراي والهمة والروية وسائر مقدمات العقل واوائله ودواعيه وتوابعه ومع ذلك تزل عن شرح النظام وتعدل عن طريق التمام وتحيد عن سنن الغاية وتزول عن بلوغ الحد والنهاية فالاول النادر منهما منهاج لنا الى ان نعلم ان الفاعل الاول احكم فعله ذلك الحكم بل اجل منه ايضا كثيرا واغمض بيانا هذا المثل تمثيلا وان الذي كان منا في لقيته بعد القنية والفرط بعد الفرط هو الذي يكون منه على الديمومة والسرمدية على هيئة اشرف مما يعتاد ويستانف والثاني النادر منه ايضا طريقا لنا الى ان نعلم نقصنا في كمالنا وعجزنا في قدرتنا لان القدرة تخص والروية تتقاصر والغرض ينتصب والفعل يمكن والتحصيل يقع ومع ذلك لا يتم الفعل ولا يتجه المقصود وفي النادر الاول يتم ذلك كله وليس هناك داع قوي او ضعيف ولا شيء من موجباته واه ولا حصيف وبين هذين النادرين مجمع الافعال بالاستطاعة والقدرة والقوة والتمكين والدواعي لا يدفعها دافع ولا يمنع من الاعتراف بذلك ممتنع فقد شهد العقل في مراتب هذه الافعال بين ما ندر في الطرفين وبين ما استمر بينهما بان الفاعل الاول يفعل ما يفعل بغير قصد ولا روية ولا اختيار ولا غرض بشهادة ما بدر من الانسان في وقت دون وقت ولو تمت افعال الانسان ابدا بلا قصد ولا روية ولا غرض ولا ارادة وصار هذا النادر منه مألوفا كانت هذه القوى فيه فضلا او عبثا ولو كانت ايضا تتم ابدا بها ومعها وعندها ومن اجلها كان مضافا اليها ومحمولا عليها غير موقظ في عرضها على اسرارها ولا مدعو الى البحث عنها ولا منبه على اعتبارها واستتارها فانما عار الله هذا الانسان هذه القوى اعارة والبسه هذه الجلابيب الباسا وعرفه فيها التصريف فان تبرها تبرأ فيأذن لحوق حاش هذا الانسان الى الاذعان والطاعة قلـــــــ له وقد بلغ بهذا الموضع بعد تنهار وجهد ولم بد من الانسان ما بدر في الاول قال لان فيه جنبة الاهية وجزء رباني يتسوق به ما يتسق ومن اجله يتفق ما يتفق قلـــــــ فلم بدر منه النادر الثاني قال لان هيولاه عالية وطينته سائلة وصورته التي هو بها ما هو ممتزجة ولا بد للهيولى من الانفعال الذي هو من شانها كما لا بد للصورة من الفعل الذي هو من شانها وكل متقدم

منها فلم ترهما ظاهرا الى ان يغلب سلطان الصورة فيبطل حكم الانفعال او يغلب سلطان الهيولى
فيبطل حكم الكمال والترجح بين هذين هو الذي يسلك في الى الغاية يسعد بها والى النهاية التي يشقى بها
ونحن نسأل الله عصمة تقي ونعمة تزيد وتنمى قد زال بقاك الله عن سمعي وبصري وصدري
كثير ممن كان صلة لهذه الجملة والبقية كما تراها ويصافحها العقل بالتحية والترحيب فيتلقاها بالبشاشة
والبشر وليس يوصل الى اعماق الفلسفة وعويص الحكمة الالهية الا بالاشارة والايماء والرمز
والايماض

٣٠ ## مقابسة اخرى

قيل لابي زكريا الصيمري بباب الطاق في الوراقين وابو سليمان حاضر بلغنا انك لا تقول ان
البارى شيء وهذا مذهب كالشنعان لم يكن كالمحال والمعروف غيره عند اكثر الناس فقال
قولنا شيء ليس باسم ولا فعل ولا حرف ولا نعت ولا مصدر ولا ظرف ولا حال ولست
اجد نصابا يقربه ولا منزعا ينزع اليه وانما صار له مفهوم بحسب اتصاله بغيره وانضمامه
الى ما يتم به كقولك هذا شيئي اذا اضفت الى نفسك وهذا شيئك اذا اضفت الى
مخاطبك وهذا شيء فلان على هذه الوتيرة المعترف بها واما قولك شيء على نكرته
واصله وتجرده فليس يجلب فائدة ولا يحدث ثمرة ولا يوجب علما والنفس لا تاخذ منه
معنى والفهم لا يخلو منه جملة والحس ينفر عنه ضربة واحدة فاما ان عرفته بالالف واللام فقلت
الشيء فانه لا يكون له ايضا ثمرة حتى يتصل المعرفة المجتلبة اليه بغيره وتكشف اللهم الا ان يكون
بينك وبين صاحبك عهد بشيء من الاشياء فحينئذ ذلك العهد يشير الى عين ذلك الشيء
الذي في نفسك ويذكر عهدك به وعهده بك ثم قال فان قلت مستزيدا لم لا يكون
للاسماء قيل لانه لا ينبغي ان توجد شيئا من الاشياء ثم تولي اسما بانه زيد او نعت بانه نبيل
او حال بانه قائم وخاصة بانه ضاحك وسائر ما يتبع هذه الاوائل مما يحصى كثرة وهو مشهور
عند كل احد فان سميت ما لم توجد فذلك لاغترابه اسم اخر موجودا فان قلت فلم لا
يكون نعتا قيل لك لانه قبل ان ينعت يكون شيئا وانما النعت يقرره ويميزه ويحليه ويوضحه
عن نظائره فان قلت ومن اين كان هذا هكذا قيل لاشتمال قولك الشيء واحتوائه الا ترى انك
تطلقه على المعدوم على تفاوت درجاته كما تطلقه على الموجود على تباين طبقاته وتعيين
ما في الحس تعيينا كما تشير به الى ما في العقل اشارة وتستعمله فيما تفرضه فرضا من غير
حقيقة كما تستعملها فيما هو موجود وله حقيقة فلوقوعه على كل ما عدم ووجد ويعدم
ويوجد ما وجب ان لا يطلق على من كان يعلو على كل شيء وهو منبعث بكل شيء ومعطي كل شيء ما له
ما هو به من جسم وجوهر ومحسوس ومعقول ومفروض ومعلوم ومشهود وموهوم وبائد
وثابت وكنت سمعت الشيخ علي بن عيسى الرماني النحوي الصالح يقول الشيء مصدر شاء يشاء
شيئا كقولك جاء جيئا والمشيئة كالمجيئة وانما اعمل على ما ترى لتعلق ما تجد حسا وعقلا
وظنا ووهما فالمشيئة والشيء بهذا المعنى بعض خصائص الاسم وخرج به عن اصل المصدر
لهذا الاشباه وقال ابو سليمان في هذا المجلس زائدا في الفائدة لا ينبغي ان يطلق على
البارى موجود قلنا ولم قال لان الوجود مقتضى الواجد لا محالة والواجد في صيغة مقتضي

للوجود لا محالة فالرباط قائم والتعلق بيّن والله تعالى يجلّ عن هذه الرتبة لانه لا واجد له ولو كان له واجد لكانت مرتبة الواجد فوق مرتبة الموجود بدلالة ساير الاسماء والصفات تقلبنا له فقيل معبود ومحمود وموجود وما ضارع ذلك فقال اما اذا تجوزت في الكلام وتفسحت في العادة فكل هذا على باب واحد وانما الخصوصية للذين دققوا في التوحيد من هذه الجهات الغامضة والاشارات اللطيفة على ان الذين اباحوا هذه الاسماء اعاروه اياها لانهم نقلوها عن غيرها ونعتوه بها وذلك غاية طاقتهم ومبلغ علمهم ونهاية جهدهم ثم قال ـــــ ان اطلق الموجود على انه اسم فقط جاز لان الموجود في الاول انما اقتضى الواجد وصار مضمنا به لانه التبس بالصفة فاما اذا جرد اللفظ من معنى النعت واستعمل على مدرجة الاسماء لم يكن كبير تقصير الا من وجه واحد وهو ان هذا الاسم بعينه هو صفة في مكان آخر فالشركة حاصلة ضرورة والتوحيد مباين للشركة كانت الشركة مجازاً او اشارةً او تثبيتاً وحقيقة وهذا كما تسمع ومما ازيدك استبصاراً او تعجباً منه واستغراباً له وهو نمط ما سمعته من صنف من اصناف الناس فان سرك فاستفده وان سقط عليك فدعه لاهله فلست الغيار على هذا الخلق

مقابسة اخرى ٣١

سمعت مقداداً يقول لو انه عز من تقدس وعلا في الانسان مع هيئة المعرفة وحليته المألوفة الى ان يموت ثم لا يكون له بعث ولا نشور ولا معادٌ ولا منقلب لما كان ذلك قادحاً في الهيته ولا مضيفاً الطرف من اطراف حكمته ولا معانداً لما يليق بربوبيته فكيف وقد نصب لعلاماته واحكام الشواهد والبينات واقام البرهان والآيات على تحقيق المعاد وحصول السعادة والشقاء بحسب الصور الموجودة لواحد واحد ثم قال ـــــ لو سألنا العقلاء باسرهم او سألنا اعقلهم فقلنا ما تقول في بدنك اذا بطل باسره ولم يبق منه شيءٌ الا العين التي من شانها ان تبصر الاشياء فان جوابه لا يعدو ان يكون اذا لم يكن بدٌّ من فناء جميع البدن باجزائه فلان العين وهي اشرف ما فيه او السمع وهو في الشرف خير من ان لا يبقى شيء ويبيد كله ويضمحل جميعه قال فيقال ـــــ له فكذلك النفس في بقائها بعد ان ينتزع عنها قشورها و تفارق مختارة لبوسها قال ـــــ وانما ضربت هذا المثل وعرضت هذا التشبيه لانه قال لي قائل الانسان لا يبقى فاذا لم يبق الانسان فاية فائدة فيما يبقى منه او له او عنه قال وهذا لو ضرب المثل بمن له ولد اغنى لو قيل له لا سبيل الى بقائك بذاتك لانك لا تحتمل ذلك بعنصرك ولكن يبقى بعدك ولدك الذي هو بضعة منك وفاضل عنك لآثر بقاء ولده من بعده ايثاراً حسناً طيباً لنفسه به فانه يرى ان ولده منه او هو هو لانه به امتصاصه وخلاصته وبصاصته وسلالته ولا يكاد يفصل بينه وبين نفسه الا بالشخص والشخص فقط ثم قال ـــــ موضحاً لما اتصل بصدر كلامه اعلم ان الانسان لا يبقى انساناً لان الانسان بما هو انسان بحده المنطقي فاذا صفا ما كان به كدراً وانبسط الى ما كان عنه مركباً وانتهى عما كان به محدوداً وارتقى مما كان به هابطاً محطوطاً وخلع الصورة الملابسة للحس والغشاء اللاصق به من ظاهره فانه حينئذٍ يكون الباقي الذي كان مرةً انساناً لا الانسان اسم

للحد المعروف اعني الحي الناطق المائت فاذا ارتفع الحد ارتفع وحقت الحقيقة التي كانت النفس
موجودة بها حاصلة الا ترى ان الانسان اذا قدم فكره في حالته الخالية الايام الماضية قبل ان حوى
حده وملك صورته واقتنى بخاصته ونوعه وفصله وجنسه وعرضه ثم انه كان على حال التحرى
ولم يكن يجب من ذلك ان لا يكون في الثاني على هذه الجملة فكذلك انه كان الان على ما هو عليه
ثم تحول عنه الى ما ليس الان عليه ليس ينبغي ان يكون منكرا مردودا متعجبا منه محمودا لان
الذات باقية كما كانت في الاول وانما تخللت حجبا وقطعت طرقا واستعملت اشكالا
وامتهنت احوالا واستكملت استكمالا ونالت شرفا وعلوا وجلالا

مقابسة اخرى ٣٢

سمعت عبيد الله الكاتب يقول لابي محمد العروضي وكان ابو محمد يتفلسف ولزم يحيى بن عدي دهرا
انا قليل الرؤيا وقد ساءني هذا وقد خلت اني من نحي القلب فقال ابو محمد هذا يكون
من امرين مختلفي المرتبتين احد الامرين كدر النفس بالجهل وظلمتها بالغباوة وامحاء
صورها بصدء الدهر وقلة اقتناء المعارف وشدة انجرادها من الخير وهذه حال
دهماء العوام واما الاخر فهو ان تعلو النفس في مراتب المعارف وترتقي رياض العلم فيصير
حالها في الحلم قسيمة حالها في اليقظة الى الكهانة حتى اذا حدس قرطس واذا ظن طن واذا وهم
هجم واذا اعتبر عبر وربما تحولت الى ما يرفد العقل فقط باستخراج الدقائق وتأليف المقدمات
واستنباط النتائج والوصول الى سواد الحق وبحبوحة الصواب وربما صارت الحال معاينة
الحقائق بزوال الوسائط اي من غير اعمال اداة واحضار الة قال وهذه كلها من درجات
النفس تارة من ناحيتها بالبحث والتنقير والنظر والتقليب وتارة بالوحي والالهام و
الالقاء والسنوح والموافقة والمصادفة وما جرى في نظائر هذه المعاني والتبس بها يكون
شطرا لها وهذه حال تقع اولا في مزاج مهيأ وترتيب معتدل وطينة حرة ثم يظهر ثانيا
بتهذيب النفس وتطهير الاخلاق وتصفية الاعمال وقمع الشهوات وكل من كان قسطه
من المحال الفلكية اوفر كان مضاره في المحال البشرية اظهر وهذا باب طويل الذيل وفيما مقايس
وقع النص عليه ووصلت الاشارة اليه بلاغ لمن اثر رشده وقصد حظه وبذل سعيه
واتم غايته وفقنا الله لما يحب واستعملنا فيما يرضى انه قريب مجيب

مقابسة اخرى ٣٣

سئل ابو محمد العروضي مرة عن الحركة والسكون ايهما اقدم فقال اما عند الحس فالحركة
اقدم واما عند العقل فالسكون اقدم وبعد فالسكون عدم الحركة وكل حس فقوامه
بالحركة وكل عقل فصورته بالسكون ونظامه بالهدو وخاصته بالطمانينة واثره بالقرار
وقوته بالنفس وكانه من فيض العلة الاولى وجوده لان هذا النعت لكل ما دونه فالاستعاذه
له بالواجب والحقيقة والسكون عند العقل عدم الحس والحركة عند الحس تاثير العقل و
اطال اطالة استدربها على كثر قوله وسمعت ابا سليمان يقول ما هو من هذا
القول وجار معه فان سكون العقل في نوع الحركة وحركة الحس في نوع السكون لان حركة الحس
الى الاضمحلال والنكول وسكون العقل الى الكمال والحصول وقال انما الحركة

التي نعتقد لها ضدًا أعني السكون هي الحركة التي للفساد والبلاد والحس فأما الحركة لنوع السكون فلا
ضد لها بوجه لأن العقل كله معنى واحد وواحد بمعنى كل وله هذا باشتمال العلة الأولى عليه
واقتباسه منها وقد وضح أن السكون عدم فكيف يكون هاهنا وجود قيل له في هذا الكلام
فإنما لم ساكنًا ومتحرك فقال لو كان متحركًا الحركة المعروفة لقلق وارتعش ومال وهفا
ولو كان ساكنًا لبقي ذلك على حال ولكنه متحرك حركة استدارة فلذلك ما يظن به السكون
وساكن لسكون قابل للفيض فلذلك يظن به الحركة فالشوق حركة ولكن عقلية والدوام
على التشوق سكون ما ولكن عقلي فكل ما قد فاض من العلة الأولى ويقبله المعلول
الثاني وهو موجود على مراتبه المتباينة ودرجاته المختلفة بين الطرف الأدنى إلى الطرف الأقصى
ومع ذلك فقد وقف الجميع تجاه كل متصفح وقبالة كل باحث فليس يذهب من جميع ذلك
شيء إلا بسوء الاختيار وقلة الاقتداء بالأفاضل الأخيار حفظك الله ولو انتفعنا
ببعض هذه الفقر الكريمة سعدنا ونلنا منيتنا فسل ربك ذلك بالتضرع إليه و
الخضوع بين يديه مع العبادة الدائمة والبحث اللطيف والتؤدة المعتادة والاحسان
إلى البرية فإنك تعطى بغيتك وتبلغ غايتك وتنال سعادتك إن شاء الله تعالى

مقابسة أخرى

٣٤ سمعت البديهي يقول وكان صحب عيسى بن عدي دهرًا وهو حملني بدعوته اللطيفة إلى المجلس
من البين أن الموجود على ضربين موجود بالحس وموجود بالعقل ولكل واحد من هذين الموجودين
وجود بحسب ما هو به موجود إما حسي وإما عقلي فعلى هذا النفس لها عدم في أحد الوجودين
وهو الحسي ولها وجود في القسم الآخر وهو العقلي وقد كان الدليل على هذه الحال حاضرًا في هذا
العالم وذلك أنها كانت تتعقل وتستنبط وتعقل وتستبطن وتنظم المقدمات وتدل
عليها بنتائج المعلومات وتعلو إلى غاية الغايات وليس للحس معها شركة ولا له عندها معونة
ومادة فكيف لا تكون النفس التي هي عنوان كتابتها وصريح كنايتها وفاضل عنايتها بعد
مفارقة القشور والحواجز والحيطان والحواجب والغواشي والملابس عن الحس أغنى وبجوهرها
أعلى وبخاصتها أسنى وهذه الأشياء عنها أبعد وعن شرفها أهبط وهل هذه الشهادة
إلا عادلة وهذه البينة إلا مقبولة وهذه الحكم إلا مرضي وهذا المثال إلا أبين ثم قال
ولطائف الحكمة لا يصل إليها الحس الجافي والغليظ القدم والجلف العبام والهبلاجة
الملفوف وإنما هي تعرض لمن صح ذهنه واتسع فكره ودق بحثه ورق تصفحه واستقامت
عادته واستنار عقله وعلت همته وخمد شره وغلب خيره واتصل رأيه وجاد تمييزه
وعذب بيانه وقرب اتفاقه قيل له هذا عزيز جدًا والآن تاه هذا الفن وتعطى وحاز
كل غاية وتخطى ومحصولي من ذلك ما سمعته الآن فسر نفعنا الله به وحدانا
بأزينه واستعدنا بقبوله

مقابسة أخرى

٣٥ سمعت أبا إسحق النصيبي المتكلم وكان من غلمان جعل يقول ما أعمى أهل الجنة قيل وكيف
قال لأنهم يبقون أبدًا هنالك لا عمل لهم إلا الأكل والشرب والنكاح أما تضيق صدورهم

اما يكلون اما يربون بانفسهم عن هذه الحال الخسيسة التي هي مشاكلة لحال البهيمة اما يانفون
اما يضجرون واخذ في هذا وشبهه يبوح مستعظما وكان يقول بتكافؤ الادلة ويحتج عن اكثر
الناس ويهاتر فيه ابن الجليل وربما تكلم عليه ولعمري ان من طلب طمانينة النفس ويقين القلب وتمام البلاغ
بطريقة اصحاب الجدل واهل البلا احلوه هذا البلا واحاط به هذا الشقا والكلام كله جدل ودفاع
وحيلة وايهام وتشبيه وتمويه وترقيق وتزويق ومحالة وتورية وقشر بلا لب وارض بلا ريع و
طريق بلا منار واسناد بلا متن وورق بلا ثمر والمتبك فيه سفيه والمتوسط شاك والحاذق
فيهم متهم وفي الجملة افة عظيمة وفايدة قليلة نعم فاعدت على ابن سليمان قوله بنصه
وحكيت له تمايله فيه فقال في الجواب انما غلب عليه هذا التعجب من جهة الحس لا من جهة تبين آخر
وهكذا كلما فرض بالحس او لحظ بالحس لانه قد صح ان شان الحس ان يورث الملال والكلال ويحمل
على الضجر والانقطاع وعلى السامة والارتداع وهذا منه في ذوي الاحساس ظاهر معروف
وقائم موجود وليس كذلك الامر في المعاد اذا فرض من جهة العقل لان العقل لا يعتريه الملل ولا
يصيبه الكلفة ولا يمسه اللغوب ولا يناله الصمت ولا يتحيفه الضجر وهكذا حكمه في الشاهد
الحاضر والعيان القاهر لولا عقله النصيبي ونظر ايبا لم يعلم لئن كان في هذه الدار على شوبها
وفسادها وكدرها وثبورها كان العقل لا يكل معقوله ابدا ولا ينقضي منه ابدا البتة و لا
يطلب المراحة عنه بوجه بل كان العقل اذا وجد معقوله وتوحد به صار هذا قد احيى لا يوجد
بينهما ابين مجال فكيف اذا كان المنقلب الى عالم الصرف الذي لا حيلولة ولا تغير له وهو الوجود
المحض والامر الصرف والشيء الذي كلما عرفته بالصفة بعد الصفة كان عنها اعلا وكلما اوضحته
بالعبارة كان عنها اخفى واطال هذا الفصل وعلقت من جميعه قدر ما تقرره في هذا المكان
ولعلك تجد به ما اكون منصورا فيه عندك غير ملوم على اساتك وفي الجملة القول في حصول
النفس بعد خلع الجسد الذي خص به الانسان صعب ولولا امثلة توضح ايضا ما يثق به الانسان
مرة بعد مرة لكان باب معرفة حالها قد ارتج والطريق قد سد وقد بين هذا كله بالبرهان المنطقي
في مواضعه المعروفة ان كانت الثقة تقع كذلك فما هذا المقدار فانه جرى في عرض مقابسة
هولاء المشايخ بينهم بالحديث والاسترسال فليكن العذر فيه مقبولا عندك بحسب الحال
التي قلبت ظهرها لبطنها لك مرة بعد اخرى فهذا الولوع مني بالاعتذار لاحساس التقصير
اما من جهتي فلسوء الرواية واما من جهتك فلقلة الدراية فانا اسال الله رب العالمين
ان يفرغني لبلوغ غاية هذا الامر بقية عمري فانها فيما اخال قليلة وما يرجو المرء بعد الالتفات
الى خمسين حجة قد اضاع اكثرها وقصر في باقيها اذا اراد الله نجاة عبد تولاه بلطف
من عنده

٣٦ مقابسة اخرى

سمعت النوشجاني يقول الباري الحق الاول والاحد مبجس الاشيا كلها ومنبجسها عنه تفيض
فيضا منه وتغيض غيضا لا على حد اللفظ الذي يرسم في عن فصلا وفي في وصلا بل
على حد العقل الذي يقضي بالشيء على الشيء من غير اثبات بينونة ولا تاسيس كينونة
فان الاشكال والحدود من الاقوال والاعراض منفية في ساحة الالهية لكنها رسوم

حركة للنفوس تحريكا وكلمات مقربات من الحق تقريبا تبلغ بالسامع الى ما وراء ذلك كله تبليغا وكلما
كانت هذه الرسوم اتم واحسن والكلمات ابهى وابين كان التحريك الطف والادراك اشرف
ولهذا ما يضرب عن بيان الى بيان ويؤثر كلاما على كلام ومثال هذا التحريك ما ضرب من الاشكال
والخطوط والصور والنقوش ثم قال الوحدة شاملة لجميعها ومحيطة بها كلها ومشتملة عليها
باسرها فصارت على هذه الاشياء بالوحدة تتشاكل وتتكامل وبالكثرة تتخالف وتتناقض
فالمعنى المتصفح المولع بالتعرف قد يلوح له تارة كالمركز من المحيط وتارة كالمحيط من المركز
وتارة كالذرة في الهواء عن هذه الفقر مثلما بينهما فاذا لحظ الاول فكانه صادر من الصواب
واذا لحظ الثاني فكانه وارد مع الوارد واذا لحظ المحشو بين الطرفين فكانه كل هذا وكل ذا اثم لاجل
الاحاطة الشايعة والاشتمال الاول ما انقسم المطلوب عند الطالب بين المحيط والمركز
انقساما مفروضا لا محقوقا فالنسبة على هذا واحدة والوصلة ثابتة ولكن القوابل مختلفة و
الوجوه والامكنة متباينة النواحي والازمنة فعلى هذا تختلف الفروع والراجعة الى الاصل
المبدي للفرع وهذا الكلام غامض من وجه ومن رجع الى فطنة ربانية وقريحة صافية لحظ
من هذا اكثر مما ضمنته العبارة واتت عليه الاشارة

مقابسة اخرى

قال ارسطوطاليس فيما ترجم من كلامه عيسى بن زرعة المنطقي البغدادي ابو علي الانسانية افق
والانسان متحرك الى افقه بالطبع ودائر على مركزه الانسي مرموقا بطبيعته ملحوظا باخلاقه وطبيعته
ومن رفع عصاه عن نفسه والقى حبله وسيب هواه في مرعاه ولم يضبط نفسه عما تدعو اليه
بطبعه وكان لين العريكة لاتباع الشهوات الردية فقد خرج عن افقه وصار الى اذل من البهيمة
لسوء ايثاره هذا آخر ما ترجم من هذا الفصل وهو كما ترى وعظ بحكمة وايقاظ براءة وتعليم بنصيحة
وارشاد ببيان لو روى هذا الحسن البصري ومنصور بن عمار وضرباهما ما زادا على ذلك وقد اتفقت
آراء الاوائل كلها على اصلاح السيرة وتصحيح الاعتقاد والسعي فيما اثمر واجدى والاعراض
عن كل ما شغل البال واثار الشهوة لتبلغ النفس غايتها وتسعد في عاقبتها ولا يكون لها عكس
في هذا العالم ولا تردد على ما قد حقق من ذلك كثير منهم والسلام

مقابسة اخرى

قلت لابي علي هذا ما معنى قول القائل العقل بحر مركبت وكيت العقل نطق بكيت وكيت فقال معنى
ذلك استحسانه الحسن واستقباحه للقبيح والاستحسان تحسين لك والاستقباح تقبيح
عليك والتحسين اطلاق والتقبيح حظر وانما كان هذا من العقل هداية لذي الطبيعة لانه ميز
مع الاول والطبيعة هي معنا من لدن خلقنا فاذا استحكم سوء ادب ذي الطبيعة وطال
انه سيرته حتى يصير كانه بعض هذه البهائم في الجهل او بعض هذه السباع في التنزي والوثوب
وكان في الاصل محدودا بالنطق ظهر من قوته بالعقل ما حفظ حياته عليه ونشر فضله
وشحذ جوهره وبين امره واظهر مكنونه وذلك كله تنبيه العقل وتحريكه وتحسينه
وتقبيحه فمن استجاب كف غرام طبيعته واماتت هايج شهوته بالتدريج والترتيب
فيكون ممن اصغاؤه الى نصح العقل وهدايته اتم ويكون استضاءته بنوره اشمل واعم

فلهذا كان للعقل تحريم وتحليل وحظر واباحة ومنع واجازة وكف وحث واطلاق وتقييد وحبس وبعث لا على ما يظنه من لا خبرة له بالحقائق ولا استجابة عند داعي الرشد

مقابسة اخرى

٣٩ قيل لابي سليمان كيف يفعل العاقل اللبيب والحازم الاريب ما ينهاه عنه وكيف يقدم على ما يعقبه تبعة ويأتي ما يأباه بعقله ويكرهه بدينه ويخاف مروته ويبكره بعادته ويمنع منه غيره بنصيحته هذا مع اختيار الذي هو اليه واستطاعته التي هي حاصلة لديه مع عقله الذي هو كالحجام والزمام والقاضي والامام فقال ان الاختيار والاستطاعة والقوة والقدرة والحزامة والعزيمة والرأي والروية والشهامة والصريمة والتحصيل واليقظة وكلما كان في قبيلها وجاريا في حلبتها ومشاكلا لها ونازعا اليها وداخلا في جرمتها ليست هي للانسان على طريق الملك يصرفها كيف يشاء ويقلبها كيف يريد بل هي له من جهة التمليك فلو كانت على جهة الملك ما زل زلة ولا ضل ضلة ولا ندم ندامة ولا ذعر ولا التزم مولة موجعة ولا ذم زجرة موحشة ولا نكص على عقبيه متحيرا ولا بقي منكسرا مبهورا ومتى كانت عنده على وجه التمليك من مالكها بقيت منها بقايا عند مالكها متى شاء تمام فعله امده منها بما يتم له فعله لئلا يظن ظان ان ذلك لا مستقل له بنفسه وكماله بقدرته واستغنائه عن ملكته بل يتم له شيء اذا تاح له ويشكر مقيضه بانقطاع شيء اخر ليفزع الى ربه ويلوذ به بمسئلته ويتبرأ من حوله وقوته ومن علمه وبصيرته ومن جلده وبجدته ومن انفته ويلوذ عن هواه ولجه وينسب من هو املك له ويستأمر الى من هو اقدر عليه ويلقي مقاليده كلها اليه ويطرح كاهله بين يديه وهذا بيان في موجب الربوبية ومقتضى العبودية لا ينكره الا من لا يبالي الله في اي واد هلك وباي ريح انتشر وفي اي بحر غرق وفي اي غثاء طاح قلت له هذا كلام على الصالحين واهل الديانة من اصحاب الشرائع قال يا بني لا تعجب من هذا فالانبياء والاصفياء ومن دونهم يدندنون حول خلوص النفس في العاجلة وخلاصها في الآجلة والقول فان اشتبه والاشارة وان غمضت فالمراد بين والمطلوب متيقن وهل الحكمة الا مولدة الديانة وهل الديانة الا متممة الحكمة وهل الفلسفة الا صورة النفس وهل الديانة الا سيرة النفس وكنت قد حدثني عن شيخكم المحض يحيى الصوفي انه قال الثياب كثيرة والعروس واحدة فقد ارتفع التناقض وسقط التنافي وانما قطعت هذا الامر في طلب الحياة الدائمة التي لا شوب فيها من الم ولا عارض من اذى ولا خوف من انقطاع

مقابسة اخرى

٤٠ قال ابو بكر الصيمري لجماعة عنده ونحن في طاق الحراني في الوراقين وقد ذهب به القول في كل عروض جذبه الكلام باب العلم حياة الحي في حياته والجهل موت الحي في حياته فاذا كان الجاهل ميتا في حياته فماذا ترى يكون بعد مماته واذا كان العلم حياة الحي في حياته فلا شك انه يكون حياة له بعد وفاته ثم قال ان العلم الالهية في الستر لانه بساط العمل الصالح والحق المعتقد والخلق الطاهر والطاعة الحسنة والراحة في العاقبة ومن عري من العلم ولزم العمل كان ما يفسد اكثر مما يصلح وما يفوته اكثر مما يجده ومن لزم العلم وخلا من العمل كان كلابس ثوبي زور والعلم فوق واشرفه معرفة الحق الاول والعلم قوام المعقول والعمل قوام المحسوس

ولولا الحس لاستغنى عن العمل لأن العمل إنما هو رياضة النفسين اللتين تمانعان النفس الناطقة
أعني الشهوية والغضبية فأما العلم فهو كله في تقديس المعقول بالعقل والتشوق إليه وطلب الاتصال
به والغرق في بحره والوصول إلى وصلته والعمل مقوم للقوى التي تربع كثيرا بالزيادة والنقصان وبالجمود
والهيجان والعلم مبلغ إلى الغاية التي لا مطلوب وراءها والعمل مهيئ لك نحو السلك إلى سعادتك
والعلم مشرف بك على سعادتك والعمل موصل والعلم وصول والعمل حق عليك لا بد من أدائه
والعلم حق لا بد لك من اقتضائه والعمل العلم كله نور ولنوره ما أضاءك وسطع عليك و
أسفر بك وجلا عن حقيقتك وتجلى بعقيدتك ونحى قشورك عنك وأبرز لبك منك وصقل
زينك وأبهجك ونورك وأهدى لك الدرك حدك وأحلك دار أمنك وقرارك وصار الصدق بك
من شعارك ودثارك هناك تبقى ولا تبلى وتغنى ولا تفنى هناك الواصل والموصول
والعالم والمعلوم والعاقل والمعقول في فضاء الوحدة ومغاني القدس وخضر الراحة ومراد
الطمأنينة والجدة والثقة والسكينة وعرصة الإلهية لا تفرقة ولا تمييز ولا كثرة ولا
اختلاط ولا تمازج ولا اختلاف حال تجل عن أمارات الخيال وأمر يلطف عن رسوم الأمر
على هذا سكتت العبارات وطالت الزفرات أتظن أن الترقي في سلاليم المعرفة والتناهي في
غايات التوحيد هين سهل وقريب ممكن هيهات ذلك كذلك ولكن لواحد بعد واحد يختص
به الواحد في عالم بعد عالم وفي دور بعد دور وكان كلامه أطول من هذا وأشفى وهذا حاصل منه
والله أسأل تقبله والوفاء به والقيام عليه

مقابسة أخرى

٤١ قال أبو الحسن العامري إن المتقص من أرباب الحكمة يدرك بفكره ما لا يدركه الحدق ببصره
من غيرهم وذلك أن الحس محطوط عن سماء العقل والعقل مرفوع عن أرض الحس فمجال
الحس في كل ما ظهر بجسمه وعرضه ومجال العقل في كل ما بطن بذاته وجوهره والحس ضيق الفضاء قلق
الجوهر سيال العين مستحيل الصورة مبتذل الاسم معزول النعت والعقل فسيح الجو واسع
الأرجاء هادئ الجوهر قار العين واحد الصورة ثابت الجسم متناسب الحلية صحيح الصفة والفكر
من خصائص النفس الناطقة والنطق في النفس يضيء العقل بنور ذاته والحس رائد النفس بالوقوف
على خصائصه وكما قد صح أن الحس كثير الإحالة والاستحالة فكذلك قد وضح أن العقل ثابت على
ماله في كل حالة والحس يفيدك ما يفيده في عرض الآلة التي أصلها المادة والعقل يفيدك ما يفيده على
هيئة محضة لأنه نور قبيله السانح عاقلا يتحول من معقول إلى معقول وينتقل من رأي
إلى رأي وينصرف من معتقد إلى معتقد فهل هذا إلا لأن السبيل الذي أدى في الحس ملوث
إليه وعمل فيه وما هكذا يرى من اعتقد معتقدا بشهادة العقل فإنه أثبت رأيا وأرسخ يقينا
وأظهر سكونا وعلى هذا الحس يفيد العلم الذي تسكن معه النفس والعقل يفيد العلم الذي
كأنه مظنون فقال هذا كلام من لم يرتض بحكمة القدماء ولم يرتق عن طبقة العامة والضعفاء
الأخساس حفظك
ومن جهته وليس لها حكم على شيء
من حواله إلا من جهة النطق النفسي والذي يوضح هذا أن البهائم كلها ذوات إحساس
قوية وليس لها قضايا منها ولا نتائج لها إلا أنها خادمة للقوة القاضية بالحق الدالة على

القضية الى المقدمات المستخرجة للثمرات وانما قدمت لك هذا القول لانك ظننت انما يعتقد
كثير من الناس الذين يظنون بانفسهم انهم خاصة من ناحية الحق وليس الامر كذلك لانهم يعتقدون
اشياء ممزوجة مشوبة مختلطة كدرة فيها احلام العقل وعما ادري ومخايل يأخذونها من اشياء
الامور وصفحات الاحوال وظواهر الاشياء ولذلك ما يزولون عنها بسرعة ويتوحشون
منها عند كل شبهة وليس كذلك الفلسفة فانها علم العلوم وصناعة الصناعات لا تعطيك
في موضع الشك اليقين ولا موضع الظن العلم وكلها تعطيك في كل شيء ما هو خاصته و
حقيقته ان شكا فشكا وان يقينا فيقينا وسنصل هذه المقابسة في الكتاب ما يكون
بيانا وشاهدا بصحته ولو ان هذه الاوراق اشتملت على نكتة ما فيها فقط لكان ذلك
لا يكرانه كاف في معناه موف على اقصاه لان بحر هذا العلم عميق وقيمته غالية ولكنا وصلنا
نكتة بنكتة ومقابسة بمقابسة تكثيرا للعائدة وتفريحا للنفس واستدعاء للنشاط ودلالة
على مواضع السعة والغزارة ولا تفضل منها الا وهو نور على كتاب نحن اذا احويت على كل ما فيه
وكل ما يتعلق به ويعرف فيه وشبهه فاذا عنيت عني ابقاك الله في بعض التقصير فقارب واقتصد
فلم اضمن لك خلوص ما اقوله عن بعض الشوائب وانما عزوت ذلك كله الى هؤلاء الاعلام
الذين كانوا مذكورين في الوقت من غير ان استبددت بشيء عليهم الا بما لا بال به ليحسن
ظنك ويقل تعبك بها في تحصيلهم والله يعينك بلطفه ويواصلك بتوفيقه انه قريب مجيب

مقابسة اخرى

٤٣ قيل لابي الخير حدثنا عن معرفة الله تقدس وعلا ضرورة هي ام استدلال فان المتكلمين في هذا
اختلفوا اختلافا شديدا وتنابذوا عليه تنابذا بعيدا ونحب ان يحصل لنا جواب فيفسر على حد الاحتمال
مع البيان فقال هي ضرورة من ناحية العقل واستدلال من ناحية الحس لما كان كل مطلوب
من العلم اما ان يطلب بالعقل في المعقول او بالحس في المحسوس قال وهذا هو الشاهد والغائب وساغ
ان يظن مرة ان معرفة الله اكتساب واستدلال لان الحس يتصفح ويستقوي بموازرة العقل
ومظاهرته وتحصيله وان يظن تارة اخرى انها ضرورة لان العقل السليم من الآفة البريء من
العاهة يحث على الاعتراف بالله تقدس اسمه ويحتج على صاحبه بجحده وانكاره والتشكك فيه
لكن ضرورة لا ثقة بالعقل لان ضرورة العقل ليست كضرورة الحس لانها جذب واختيار
وحمل واكراه فاما ضرورة العقل فهي لطيفة جدا لانه يحظ ويلاطف وينصح ويحقق وكان
بعض اصحابنا في الوراقين ببغداد يضرب في هذا مثلا اخر ان مثال الحس في هذا كامرأة حسناء
متبرجة ذات وقاحة وخلاعة تدجلت الى شاب طرير لم شطر حاله وعليه مسحة من حسنها
تخدعه بحديثها وتراوده عن نفسه لنفسها وتبدي له محاسنها وتطمعه في الامتكان بها
وتستعجله في حاجتها وتحثه على قضاء اللذة والوطر منها فاما مثال العقل فكانه
شيخ فهم قاعد على نجد ليس به نهضة للزحوف اليه والحيلولة بينه وبين ما تراءى له من صباحة
الوجه الفاضحة الا انه مع ذلك مليح يثوب وينادي بصوت يحرك رأسه ويبسط يده ويعظ
ويلاطف ويعذر ويخوف وينصح ويرفق ويشفق ويحنو فاين تأثير هذا الشيخ الهم
المحطم من تاثير هذه الخالبة العالبة المحتالة المغتالة هذا مع قلة اصغاء الشاب

الى الشيخ وسيلا لانه مع هذا او ادهذا الثلث الفرق بين العقل فيما يدعوك اليه لتسعد الحس فيما يملك
عليه لتشقى هذا في جميع ما يزاوله ويحاوله ويختبره ويتوجه نحوه فعلى هذا فان الله تعالى تقدس معروف
عند العقل بالاضطرار لا ريب عنده في وجوده ومستدل عليه عند الحس لانه يستحيل كثيرا ولا
يثبت اصلا فهو استدل ترقى من الجزئيات ومن ادعى الاضطرار من الكليات وكلا الطريقين
قد وضح بهذا الاعتبار وكفى مؤونة الخبط والاكثار وهكذا كل شئ يطلب اصله وفصله بالنظر
الفلسفي والبحث المنطقي والاقتراء الالهي فاما ما ينظر منه في الجدال فلا يورث الانسان
منه الا الشك والمرية والحسبان والظنة والاختلاف والفرقة والحمية والعصبية وهذا الى
الهوى ولادة وحضانة وللباطل استيلاء وجولة وللحيرة ركود واقامة اخذ الله بايدينا
وكفانا الهوى الذي يؤذينا وصنع لنا بالذي هو اولى به منا والسلام

مقابسة اخرى ٤٣

قال العامري الطبيب اخو المنجم ونظيره وشبيه الحال به وذلك ان الطبيب قد يرسم بانه
حفظ الصحة بالتدبير المحمود وازالة العلة بالرأي الصحيح وكان علم الطب اشرف من موضوعه
وموضوع علم النجوم اشرف من كماله وا والصناعة محتملة للحيلة والزرق كما انها راجعة الى الصحة
والحذق وقد ينفق في زرق الزارق صواب كبير كما يعرض في حذق الحاذق خطاء يسير و
الحيرة بين هذين الاتفاقين مجال وللمعترض عليهما مقال وفصل الحال بين الرجلين صعب و
الخطب مشكل وليس للمصيب بالزرق ان يجعل ذلك قاعدة واساسا ولا للمخطئ ان يقطع
منه ياسا قال وقفت هذه الصناعة هذا الموقف وتدرجت هذا التدرج لان الله
تقدس كما اراد بالعافية والبرء والسلامة والنجاة انعاما وامتنانا كذلك اراد بالعلة والمرض
واليأس اختبارا وامتحانا فلو شاء الله العلم بالطب تعليلا للطبيب بسبب رزقه منه و
تعليلا للمريض بسبب تخفيفه عنه فكلا الرجلين اعني المعالج والعليل الى غاية مضروبة على اسباب
محسوبة وغير محسوبة ولو عافى الله تبارك وتعالى بالطب بدلا لاتخذ الناس الطبيب ربا ولو لم
ينفعهم الطب احدا لهجر الناس الطب هجرا بجعله علا لا ثمرة مع احصاء ايام العافية وسبب العافية
مع التنبيه على موقع النعمة ولذع البلية قال وما هذا امره ومرجعه الى عالم الدلالة وما
استست عليه ودراهما به وصرف سكا فيه فمن لم يفتح بصره لم ير ما فوقه ولا ما تحته
ولا ما عن يمينه ولا ما عن يساره كذلك الغيب سبحانه لم يطلع على سر هذا الشاهد ومكنون
هذا الجلي وباطن هذا الظاهر ومعقول هذا الذي تم عليه الحس وخفي هذا الذي وقع عليه
الحدس قال والمرض والعافية في الابدان بمنزلة الغنا والفقر في الاحوال والغنا والفقر
في الاحوال بمنزلة العلم والجهل في القلوب والعلم والجهل في القلوب بمنزلة العمى والبصر
في العيون والعمى والبصر في العيون بمنزلة الشك واليقين في الصدور والشك واليقين
في الصدور بمنزلة الغش والنصح في المعاملات والغش والنصح في المعاملات بمنزلة الطاعة
والمعصية في الاعمال والطاعة والمعصية في الاعمال بمنزلة الحق والباطل في المذاهب والحق
والباطل في المذاهب بمنزلة الخير والشر في الافعال والخير والشر في الافعال بمنزلة الكراهة
والمحبة في الطباع والكراهة والمحبة في الطباع بمنزلة الهجر والوصل في العشرة والهجر

والوصل والهجر بمنزلة الرداءة والجودة في الاشياء والرداءة والجودة في الاشياء بمنزلة الصلاح
والفساد في الامور والصلاح والفساد في الامور بمنزلة الضعة والرفعة في المراتب والضعة والرفعة
في المراتب بمنزلة القبيح والحسن في الصورة والقبيح والحسن في الصورة بمنزلة العي والفصاحة
في الالسنة والعي والفصاحة في الالسنة بمنزلة الاعوجاج والاستقامة في الاعضاء والاعوجاج
والاستقامة في الاعضاء بمنزلة الحياة والموت في الاجساد والحياة والموت في الاجساد بمنزلة
الشقاء والسعادة في العواقب فما احوج هذا الانسان بعد قيام هذه الامور ذات عينه وبحله
وطرفه الى يعظ بها ما يكسر في معاشه ومنها يقتبس لمعاده ويقتني ما يحمد ريعه وجدواه ويجتنب
ما يصير سببا للشقاء في عقباه فباب الخير مفتوح وداعي الرشاد ملح وخاطر الحزم معترض و
وصايا الاولين والآخرين قائمة ومناجحهم موجودة والخوف عارض والامن مظنون والسلامة مرجوة
فاذا ينتظر المرء اللبيب بنفسه بعد هذه الآيات المتلوة والاعلام المنصوبة والحالات المتقلبة
والنعم المتنقلة والاعمار القصيرة والآمال الكاذبة اما يتعظ اما يعلم انه من جنس ومحمول
على تدبيره وانه لا فكاك له مما لا بد من حلوله به من انحلال تركيبه واستحالة عنصره وانتقاله
الى حال بسيطة ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ولكن علما مدخولا وعقلا ولكن عقلا كليلا
وبحثا ولكن حسنا عليلا كما قال الاول شعرا اشكو الى الله جهلا قد منيت به بل ليس جهلا
ولكن علم مفتون واعلم ان الغرض كله في هذا الكتاب وجميع ما بثثت عن هؤلاء الشيوخ
انما هو في ايقاظ النفس وتأييد العقل واصلاح السيرة واعتياد الحسنة ومجانبة السيئة
فاستصحب الغرض بالنية الجميلة فلعلك تؤهل للفلاح والسعادة عند توديع هذه
الجملة المتشابكة وانحلال هذه الحبائل المنعقدة

مقابسة اخرى

رايت فضلاء من الفلاسفة وهم الذين قد نوهت باسمائهم مرارا يكثرون الخوض في معنى ٤٤
الامكان ويتداولون المسئلة والجواب فيه وقد اقتبست منهم ما رسمته في هذا الكتاب على طريقة
قريبة والفاظ معهودة فاشركني في تقبل الفائدة ان كنت طالب فائدة ولا تسبق الاستحسان
والاستقباح والتخطئة والتصويب قبل التفهم والتصفح والتقليب والتنقير فاما مسلم فصعب
فمن ذلك قول القائل زعم ان لا طبيعة للممكن وانما هو موقوف على فرض الفارض ووهم
الواهم ووضع الواضع وظن الظان وليس كالواجب الذي هو ثابت على وتيرة واحدة وجديلة
محدودة معلومة والحد قائم الطبيعة ولا كالممتنع الذي هو ايضا على هيئة واحدة لا يرتقي
صعدا ولا يتمايل سفلا والبرهان على ذلك ان الواجب لا يستحيل ممتنعا البتة لا بزمان ولا
في مكان وانه كذلك بذاته لا بشيء آخر وكذلك الممتنع لا يستحيل واجبا على مثل حكم الواجب
لا في زمان ولا في مكان بل لا ينحط الواجب الى الامكان ولا معقولا ولا موهوما ولا مفروضا
ولا مظنونا وكذلك لا يسمو الممتنع الى الامكان في حال من حالاته على ما سلف البيان عنه
وقال آخر من هؤلاء الجملة مما يؤيد هذه المصادرة ويحققها ويوضح مشكلها ان كان
عرض منها انك اذا قلبت هذه الالفاظ الثلاثة وفحصت عن عناصرها ورتبت معنى كل
اسم منها من جهة وزنه ومرتبته وصنعته وخلقته وجدت وجوهها المختلفة دالة على

معانيها المختلفة وذلك انك اذا قلت هذا واجب فهذا الوزن وزن فاعل من جهة اللفظ وانما قلت
من جهة اللفظ قال لان الفاعل من جهة المعنى مقتضٍ لمفعول والواجب مثبت لنفسه عما يكون
هو به مفعولا وعما يكون هو له فاعلا والفاعل من المضاف وكذلك المفعول ليس الكلام فيها
وانما اعترض من ناحية وزن الاسم وتبرأ من كل صفة موهومة هذا التبرء ولقيامه بنفسه
واستغنائه بجوهره وكماله بذاته واعطى المؤنة الاولى والحد الاعلا والممتنع اذا قلبت معناه
من ناحية وزنه وجدت فيه معنى من معاني الانفعال ونظايره في البنية تشهد بذلك
وهذا نظر يستهلك نظر النحوى ويوفي عليه لا بل فوقه في الشرف وان كانت قوة النحو مقتضية
وشهادته مستعارة له فكانه قد استضاف فعلا ما الى نفسه كما استضاف محتمل ومشتبه
وملتبس ومقتصد وتقريره هذا الطيف الى التقريب دون ما طال وامتد وكما استوفى الواجب
الصورة بالكمال استيفاء وجوديا انتفى الممتنع من الصورة في كل حال انتفاء عدم فليس في الواجب
من اجزاء العدم شيئ ولا في الممتنع من اجزاء الوجود شيئ وبالاضطرار لفظنا باخر الممتنع
ثم ان الامكان بعد هذا كله استعار من الواجب شبهاً واقتطع منه ظلا واستعار
ايضا من الممتنع شبها واسترق منه ظلا وذلك هو عدم ما فصار من اجل الاستعارة
والاستراق ينقسم الى مراتب ثلاث الى الاكثر والاقل والاوسط فقال بعض من حضر
هذه المقابسة العجب انه اخذ الشبه من اثنين وانقسم الى ثلاثة فقال له قايل
في الجواب انه اذا اخذ الشبه من الواجب في الاغلب لقوة الواجب في صحة نفسه وثبات
جوهره وصفاء عينه وفي الاقل اخذ من الممتنع وقوة الممتنع بازاء قوة الواجب وضعاً
وتمثيلا وقد تقاسمت القوتان الطرفين على تناديهما الا ترى ان الكثرة من الوجود و
القلة من العدم اعني ان صورة الوجود في الكثرة اظهر منها في العدم والوجود باسره
في الوجود والعدم في الامتناع ونفي ما هو هما اعني ما ائتلف من الشبه الماخوذ من
الواجب والشبه من الممتنع لا تنافذ وفيما قد استعاره من الشبه من الطرفين وفي
ايضا ما له بالتوسط واختلاف ابنية هذه الكلمات دليل بين وحجة واضحة على
تفاوت ما بينهما من الحقايق فاذن الامكان قد خلا من طبيعة يستقل بها وعرى من معنى
ينسب اليها وعاد وحكمه حكم المركبات في الحس والمفروضات بالوهم قال ومما يزيد ما مضى
من القول وضوحاً ان الواجب لا يقف على ايجاب موجب في وجوبه والممتنع لا يقف على
منع مانع في امتناعه فان عرض في نفسك الواجب فاعلم انه قد اقتضى شيئا ولكنه
الوجب واستوفاه ولم ينفصل عنه ما يقتضى شيئا اخر ولا بقى ايضا منه ما تقتضيه شيئ
اخر وهكذا الدائم في قياد ذلك قد اقتضى الممنوع واستوفاه ولم ينفصل منه ما يقتضى شيئا
اخر ولا بقى منه ايضا ما يقتضيه شيئا اخر وخرج حكم الممكن من الحكم الذي للوجب والحكم الذي
للممتنع لان الممكن كانه طالب لمكانه والداعي لنفسه فيكون مكانا وهذا كله لتقلقه في قصة
وقلة استقراره في بابه لانه عادم لحده وطبيعته وانما يغلب عليه تارة ما يغمره الواجب من
نفسه وصورته فيصير الامكان القريب من الوجوب وتارة يغلب عليه ما يستعيره
من الممتنع فيصير الامكان القريب في الوسط الا يغلو به دفع الى جانب ولا انحراف لما

لما كان الواجب عن الحقيقة عن الكثرة والقلة والانقسام والعلة وعن استعارة صورة عن ذلك
صورة فصار الممكن المنقسم الى الكثرة والقلة والوسط لان الكثرة والقلة قد دان واذا بطل
ما يكون ذا قدر بطل القدر ومما جرى بين هولاء الافاضل في هذا الفصل ما يدخل في حاشية
هذا الكلام الذي قد اعجزني عن ادائه على وجهه بالقسطاس المستقيم سوء التأتي فيما يحقق
المراد ويحط ثقل الهم قول احدهم ان الواجب واجب ان يكون واجبا والممكن واجب ان يكون ممكنا
والممتنع واجب ان يكون ممتنعا فالوجوب صورة الجميع لانه نعت للعلة الاولى واما الامكان
والامتناع فانه يشار اليهما بعد الاعتراف بالوجوب الذي قد نفذ سلطانه فيهما وملكت سمته
جملتهما واحتوت صفته عليهما والواجب لطبيعته لم ينقسم لان الوحدة تامة فيه محيطة به
موجودة له خالصة عليه ولو انقسم لانقلبت الوحدة الى الكثرة وتشعبت عما هي عليه في
الحقيقة وكذلك الممتنع لانه يكون في الطرف الاخر يعطي صورة الانتفاء من نفسه توفيرا لحد الكون
ولا ضير ان يختصر هذه الجملة منا لا يكون كالوحي الى الحق لئلا يطمسها ما طال القول فيه وتتابع البحث
عنه واجب ان يكون الفاعل قبل المفعول وممتنع ان يكون المفعول قبل الفاعل ويمكن ان فاعلا
معا في مكان او منفعلان معا في زمان وممكن ان يكون فاعلان معا ولا منفعلان
بل يكون كل واحد منهما منفردا عن فاعل اخر وكل منفعل منفصلا عن منفعل اخر فهذا كما
ترا ومثال اخر واجب ان يكون الفلك محيطا بالارض وممتنع ان يكون المركز محيطا بالفلك وممكن
ان يركب الامير غدا فلو كان الامكان نحو غير معترف بما قد تقدم القول فيه كان لا يقف
على الوضع والفرض والرسم والوهم والظن والتخيل الا ترا انك لو نسبت هذا الامكان الى الفلك لم يصح
اعني انه يستحيل ان يقال يمكن عند الفلك وعند الله ان يركب زيد غدا وفي الاول جاز عندنا ذلك
لانا قلناه تقديرا وتظنينا ووضعا وتوهما ولا فرض عند الفلك ولا ظن ولا تقدير ولا توهم ايضا
عند الله تقدس اسمه وتعالى جده وقال اخر من جلة القوم ليس لشيء وجود ولا وجوب الا البارى
الحق ولا حقيقة اذن لشيء الا الله لانه هو الواجب وكل ما عداه فانما هو واجب به وممتنع وبه ممكن والوجود
الحق له فكل وجود يوسم للممكن او للممتنع فانما هو بالاستعارة والتقريب والتحلية والتشبيه فاذا
انسلخ كل ما عدا العلة الاولى من الوجوب ومن الوجود الاعلى قبل ما يبلغه الفيض ويصل اليه
الجود ويخلص ما هو بالحقيقة وبالتحقيق هو فيه هذا مبلغ ما حصل من قول هولاء المشايخ
وهم الذين نثرت لك حديثهم وذكرت اسماءهم وذكرت على مقاماتهم مرارا في هذا
الكتاب وجل النظر في هذه المسألة على ما انفرشت من الفلسفة الداخلة اعني الالهية
المحضة فلهذا ما تفاديت من زيادة لعلها تحط قدر المغزى الذي سلف القول فيه ومقت
المعنى عليه والسلام

٤٥ مقابسة اخرى

ذكرت طبيبا شاهدته بجند نيسابور بشيء من العلم فاذكرتك المذاكرة وتلك المسألة وتلك
الفائدة الاسفر شخص ذلك الشخص وكان يكنى ابا الطيب لعيني وتمثل في وهمي وحتى كاني
اراه قريبا معي وحاضرا عندي وطال تعجبي من ذلك فرايت ابا سليمان في المنام فسالته
عن الحالة التي قد شغلتني بالتعجب منها والامر الذي توالى علي من اجله فقال لي في الجواب

لولا انقطاعها التام من جملته في اليقظة ما انا راسمه وحاكيه في هذا الموضع قال اما تعلم ان المبدأ
الاول هو الاصل والعلة مفتقر اليه بالطبع والضرورة ومعترف به بالوجوب الذي ليس فيه
حيرة ولا شبهة قلت بلى قال فالثاني مشعر ابداً بالاول والاول مشعر بنفسه والثاني
مشعور به ايضاً ولكن الاول في الاول مع هذا هو الثاني والثاني هو الاول ولكن
اختلفت الرسوم ولم تختلف الحقائق الى ها هنا يخلص لي ما تبينته وهو ظاهر كما به
قال لما كان من صدور المذاكرة من جهته وتمت بمطاولته وحصلت الغاية بوساطته
اشتاقت النفس وتلبست بصورته رجاءً تاماً منها للمبدأ ونزاعاً نحو الاول واستشعاراً
للسكون معه لانها تشتاق بالذات ابداً الى الاول ويشوق كل اول للشبه القائمة فيه والشبه
الموجودة به من الاول بالاطلاق فكل مريد من كل ضرب طبيعي وارادي وفكري و
وخلقي وصناعي والحي يحييها ويؤنسها ويشفي وحشيها ويعللها ويستعمل بذلك
شوقها الى الاول الحق الذي هو اول بالاطلاق واستكمالها ذلك الشوق هو استدامتها
كمالها وثباتها على صورتها واطرادها على ما حصل لها والكلام في الاول والمبدأ في كل ما
ضرب فيه بسهم وانتهى اليه بوجه لا يمل ولا يمل ولا يشبع منه ولولا ان بضاعتي
في هذا الفن مزجاة وعبارتي عنه منقطعة لكان ما يعقل من ذلك يستبان ابين
مرأىً واجلاء مسمعاً وعلى كل حال فقد كتبت ما امكن التصرف فيه والتشغل به والزيادة
على ذلك تقتضي تجزيل القول على تقدير السؤال والجواب والتمثيل والايضاح فان نفس
الله الخناق قليلاً وازاح هماً لازماً وجمع شملاً منقطعاً اتيت على ذلك متوسعاً
او اطمت عليه متلافياً ان شاء الله تع

مقابسة اخرى

قال النوشجاني يوماً في جملة كلام اقتضبه في اقسام الوجود اذ كل صنف من اصناف الموجود ٤٦
في حكم المعدوم لخساسته ونقصه ولطافته وفساد طبيعته وغموض ضيائه وقبح صورته
وسماجة هيئته وخمود شعاعه وفقد تمامه وتقطع نظامه واستيلاء رذيلته وبطلان
فضيلته فلا ينكر ان يكون في مقابلة صنف آخر من المعدوم في حكم الموجود بصحة
صورته ونفاسة جوهره وكمال فضيلته وظاهر عفته ونجابته وبهاء همته وغلبة
عدالته ونفاسة سنخه وصفاء سوسه وطهارة عينه وظاهر زينته ودوام نضرته
وتناسب جملته وتفصيله وساير ما لا يحيط القول به قال والاشارة في هذين
الفصلين بينة مكشوفة ومتى لم تقف عليها من تلقاء نفسك بضياء عقلك وذكاء
قريحتك وصل اليها من جهة ارباب الحكمة واعلام الفلاسفة فانك متى جردت
هذه الاعراض وتخللت هذه المعارف وثبت على سمة العدل تكنفتك
الخيرات عاجلاً والسعادات آجلاً فتكون حينئذٍ موجوداً وان عدمت وباقياً
وان فنيت وحاصلاً وان فقدت وثابتاً وان نفيت مغبوطاً وان رحمت وحياً
وان مت وظاهراً وان بطنت وجليلاً وان خفيت وواضحاً وان اشكلت وشاهداً
وان غبت وقادراً وان عجزت ومعروفاً وان انكرت وعالماً وان جهلت هنالك

تصل الى الغنا بلا قنية وتنطق بلا عبارة وتفعل بلا آلة وتصيب بلا مشورة وتعقل
بلا مقدمة وتبقى بلا آفة وتلتذ بلا استحالة وتنال بلا كدح وتحيا بلا اذية وتسعد بلا
شوم الهيئة ودنتها من البشرية وربوبية وصلت اليها من العبودية ومملكة استوليت
عليها بالانسية وحال جلت عن رقم قلم تزويق حبر واستقصاء بيان وتخيل وهم
ثم قال ـــ وقد تم الكلام فيما تقدم عن حال الانسان في وجوده الثاني عن السعادة التي
حصلت له والمحبور الذي ظفر به قلـ وانما تلطف هذا القول عليك لانك تنظر الى هذا
الانسان من قبل وهو في اسار الحس وحد الجسم وقشور البدن وتحلل التركيب وتصرف
الطبيعة وسيلان الطين وذوبان العنصر هذا مع سوء الاختيار وفساد العقيدة وقلة
ايثار العفة والنجدة والاخذ بالرخصة بعد الرخصة في مساعدة الشهوة وتسلط الارادات
المردية المهلكة ومتى يكون لهذا مرجوع وثمرة وفايدة ولعمري لو قدس نفسه وباين
هواه واختار الحق معتقدا وآثر الخير مجتهدا ونال من ضرورات الطبيعة مقتصدا لانتعشت روحه واستنار عقله
وذكت بصيرته وصفت قريحته وصدق ظنه ووضح حدسه واصاب فراسته وكان التوفيق تاليه والسعادة غاشيته والغبطة
حليته والبقاء حليفه والابد نعته وما اسهل هذا الوصف على ما اقول وعليك بالسماع وما
اصعبه علينا جميعا بالعقل وكيف لا يكون ذلك صعبا والانسان منوط بالطبيعة من طرف
ومضاف الى العقل من طرف فالطبيعة تفزع الى ما هو فساده واهلاكه وبالعقل يختار ما هو
صلاحه وكماله لكن اختياره ضعيف فيه لانه عال في افق العقل الذي هو موجب الواجب
ومحسن الحسن وارادته الطبيعية قوية فيه لانها ناشية منه وكامنة فيه ومترددة عليه
والنقص على الجمهور في كل حال واصر وان العجب كل العجب ممن يكمل في دار النقص ويصح في عرصة
العلل او يسلم في خطة البلوى او يلذ الصاب والعلقم ويغفل عن غايلتهما وينعم وكان بعض
الالهيين يقول الاحسان من الانسان زلة والجميل منه فلتة والعدل منه غريب والعفة
فيه عرض ضعيف ومما يزيدك ثقة بما يصرف من القول به نقص هذا الانسان الذي
قد اكتنفه الفساد من كل جهة وملكه الجهل بكل حال انا وجدنا في هذه الايام من نظر الى
وادٍ اغن بالكلأ قد استحلست الارض به خضرة ونديً وحسنا فخف حين حالف
عينه في طرافه وبلغ به العجب الى ان قال ليتني كنت بقرة فكنت آكل من هذا اكلا ذريعا
وهكذا من اعلاه الى سفله ومن اسفله الى اعلاه وكان يقول هذا وهو على شكل ظريف
لا سبيل للعلم الى تصويره وعلى اجائه على وجهه وحقيقته واللسان ايضا لا ياتي على جزا
ومعانيه وهو متحسر في قوله على هيئة مجنون لغلبة الارادة الطبيعية وقوة الحركة الحيوانية
وموت العقل الانساني وبطلان الشرف الجوهري فلما فشا عنه هذا الحديث وكثر قالـــ
له بعض الفقهاء معنفا ولائما ومنبها له على خساسته يا هذا هل رايت قط من تمنى
وهو انسان ان يكون بقرة بسبب مكان معشب وكلأ كثير فقــال له مجيبا وهو
وادع النفس رخي البال حاضر الفكر ساكن الطباع ايها الشيخ لو رايت بعينك ما رايته
لتمنيت ان تكون كما تمنيت وهذا يدل على ان الذي اثار شهوته في ذلك المكان لم
يكن جوعا قد توالى ولا نهمة قد غلبت بل كان نذالة النفس ولؤم الطباع وسقوط

الجوهر وغباوة الروح وقلة العقل فهل نظر حفظك الله بعد هذا بمن هذا حديثه وجملته و
تفصيله ان ينتعش من صرعته او يستبصر في شانه او يهتدي لسعادته او يلتفت الى معاده
وهل بين هذا وبين الحمار الذي هو حيوان نهاق فرق بل قد سمعت ممن قال ان الحمار خير
من هذا بكثير لان الحمار لازم لحدٍّ غير منحرف الى ما ليس في قوته وهذا قد بطل حده بارادته وجمع
النقص كله لنفسه بقبح شهوته وفساد امنيته على اني شاهدت قبل هذا انسانا متماسكا
وكان له حظ من التجربة بالسن العالية والسفر البعيد وكان متميزا بمذاهب الصوفية
يقول يوما وقد ابصر حمارا يمشي ليتني كنت هذا الحمار فعجبت منه فضل عجب وانكشف
لي انه انما تمنى ذلك ليكون ناجيا من قلائده ومؤونته ما هو بعرضه وصدده عاجلا وما هو ماخوذ
به ومخوف منه ومحقق له آجلا فكان عذره هذا عندي اخرج من كل الجهل وادخل في محض الوهم
وانما هجس هذا في ضميره وجاش على لسانه واتضح بذكره والتشدد فيه لانه كان جاهلا بالجوهر
الذي هو اشرف من الانسان بحده الخالص من كل شوب فنزل عن تلك الربوة العالية والذروة
الشماء عن الجواهر العلوية الابدية وتمنى ان يكون حيوانا هو اخس من الانسان عند كل انسان
لا يحتاج في تسليم هذا ومعرفته الى مقدمتين ونتيجة بل العلم به اول والتسليم له ضرورة لا
لشيء الا ليتخلص من عوارض الدنيا وكلف الحياة وضرورات الطبيعة ومطالب الحواس
ولو ادرك قوته شيئا وعقله وحكم به لصعد نحوه وطلب الانتساب اليه والاشراف
عليه والنظام فيه والتمام به والبقاء معه ولم يعد ناكصا على عقبيه متمنيا الا ان
يكون على هيئة شيء هو الانسان بنفسه اشرف نفسا واكمل صورة واقوم فعلا واكمل وزنا
وابقى شخصا واكرم جوهرا اواصل هذا الفصل بحديث اخر دفعنا اليه في هذه
الايام لتكون هذه القابسة مستوفاة ولعلك لا تخلو فيه ايضا من فائدة تكون رفدا
لما سبق وايقاظا لنفسك في المستقبل ترى الانسان يبصر فيها بل هي عيونه التي يرى فيها
بل هي نحوله التي يستثمرها ونواضحه التي اذا اقبل منها عرف كيف المعرس والمسرى وكيف
الصبح اذا بدا وتجلى الصبح بين يديه كلما ارب ودرج ونشأ شاهدنا في هذه الايام شيخا من
اهل العلم ساءت حاله وضاق رزقه واشتد نفور الناس عنه ومقت معارفه له فلما
توالى هذا عليه دخل يوما منزله ومد حبلا الى سقف البيت واختنق به وكانت نفسه في ذلك
فلما عرفنا حاله جزعنا وتوجعنا وتناقلنا حديثه وتصرفنا فقال بعض الحاضرين لله دره
لقد عمل عمل الرجال نعم ما اتاه واختاره هذا يدل على عزازة النفس وكبر الهمة لقد خلص
نفسه من شقاء كان طال به وحال كان ممقوتا فيه محجورا من اجله مع فاقة شديدة واضاقة
متصلة ووجه كلما امّه اعرض عنه وباب كلما قصد دونه اغلق عليه وصديق اذا ساله
اعتل عليه فقيل لهذا العاذر ان كان قد تخلص من هذا الذي وصفت فانه لم يوقع نفسه
في شقاء اخر اعظم مما كان فيه واهول وادوم واعظم وابقى ولعمري نعم ما عمل لله
ابوه ما احسن ما اهتدى اليه وقوي عليه وينبغي لكل عاقل يلتفت الى معاده يقتدي
به ويصير الى رايه واختياره وان كان قد سمع بلسان الشريعة اي شريعة شئت القديمة
والحديثة النهي عن هذا واشباهه فقد اتى بما عجل الله به العادة واجله عليه عذا

النار سبحان الله اما كان فيهم من كل عاقل ولبيب وعالم واديب ومن كل من يرجع الى مسكة
ويعرف ادنى فضيلة ردع من يرجع الى قوله وينتهي الى صواب امره ويتمادى فنون سيرته وحاله
النهي عن مثله والزجر عن ركوب ما هو دونه بكثير فكيف لم يتهم نفسه ولم يتعقب رايه ولم يثنا و
نفيا له اهذا كله بسبب حال لو انها كانت تنكشف عنه عما يتمنى بعد انحسارها الى كبير ممن
ينسى معه قاسى وقد علم ان ادنى ما في هذا الفعل المكروه بالعقل الفاحش بالسماع ان تشنع
منه بالطبع ما يجب عليه من التوقي بسبب ما قد انتشر بالشرائع واجمع عليه الاول والآخر
من كل جيل وطرف في النهي عنه واستسقاط ما اقدم عليه لانه امر متى ركب بالظن والتوهم
اللذين لم يؤيدا بصيرة من عقل ولا عرضا على عاقل ثم استبان له في الثاني عوار ما اثره
وخطأ ما عمل به فاته التلافي ولم يمكنه الاستدراك ولا الرجوع فلو لم يكن في هذا الا
ما يوجب عليه التثبت والاستبصار من اجل ما قاله العقل او ورد به الانبياء بالعقل
والوحي لوجب ان لا يلقي بيده الى التهلكة ولا يختار ما يهجنه عليه اهل الروية والبديهة
واصحاب الديانة والمروءة ولا ينفصل لعادة القائمة ولا يخالف الآراء الحصيفة ولا يستبد
براي الطبيعة فكيف وقد قضى العقل قضاء جزما واوجب النظر ايجابا حتما انه لا يجب
ان يفرق الانسان بين هذه الاجزاء الملتحمة والاعضاء الملتئمة وليس هو رابطها ولا هو
على الحقيقة مالكها بل هو ساكن في هذا الهيكل لمن اسكنه وجعل عليه اجرة السكنى بعمارة
المسكن وحفظه وتنقيته واصلاحه وتصريفه على ما يعينه على طلب السعادة في العاجل
والآجل ويكون سعيه مقصورا على التزود الى مبواء صدق ولا بد له من المصير اليه
والمقام فيه على امر شامل وخير غامر وراحة متصلة وغبطة دائمة وجود مستصحب
حيث لا آفة ولا حاجة ولا اذى ولا حسرة ولا اسف ولا كمد ولا فوت ولا تعذر وهذا
مع السيرة المرضية وايثار الاخلاق السنية ومع اعتقاد الحق وبث الصدق والاحسان
الى جميع الخلق فاما اذا كانت الحال على خلاف هذا فالشقاء الذي يتردد فيه وينعقد به
ويرفع اليه يكون في وزن ذلك ومقابله نسئل الله الذي بيده ملكوت كل شيء ان
يهدينا للتي هي ارشد في العاجلة واسعد في العاقبة فانا ان خلونا من صنعة اللطيف
وبره المألوف هلكنا وخسرنا انفسنا وعدنا في الثاني شر معاد مع طول حسرة وشدة
اسف اللهم فارحم ضعفنا واشملنا باحسانك وتوفيقك حتى نتوجه اليك تاصدين
ونفوض امرنا الى تدبيرك راضين ونتوكل عليك منيبين ونصير الى جوارك مشتاقين
مخلصين يا رب العالمين قد تضمنت ـــــ هذه المقابسة فنونا من القول وما اظن اني
اسلم فيها عليك لشدة نظرك وتقليبك ومع ذلك فهي غير خالية من بعض الفائدة وانا
اسئلك ان تقبلها على تخيلها وهب بعضها بعضا لتكون آخذا بحكم المروة جاريا على
هدي ذوي الفضل في حسن الاغماض عن شيء لعله يختل منه بعض الاختلال ولا يناله من العفو
كل المنال وانت تفعل ذلك ايجابا بحق اخيك وذهابا مع احسن اخلاقك التي هي فيك

مقـــابســـة اخرى

قيل لابي سليمان باي شيء تعرف ان في العقل مع شرفه وعلو مكانه انفعالا فقال باستحسان

واستقباحه لان هذين انفعالين ولكنهما انفعالان على طريق الاستحالة وكانه يلوذ على نفسه او يقتبس من الذي هو اعلا منه وثبت فيما دونه ويسيخ عليه فهذا يوسم بالانفعال على جهة التقريب لان مرتبة هذا الانفعال فوق مرتبة كل فعل مما هو دون العقل وتما يزيد لك استنباطاً لهذا المعنى واستنامة اليه ان هذا الانفعال هو الانفعال الاول الذي ليس فوقه انفعال البتة وله الحق الاولية نسبة الى الفاعل الاول الذي لا فاعل فوقه البتة وكلما هبط الانفعال في المنفعل بعد المنفعل حسن وبعد عن ذلك الشرف الذي كان بالنسبة الاولى كالفعل الذي كلما هبط ايضاً في الفاعل بعد الفاعل يحسن ويبعد من شرف الفاعل الاول بالاطلاق الذي هو علة كل ما هو علة له فانت اذا اعتبرت فاعلاً بعد فاعل حتى تنتهي من عندك الى الدرجة القصوى مررت باقسام الفاعلين ومراتبهم ايضاً كذلك اذا اعتبرت ايضاً منفعلاً بعد منفعل حتى تنتهي من هناك الى ناحيتك الدنيا مررت باقسام المنفعلين ومراتبهم وهذه امور بينة اتم بيان وثابتة على اكمل بهجة وافضل رتبة لا يتخللها خلل بوجه ولا سبب الا ما يتخيل منها الحس لكن وب الذي لا يوثق بقضائه ولا يسكن الى حكمه فاما التصفح العقلي فقد اتى على هذه كلها بما اهدى الى النفس السكون ونفى عن حقائقها الظنون والسلام

مقابسة اخرى

قلت لابي سليمان ما الفرق بين طريقة المتكلمين وبين طريقة الفلاسفة فقال ما هو ظاهر لكل ذي تمييز وعقل وفهم طريقتهم مؤسسة على مكايلة اللفظ باللفظ وموازنة الشيء بالشيء اما بشهادة من العقل مدخولة واما بغير شهادة منه البتة والاعتماد على الجدل وعلى ما يسبق الى الحس ويحكم به العيان او على ما يسنح به الخاطر المركب من الحس والوهم والتخيل مع الالف والعادة والمنشا وساير الاعراض الذي يطول احصاؤها ويشق الاتيان عليها وكل ذلك يتعلق بالمغالطة والتدافع واسكات الخصم بما اتفق واتمام القول الذي لا محصول فيه ولا مرجوع له مع بوادر لا تليق بالعلم ومع شوائب كثيرة نعم ومع قلة تاله وسوء ديانة وفساد دخلة ورفض الورع بجملة والفلسفة ادام الله توفيقك محدودة بحدود ستة كلها تدلك على انها بحث عن جميع ما في العالم مما ظهر للعين وباطن للعقل ومركب بينهما وما يليل الحد طرفيهما على ما هو عليه واستفادة اعتبار الحق من جملته وتفصيله ومسموعه ومرئيه وموجوده ومعدومه من غير هوى يمال به على العقل ولا الف فيفتقر معه جناية التقليد مع احكام العقل الاختياري وترتيب العقل الطبيعي وتحصيل ما ند وانقلب من غير ان يكون اوليدا ذلك موجودة حساً وعياناً وكانت محققة عقلاً وبياناً ومع اخلاق الهيئة واختيارات علوية وسياسات عقلية ومع اشياء كثيرة ذكرها وتعدادها ولا تبلغ اقصى ما لها من حقها في شرفها ثم قال وكان شيخنا يحيى بن عدي يقول اني لا عجب كثيراً من قول اصحابنا اذا ضمنا واياهم مجلس نحن المتكلمون ونحن ارباب الكلام والكلام لنا بنا كثر وانتشر وصح وظهر كان سائر الناس لا يتكلمون او ليسوا اهل الكلام لعلهم عند المتكلمين خرس وسكوت اما يتكلم يا قوم الفقيه

والنحوي والطبيب والمهندس والمنطقي والمنجم والطبيعي والالهي والحديثي والصوفي قال
وكان يلهج بهذا وكان يعلم ان القوم قد اخذوا لانفسهم اصولا وجعلوا ما يدعونه محمولا
عليها ومساويا لا من عرضها وان كانت المغالطات تجري عليهم ومن جهتهم بقصدهم مرة وبغير قصد
اخرى قال وكان يمثل هذا كثيرا بقوله والدليل على ان النحو والشعر واللغة ليس بعلم انك
لو لقيت في البادية شيخا بدويا فحا محرما لم يحضر يارلاجا ولا عجميا ولم يفارق رعية
الابل وانتياب المناهل وهو قيم بهيئتها التي لا يشق غباره فيها احد منا وان كلف
فقلت له هل عندك علم لقال لا هذا وهو ينبه المثل ويقرض الشعر ويسجع السجع
البديع ويأتي بما اذا سمعه واحد من الحاضرة وعاه واتخذه ادبا ودرواه وجعله حجة
وكان يقول هذه الآداب والعلوم هي قشور الحكمة وما تلتزمها على غايات الزمان لان
القياس المقصود في هذه المواضع والدليل المدعى في هذه الابواب معهما ظل يسير من البرهان
المنطقي والوحي الالهي والاقناع الفلسفي وقد بين هذا الباب ارسطوطاليس في الكتاب الخامس
وهو الجدل بكل ما في الامكان من التعليق به والاحتجاج منه مع التمويه والمغالطة بل كثير
من المتكلمين لا يصلون الى الغايات ما كشفه ورسمه وحذر منه واباه عنهم وان انضوا
مطيهم وابلوا جهدهم سوى ما اتى عليه قبل هذا الكتاب وبعده مما هو شفاء الصدور
وقرة الاعين وبصيرة الالباب والكلام في هذا طويل

مقابسة اخرى

قال يحيى بن عدي الحركة صورة واحدة لكنها توجد في مواد كثيرة ومحال مختلفة وبحسب ١
ذلك تولى اسماء مختلفة وقد يظن من اجلها انها في نفسها ليست واحدة وان لها
اخوات ونظائر والبحث الفلسفي قد اقر بواحدة على ما دل الاسم عليه في الاصل
وذلك انه يقال الحركة كون وفساد ونمو ونقصان واستحالة وامكان وانما تباينت
هذه له اسماء لمعان تحققت في النفس بالاعتبار الصحيح فالحركة في النار لهب وفي الهوا
ريح وفي الماء موج وفي الارض زلزلة هذا باب كما ترى قد حصل في الاستقصاء ولم يغادر
منه شيء ثم ان الحركة بعد ذلك في العين طرف وفي الحاجب اختلاج وفي اللسان منطق
وفي النفس بحث وفي القلب فكر وفي الانسان استحالة وفي الروح تشوف وفي العقل اضا
واستقصاء وفي الطبيعة كون وفساد وفي العالم باسره شوق الى الذي به نظامه
ووجوده وقوامه واليه توجهه وبه تشبهه ونحوه توقه وتألهه ثم قال وهذا بين
الحجة وكل شادٍ من الفلسفة شيئا يسلم هذه الاشارة ويتوصل بها الى ما هو من جنسها
اقتداء بما يتراءى منها ويشيع عنها والكلام في الحركة في غاية الشرف لانه دال على كل ما قد
اشتمل العالم عليه من العلويات والسفليات ولا مانع من تعصبه الا العجز عن حله
والكسل عن نقضه وبين هذين ذهاب العلم وضلال الفهم وهكذا حكم من قلت دواعيه
الى الشيء وكثرت صوارفه عنه الى الله نلتجي فيما دهمنا وفيما نزل بنا من غيرنا فالخسر من
لا ذيد في السراء ولا خاب من هذا به في الضراء انه نعم الرب والكافي والمعين والكالي
والمرشد والناصر به يوجد كل مطلوب ويملك كل محبوب وينجي من كل اذية ويتعرى

عن كل رزية لطيف التدبير عجيب التقدير خبير بجميع الامور لا تنكر ذاته ولا يدرك كنهه جل
معبوداً وعز موجوداً مشهوداً

مقابسة اخرى

سئل ابو سليمان عن الكهانة وما يلحق بها من امور الغيب وعن التنجيم وما يقدر به على الحكم
المستقبل وعن النبوة التي هي في محلها الاعلا ومكانها الاشرف فتصرف في الجواب احسن تصرف
على سعة من اللفظ والمعنى ولكني نقلت كثيراً منه لنبو الفكر وقلة العناية ومقدار الحاصل
منه قد اثبته في هذا الموضع خوفاً من ان يذهب نسياً نا فان وافقني فيه معاندة حاصلة
وان حصلت لي حالة محتملة وما علي الا الجهد وبذل الطاق واذا عذرني المتكلم المنصف لم
احفل بالمتعنت المسرف والله يعين اهل الحق بالظفر قال الكهانة قوة الهية
توجد في شخص بعد شخص بسهام سماوية واسباب فلكية واشيا علوية فاذا توسطت صاحبها
في منصف البشرية والربوبية فحينئذ يكون ما يبدو بها مشيراً الى غيب امور الدنيا والى غيب
امور الاخرة على حد يكون على سواء والغالب معد ذلك لامور الدنيا لان الانسان بالطبيعة
اكثر منه بغيرها في الاعم الاغلب والشايع الاشمل فان تجلت هذه القوة قليلاً كانت
للاشارة الى امور عالية شريفة ومحل النبوة بين ابناء هذه القوة بالترقي والتجلي وكلما كان
التباس النفس بالمزاج الموافق وكان النور المقتبس من هذه القوة اسطع واعلا فعلى هذه قوة
النجوم لآثار الكواكب تتبعاً ضعيفاً لان الآلة لا تساعده والعمر لا يوافيه وذلك انه
يتقوى هذه الامور المنتزعة من تلقاء نفسه ومن ناحية اختياره وقصده القوة
من علي الى نظره وبحثه وليست قوى الكاهن كذلك اعني ليست تتبع بل هي كالالقاء
والوحي والسانح والطاري فان اجتمعت القوتان اعني قوة التتبع بالصناعة وقوة
الاقتباس للكهانة ظهر كل امر عجيب وسمع كل قول غريب ثم قال وعلى ما تبين فان
الكهانة اقوى اذا كان صاحبها لا يشوبها شيء من الحس والقاها على صفائها ونقائها
لان قوتها تنكسب من المحل الاعلى بنسبتها بالعلة الاولى تامة وقوة صحيحة واضحة
قلت له فهل يخطي الكاهن كما يخطي المنجم فقال نعم وليس الخطا محالاً منه لان قوته لا تبلغ الغاية في
الخلاص ابداً بسبب تركيبه الذي هو سبب سخافة ما يجاوره بنفسه قال له ابو العباس البخاري
فهل يخطي صاحب النبوة قال لا ولكن يسهو كما في حديث ذي اليدين وسهوه وخطائه لا يقدح
في الحال التي رشح لها ووشح بها وجعل سفيراً الى الخلق من اجلها بل يحرس حراسة ان لم ينف
عنه كل الظنة لم تعلق به كل فرقة قلت له فهذا الموضع فهل يخطي بقوة النبوة من غير ان يستقر بها
ويعرض للخلق من اجلها فقال لا ولكن يعرض له خيال كما في حديث تو بير نخل الانصار ثم رجع عن رايه
وقال لهم انتم اعلم بامور دنياكم ولا مانع من ذلك ولولا هذه القوة التي على حدودها وما بينها
في اشخاص العلماء والبررة ما كان يصح حدس ولا تصدق فراسة ولا يتحقق ظن ولا يتوضح وهم بل هذا امر في غاية الجلية
والظهور حتى في كثير من انصل العوام ثم حكى هذا الفاضل ان رجلاً كان له خادم وكان مكارياً صاحب
حمير ويحمل عليها غلمان ويتنوبه في عمل تجار كبار وانه في بعض طرقه واسفاره سيب الحمير و
طرح الاثقال وقال لها خذ من شاء ما شاء وعاد الى بيته على وله شديد لا ينطق بحرف ولا يتعلق بامر

ولا يتوهم خياله شيء فسأل اهله ذلك ومعارفه فما ثبوه واطالوا عليه فلما كان في بعض الأيام
وقد احترسوه بكل قول ورموه عن كل قوس توجه نحو الحائط وقال يا قوم ما الكم وقلبي وما هذا
التعجب والإكثار اما رأيتم من كان قاعدا على مزبلة فنبعت من بين يديه عين صافية بماء كالزلال
عذب حلو فشرب منها وسبح بها وعاشت نفسه بمجاورتها وكانت سبب ريه الذي لا ظمأ
بعده وطهره الذي لا دنس معه هذا تمام الحكاية قال فائل عنده هذا الفصل لابي سليمان
حدثنا عن قلبه في هذا الوضع فانه قد جرى ما لا مزيد عليها ولا تقصير معه ولا بد من انتهاز كل فرصة
بعقله هذا الباب ما   قال الكلام الذي يأتي به صاحب هذه القوة يظهر محتملا
للطعن وهدفا للتهمة وطريقا الى الغاية الشنيعة فقال هذا بالواجب لان صاحب هذه القوة
يرسل الكلام ارسالا بحدة قوته مرة ويجودها مرة ويتوسطها اخرى وهي في نفسها شان
بالاضافة الى مزاج صاحبها بل بالاضافة الى كل حال عارضة والى كل سبب واقع والسنة عاملة
عليها والبشرية جارية على خاصتها فحينئذ يخرج ذلك الكلام بين مراتب ثلاث في الغاية التي لا غاية
وراءها وفي الوسط الذي يعتدل فيه وفي الطرف الادنى وفيما بين ذلك كله بالارجح والانقص
والاقل والاكثر والتاويل يركب منثورها والظن يسري في اطرافها والقالة تجد سبيلا الى التشنيع
عليها فلذلك واشباهه يكون ذلك على ان هذا اذا تأمل بالنصفة مقيسا الى الطبائع المختلفة
والعادات المتباينة والاعراض المتشعبة كان في نصاب الحكمة ثابتا وعلى منهاجها جاريا والى
اصولها وفروعها نازعا ولولا ضيق اعطان الناظرين في هذه الغوامض عن التثبت والانصاف
لكان يتجلى هذا كل التجلي ويزول عنه الخلاف كل الزوال قلت لابي سليمان اليس
لو صفت الحال هاهنا من عارض خطاء وسانح تاويل ومضروب مثل كانت ابلغ في المعنى
وانفى للتهمة من القذى قال بلى ولكن ليس كل ما شهد به العقل بصفائه وطهارته
وبعده من الدنس والدرن في نفسه وعالمه يجوز ان يوجد ذلك على كماله في عالم الحس المشوب
الكدر الذي لا ثبات له ولا مستقر وكيف يجوز ان يوجد كل ما هو بالقوة في كل شيء بالفعل
في حال واحدة كانك تريد ان تعري البشرية وهذا ما لا يكون ولا يجوز ان يكون بل يتفاوت
مراتب اصحاب هذه القوة بحسب انصبائهم منها حين انقسمت عليهم فتحولها على
مقادير مزاجهم وطباعهم ونفوسهم واحتمالهم وذلك التفاوت هو الذي يعلي لحال بعضها عن
هذا ويحط شان هذا عن هذا الى الخوارق الانسانية المحتملة لغاية هذه القوة العالية الشريفة
ثم ان الاخلاق والالفاظ تابعة لها على ما يبدو ويه من ضعف العقل والقوة والبيان والعجز
والتوسط ثم قال والبلاء الاعظم في امر الانبياء ان من الناس من يظن بهم انهم
كذبة اصحاب حيل ومنهم من يظن انه لا يجوز ان يقع منهم شيء من القول والفعل يتعلق
بما يوجب التهمة ويجلب الشك وكان وراء هذين الرايين من هذين الصنفين القول
الحق الذي لا يكون بعده تلبيس ولا تاويل وذلك انه ينبغي ان يعلم ان الشخص المخصوص بهذه
القوة على الدرجة بها رفيع المكان معها ما دام يخبر بها ويعبر عنها ولا يمزجها بغيره فاذا
حينئذ نبئ عن اعيان الامور وقلوب الاحوال وعواقب الايام فاذا ما اذا عاد الينا
مفارقا للاقتباس داخلا في عادة ذوي الاحساس فهو كواحد من ضربائه ولداته

ان صاب بفطنته وان اخطا فبفطرته لانه في مسلك غيره من البشر ومسلوب من الطين الاول ذو طبائع اربع متعادية وعناصر متشابكة لا فرق بينه وبين غيره من البشر ما دام الحال على ما وصفنا وحددنا فاما اذا انبعثت القوة بسلطانها وانجست النفس ببرهانها فان هذا الـ(ذي) ياتي بكل ما اهدى العقول ويصلح الاحوال وينفع النفوس وينظم المصالح ويقوم الاخلاق ويهذب الطبايع ويكون نورا للعالمين ورحمة للخلق اجمعين ثم خرج من سياحته هذه للفرق بين الشريعة والفلسفة وحضر الجماعة المساء ولم يستوف ذلك على حقه ولعلي اعود على هذه المقابسة فآتي بما يكون محيطا باكثر قوله في موضع آخر عن غير قصد يخلف حدا بالكلام الذي يعقد اوله باخره وساء تاليفه من جميع حواشيه ربان التقصير في نثره وروايته على انك ادام الله حياطتك لو علمت على اي حال نقلت هذا القدر وفي اي وقت قلب ومع اي شغل لاستكثرت قليله وحمدت الموافق له وما اكثر ما اخذت نفسي بتحويل ذلك كله الى نمط آخر مطرز انق من هذا الطراز واحترازا اشد من هذا الاحتراز اذا اذن الله بزوال ما اهم النفس والبال وانحسار ما دهم الصغار والكبار بمنه الشايع وفضله المشهور.

مقابسة اخرى

قلت لابي سليمان لم قيل اقرير لسان الجاحد اشد من تعريف قلب الجاهل فقال لان تعريفه يوصل الى قلبه مرادك من غير ان يقدر على مجاحدتك بالمنع والامتناع وذلك انه لا حجاب على قلبه ولا حاجز دون عقله وليس هكذا تقريرك للسانه لانه يشكو به ما يعرف بقلبه ويميل الى البهت سترا على الحق وذهابا مع العنت واللسان يطاوعه على الجحود فقيل له قد يكون دون القلب ايضا كرنان الجهالة وغطاء العبارة وضباب البلادة فلا يكون تعريفك موصلا اليه مرادك فقال متى كان الامر على هذا لا يكون قلبه جاحدا انما يكون بما يرد عليه جاهلا وانما استقام الكلام الاول على قلب عرف فعرف فكان التعريف اسهل على القلب من الاقرار على اللسان واستشهد بذلك فكانت ذات برهان واضح فمن المحال ان يقال بعد هذا قد يكون دون القلب مانع كما يكون دون اللسان مانع لان ما حددنا به المسئلة قد حصل الحال وبين المراد

مقابسة اخرى

سمعت غلام زحل يقول اذ يقول السماء هي الجسم الذي فيما بين نهاية كرة فلك القمر الذي يلينا الى نهاية العالم وجميع اكر السماء على ما صح عند الحكماء تسع اكر اقربها الينا كرة القمر وسمعت بعد هذا ابن بكير يقول دون فلك القمر فلكان انهما سبب المد والجزر يقطعان الفلك في كل يوم وليلة مرتين وكان هذا من ارائه التي تفرد بها ولم اجد احدا يوافقه على شيء منها وخاصة هذا الراي ولانه ليس لنا في هذه الصناعة مدخل ولا منفذ لم نقصد الرد عليه ولكنا عجبنا من مخالفته الاوائل الذين قد اقاموا البرهان على خلاف دعواه و الصناعة برهانية قلت شعري اي برهان تام له على هذه الدعوى والبرهان معروف وهو القياس الذي يعطي صورة الحق غير مشوبة ولا حائلة وله ايضا اشياء اخر انشأ اراها من تلقاء نفسه وانتحلها ودعى اليها واعجب بها اعجابا شديدا والطبيعيات والالهيات قد ذكرناها في رسالة الى بعض الناس ولهذا لا عائدة في حكايتها ها هنا وهات

هذا الرجل اعني ابا سعيد صاحب هذه الاقوال لسبع خلون من ذي القعدة سنة ٣٨٦ ست
وثمانين وثلثمائة

٥٣ ## مقابسة اخرى

قيل لابي بكر القومسي لم لم يكن لكل مسئلة من العلم جواب واحد فقال من المسائل ما هو كذا
ومن المسائل مسائل لها جهات وحواش فيختلف الجواب من المجيبين بحسب نظرهم من تلك
الجهات والحواشي وبحسن العبارات التي تجزل مرة وتضعف اخرى قال وبعد فالاشياء
متشاهدة متعاضدة اعني ان بعضها يشهد لبعض وبعضها يعضد بعضا لان الفيض
الاول والجود العام واصلان الى الكل فهو بمقدار ملائم لكل شيء فاذا وقع بحث عن شيء
مجهول وتعاضدت الادلة فيه وتشاهدت المشابهة له وتقاطرت النظائر عليه فصار
الجواب من وجه مخالفا للجواب الآخر من وجه فلهذا وامثاله كان ما سالت عنه والطالب به
وليس الحق مختلفا في نفسه بل الناظرون اليه اقتسموا الجهات فقابل كل منهم من جهة ما قابله
فابان عنه تارة بالاشارة اليه وتارة بالعبارة عنه وظن الظان ان ذلك اختلاف
صدر عن الحق وانما هو اختلاف ورد من ناحية الباحثين عن الحق

٥٤ ## مقابسة اخرى

سمعت عيسى يقول لو ان الاولين اجتمعوا في صعيد واحد ولغ كل واحد قوة الباقين لم يجدوا
العقل مطيعين مسهلين ووجدوا اشعاعه ونوره وشرفه وبهاءه ونبله وكماله وبهجته
وجماله وزينته وفعاله لما بلغوا منه حدا ولا استوعبوا من ذلك جزءا انظر الى من فقده
ولم يوهب له شيء منه كيف يرفض ويخذل ويعادى ويسترذل ويهرب منه و
يستوحش من قربه وكلامه وحتى الذي قد ولده وفصل منه ويجري مجراه قال فاما الحياة
فانها ينبوع للفرح والهم واللذة والمعرفة والحس والحركة لا تمام للانسان الا بها ولا دوام
الا معها ولذلك اذا نظر الى الميت استوحش منه وتبرم به وعوجل به الى القبر وان بعد في
الاقطار لان الحياة التي كانت مهاد الانس وما بين النفس والنفس فقدت قال
وتجري العافية بعد هذين مجراهما وذلك ان العليل متى طالت علته واشتدت او
عظمت نكايتها عنه تبرم الناس به وهرب منه احدب الناس عليه فالعقل والحياة
والعافية اثافي النعمة الكبرى ودعائم العطية الاولى وكل ما عاداهن فهو دونهن وكلما فارقهن
يسقط عنهن والحياة وعاء والعقل متاع والعافية استعمال ثم قال نسئل الله حياة طيبة
وعقلا نافعا وعافية متصلة قيل له لم لم يذكر الفقر وهو من قبيل الموت ولا الغنى وهو
من حيز الحياة وعاء فقال كل هذه الاشياء بعد الحياة والعقل والعافية فروع فان الانسان
بعقله يصبر على الفقر وبعقله يجتلب الغنى وبعافيته يبلغ الغاية ويكتسب السعادة
والعقل في جميع احواله يتصرف بثمرة الراحة مرة والصبر مرة وبرية الحكمة فيما بينهما
يؤديه الى السعادة وكل ما اقبل وادبر لان العقل متى حل شخصا اضاءه
وانارة ومتى فارق شخصا كدره واباره والكلام في العقل مضطرب جدا الا خاصة اذا
ترنم بتمجيد من ذكر الله حظه منه وصبغ كله او بعضه به وغمس ظاهره وباطنه فيه

وبسط سداه ولحمته عليه ولا بأس مع هذا الاعتراف بشرف ان اكتب لك في هذا الموضع ما يغذو
روحك ويحدث الاريحية في نفسك ويشحذ ما كل من ذهنك ويزيح ما غار من فهمك
ويفتح تغميض بصرك ويطرد سنة قلبك ويؤلف بينك وبين حقك اعلم ان العامة
وكثيرا من الخاصة لا يعرفون العقل ولا يحققون حده ولا يتصرفون في وصفه ويكتفون
في معرفته بان يقولوا هو عرض او جسم او لم يجاوزوا بهذا التمييز ومن اجلها يتكلف
هذا التكليف وربما قال الحاذق منهم هو ماخوذ من العقال وسمعت البصري
المتنبز بجعل يقول العقل هو مجموع علوم هذه اللفظة والعبارة عن العقل كرمك الله
مقسومة على قلة ما يريك منه ويلحظ به ويؤكد السبيل اليه فاما يقال انه موجود ومكتوم
فهو سعة الكلام واقتدار القايل وتقريب العرف وسمعت في بعض ما يقال ايضا
في وصفه انه مطبوع ومصنوع هذا قريب من الذي تقدم والذي يقربك من التحقق
في هذا ويدنيك الى اليقين ويلبسك جلباب السكون ان تعلم ان العقل باسره لا يوجد
في شخص انسي وانما يوجد منه قسط بالاكثر والاقل والاشد والاضعف والموجود في
العامة واشباه العامة انما هو قوة متصاعدة عن الطبيعة قليلا لا بعد التباسها بها قد فاء
عليها ببطلان النفس الناطقة على ضعف دون ضعف وتزايد فوق تزايد فبها باينوا كل
حيوان دونهم مباينة تامة من وجه وضارعوا مع ذلك كل حيوان دونهم مضارعة
مختلفة من وجه فاما وجه المباينة فظاهر بالشكل والتخطيط وانتصاب القامة وشتى
الخواص الدالة على ذلك فلذا الجزء الذي هو للجنس بالنظر المنطقي واما المضارعة المختلفة
فمعترف بها بشهادة التصفح وثمرة الاستقراء الا ترى ان الانسان يوجد له زهو كزهو
الفرس وتيه كتيه الطاووس وحكاية كحكاية القرد ولقن كلقن الببغا ومكر كمكر
الثعلب وسرقة كسرقة العقعق وعيافة كعيافة الغراب وجراءة كجراءة الاسد وهي بجا
العيون وازاء العقول فقد بان ووضح القدر الذي حصل لهذه الطايفة وما هو وكم هو لهذا
التعريف والتمثيل ثم ان هذه القوة تدبر في ترقيها بعد ترق حتى تلتبس بالنفس الناطقة
التباسا تاما الا انه يكون معها ما ظل من الطبيعة على قلة وكثرة وزيادة ونقص فيكون الصواب
اغلب والحرمان قريب والجد اكثب والثقة اكثر والاستبانة بها اخص وهذه هي قدر
ما حصل لجميع من فضل عن العامة في حاله وعلمه ثم ان هذه القوة تصفو في تلك الخطط
والمعالي التي هي العقل فيتخذ صاحبها الامور بحقايقها مستوعبة بحدودها مخلصة من
موذيها على خاص ما فاض من سايرها وههنا يقال ان الولاية للخبر الالهي والمعنى الربوبي
وعند ذلك تكون القوتان الاخريان ضعيفتين اعني قوة الشهوة وقوة الغضب وبالجملة
تكون الطبيعة معزولة وحكمها الحكم لبعض الرعية المسوسة بعزة السلطان الملك العدل
وهذه حال من وصل اليها وحصل عليها نقدا ونعم على رياض القدس وحاز ذخاير النفس
ودفع من ادناس الحس وذكرت ههنا كلمات نتناسب بما سلف كنت سمعت
ابا سليمان قالها في عروض حديثه عند طيب نفسه قلت له نسمع من المجنون الحكمة
حد حكمة فقال ان تسمع من الذي ليس بمجنون الحماقة بعد الحماقة فالبادرة من هذا كالبادرة

ثم قال

من ذلك فقال له البخاري فما هذه الاشياء وما الجزء فيها وما العلة الجالبة لها فقال
المجنون من جنس العقل فيحق هذه المشابهة ما تنطق بالفايدة وتسبق الى الحكمة وتطلع على
البديع وكذلك العاقل من جنس المجنون فيحق هذا الشبه ايضا ما يهذى في وقت ويزل في الآخر
وينطق بالخطاء وينصر الباطل وهذا منسوب للذي فيه من حصة الهيولى يبدو منه هذا النقص
وذلك للقسط الذي فيه من صفة الصورة يبدو منه ذلك الفضل الا ان هذين البادرين
في هذين الشخصين لا يرفعان الحالين الظاهرين على الشخصين اعني ان المجنون بقدر ما بدر
منه لا يكون عاقلا والعاقل بقدر ما بدر منه لا يكون مجنونا ثم ايضا جميع العقلاء والمجانين
مختصين على هذا المنهاج ثم قال هذا الذي يقول به اهل الكلام في طرايقهم ليس بعقل وانما هو
شبيه به او شيء معه ظل له او حكمة او خيال له ولهذا ما خالطهم الهوى واستحوذ عليهم
التعصب وحسن عندهم التقليد ودب في نظرهم وحذقهم اللجاج والصياح وانفتح باب الحيرة
عليهم وسد باب اليقين عنهم قال ولهذا قلت الفتهم وتنزههم وصاروا يتكافؤا الادلة
متجاهدين ومتسايرين على هذا وجدنا اعلامهم وكبراءهم ولولا ايثار التقية لذكرت لك اعيانهم
واسماءهم سمعت العباد بالري سنة خمسين يقول طبع العقل على ان يشهد للباطل كما يشهد للحق و
لهذا اختلف العقلاء في جميع امر الدين والدنيا وهذا ابقاك الله كلام خبيث وقد تكلمت عليه
في كتاب النوادر مع جميع علايقه وغواشيه ولولا ذلك لكان يجب ان لا يثبت هذا القول
هاهنا على وجهه ولعمري ان عقله وعقل ضربايه لكذلك ولا ازيد على تعجبنيه عما يخرج
عن حد الادب المرضي وتزايل احكام الخلق الذكي وقد جرى هذا الكتاب في ترتيب العقل و
تحقيق المعقول وبلوغهما الى ما يكون به العاقل عاقلا والمعقول معقولا ما يشفي الغلة فانتبه
واسعد به

مقابسة اخرى

سُئل ابو سليمان فقيل له لم وجد فينا شيء لا يبرز الا بالروية والفكر والتصفح والقياس
وشيء بالخاطر والبديهة والالهام والوحي والكلفة حتى كانه كان حاضرا بنفسه متصديا لبروزه
فقال لان البديهة تحكي الجزء الالهي بلا انبجاس وتزيد عليها بما يعوض عليه القياس ويسبق المطالب
والمتوقع والروية تحكي الجزء البشري وهناك الفكر والتتبع والاستمداد والتوقع فمن اجل
انقسام الانسان بين شيء ينبعث به مشتاقا الى مطلوبه وبين شيء يبعثه مشتاقا الى
مطلوبه ما وجب ان يكون له روية وهي به وبديهة هي اليه وكان يقول ولهذا ما لا يتوفر
القوتان معا بالانسان الواحد اي لا يوجد لانسان غاية في البديهة غاية في الروية لان
احدى القوتين اذا اشتغلت نقصت الاخرى وحاجزتها عن بلوغ الغاية القصوى
قلت له فاي القوتين اشرف فقال كلتاهما على غاية الشرف الا ان البديهة ابعد من معاني
الكون والفساد واغنى عن ضروب الاجتهاد والاستدلال والروية الصق بكمال الجوهر
واشد تصفية للطينة من الكدر ثم قال والروية والبديهة تجريان من الانسان
مجرى منامه ويقظته وحلمه وانتباهه وغفلته وتنبهه وانبساطه وانقباضه
ولا بد من هاتين الحالتين ومن ضعف فيهما فاته الحظ المطلوب في الحياة والثمرة المجلوبة
من السعي فقال ليس حكمهما في اللسان اظهر من حكمهما في القلب فان للقلب بديهة بالنجح

ورويته بالاستقرار احدهما في حيز الهيولى في حيز الصورة ولما كان للانسان متقوّما بهما
كانت نسبته فيما يفرغ اليه على حد حصته فيما تأمل عليه ثم قال على الانسان حالات
بحسب المواد الحاضرة والاسباب المؤثرة والقابلة تعتدل ببديهته ورويته فيهما او يسبق احدهما
ثم يستمر ذلك الاستمرار ولا يدوم ذلك السبق وهما قوتان لنا هيئتان لا ان احدهما
متصلة والاخرى واصلة اليه وليس كل متصل به ينفصل بسهولة ولا كل واصل اليه تبرعة
ثم قال لذي هذا الوضع ابو زكريا الصيمري الكمال عزيز قال لم او تدري لم قال
افدنا ابقاك الله على عادتك ولا تدعنا نقصا بعطا لبتك قال لان الكون والفساد محيطان
بهما فالمقوم بهما لا كمال له لان الكمال في الوسط لا في الطرف ولكن ليس الترقي كالهوى ولا
الهبوط كالصعود ولا ما يزان به مثل ما يشان به ولا ما نحتذب به مثل ما نحتذب عليه
انك لمليء جدير لو كان لي منك مدد واندفع في هذا وشبهه حتى فرق بينه وبيننا المساء
فسقى الله تلك الساعات التي كانت تتضمن هذه الراحات انظر الى بقاياها المرسومة بالخط
المدونة بالقلم المحكية باللفظ واعلم ان مشاربها في النفس والعقل والروح كانت تشي كل حال
مشهودة وتسلي عن كل غاية محدودة ومنذ ضرب الزمان بالاسداد دون هذه الرياض والانوار
كبا كل زند وخاب كل امل وخبت كل جمرة وكل كل حد حتى لو اعدنا النظر في هذا القدر الذي
دارسنا لخرجنا منه عارين وانقلبنا من الخاسرين والى الله الشكوى فهو المعين

مقابسة اخرى

٥٦ قلت لابي سليمان احب ان اسمع كلاما في مراتب الاضافة التي هي مستولية في جملتها الالفاظ
مثل قولك هذا وهذا لي وهذا مني ولي وعلي والي ولدي وعندي وما ضارع ذلك فقال اما تعلم ان
الاضافة في هذا الموضع كلها الى الجزء الالهي لان الانسان محدود بانه حي ناطق مايت فالحي في
احد الطرفين في السكون والمايت في الطرف الاخر بالدثور والحال المفروضة بين الطرفين
تكون انسانا وهذا الاسم هو له بالحقيقة مما مر في الكليات اعني الطبايع والعناصر
والشمايل وبه يكمل هذا النوع من الكمال فاذا اضاف هذا الانسان شيئا الى نفسه فانما
يضيفه الى الالهية التي تستحق الاضافة كلها بالاطلاق لان مراتب الاضافة مختلفة من
مرتبتين الحائط وملء النهر وسرج الدابة الى يد الانسان الى فضل زيد الى عالم العمر والى
كوكب الفلك الى العلة الاولى فجار كل هذا الى شيء واحد ولكن الصوادر عنه متباينة
والقوابل منه مختلفة وكيف كان ذلك فقد بان ووضح ان اضافة الانسان انما هي
الى شيء مستحق للاضافة وليست على باب التحريف والاضافة ثم قال ان مبدأ المضيف
الى المضاف اليه للمضاف هو مبدأ المضاف اليه للمضاف مبدأ المضاف الى المضاف
اليه هو مبدأ المضيف ومبدأ المضيف هو مبدأ الاضافة لا تعجب ان الحال في هذا
المعقول دايرة متى فرضت شيئا منها كان مفروضا على ذلك لانك تجد مطلوبك من اي
ناحية التمسته وتلقى محبوبك من اي جهة اتيته قال وهذا لان الكل هو وهو الكل والكم

مقابسة اخرى

٥٧ قال ابو العباس البخاري لابي سليمان وقد جرى كلام في الحظوظ والارزاق لعل الذي عني

عنى لى وان العالم والاَد مر فى الحكمة والتبيين والاستنباط هو الذى اليه هذا الامر دون غيره من الامور فلما تولانى بما هو اليه بلغ بى فاما ما عدا هذا من الحظ والرزق والكفاية فلعله الى غيره فلذلك ما تركتُ مهملاً فى شئ وتوليت ملقنا فى اخر ولو عنى بى صاحب المال لبلغت غاية الكمال ولكنه اغنى عن ملاحاة الرجال وعن اعادة القيل والقال فقال له ليس لذلك بل المعنيان هما واحد ولو انا تختلف هذه الحكمة ويشكل القضاء عليه فى عالم الحس وعرصة الزخرف وامتزاج الماء والطين و الدليل على ذلك ان الحايك لا يزرع القطن والخياط لا ينسج الثوب والخباز لا يذبح الشاة والعطار لا يدبغ الجلد والوزان لا يضرب بالعود ولو امكن لفعل كل واحد جميع ذلك وكان الانسان يكمل بوفائه بكل شئ واتمامه لكل شئ وبالواجب خالف حكم الحس حكم العقل فى المعقول كل مختلف متفقا وكل كثير واحدا وكل بعيد قريبا وكل متعذر سهلا وكل عصى سمحا وكل مظنون متيقنا وذلك لان الوحدة العقلية فى الكثرة الحسية فى الوحدة العقلية مدبرة ولو استوى الطرفان لسقط البحث وزال المراء ولكان لا يشتاق الغريب الى وطنه ولا يحن الى معدنه ثم انشد فى هذا الموضع بيتا ولم ادر من قائله وهو حن الغريب الى الاوطان من طربا ان الغريب الى الاوطان حنان   قال فعلى هذا موليك فى العلم حتى منحك ما تراه هو موليك فى الرزق حتى زوى عنك ما تتمناه لا بابك قبول الكمال فى الحاشيتين لا لانقطاع الجود عنك فى الوجهين وهذا الاباء ليس لك فيه ذنب وذلك الفيض ليس فيه عجز ولكن هكذا هو وانا استحسن بيتا يأتى على اصل الباب وفرعه لقائله ولله دره وهو

فان تصبرا فالصبر خير مغبة   وان تجزعا فالامر ما تريان

ثم قال على انه وان كان قد شرفك بما منحك من الحكمة فقد نظر لك فيما قلل حظك منه و كفاك مؤنة سياسته ومؤنة الاسف عليه انا انصحك وصرت اربح الساعين واغبط المجدودين بما تعلم به انك مفضل فيه على كثير من بنى جنسك ولذاتك الناشئين معك والضاربين بسهمك فلا تكثر الاسى على شئ هو الظل الزايل والحلم الباطل وعليك فى حياتك بما يكملك فى الحالة ويجملك من الادب ويفضلك من البيان ويبذل من الخلق ودع ما سوى ذلك فانه خلل

مقابسة اخرى

١٨ سمعت اباسليمان يقول نحن نساق بالطبيعة الى الموت ونساق بالعقل الى الحياة لان الذى هو بالطبيعة قد احاطت به الضرورة والذى بالعقل قد اطاف به الاختيار ولهذا الفرق الذى استبان وجب ان نستسلم لاحدهما ونجرم للاخرة ولا يصح للاستسلام الا بطيب النفس فيما لا حيلة فى دفعه ولا يتم التجرم الا بايثار الجد فيما لا ينال الا به والضرورى لا يسعى له لانه واصل والاختيارى لا يكسل عنه لانه غير حاصل لديك فانظر اين تدع توكلك فيما ليس اليك ومن اين تطلب ثمرة اجتهادك فيما هو متعلق بك ثم قال نحن نقضى ما علينا ونجتهد ما الدنيا ويجرى الدهر بما شئنا او ابينا ثم قال ايضا فى هذا الفصل على تقطع علائق الحديث ومحادثة بعض الحاضرين الانسان مبعوث بالضرورة والاختيار وعلى ذلك فمعاده الى غايته التى هو متوجه اليها من جهة اختياره

ومتوجه بنحوها من جهة اضطراره وهذه كالحيرة ولا سبيل الى محوها واستبانة كنهها الحق
ما عرض لان الصورة عنونت الاختيار والهيولى رسمت الاضطرار والذى يكون بهما يضرب
على جديلتهما ووتيرتهما وانما كان الاختيار منسوبا الى الصورة بحق الشرف وانما كان الاضطرار
منسوبا الى الهيولى بحسب الخسة والانسان كالاناء لهما والتباسه بهما والتباسهما به ما
عرض هذا الصراخ والعويل واحتيج فيه الى القال والقيل والله المستعان فى كل ما عز
وهان فليكن هذا مقنعا ان لم يكن شافيا والسلام

مقابسة اخرى ٥٩

سمعت عيسى بن على بن عيسى يقول لما كان الحى يجتهد بالنفس الغضبية حتى ترا صاحبه تعلك
محروسة بالحياة كرجل يتعرض للسيف والحرب والمقام الصعب ليفشو ذكره ويطير
صيته ويعلو شانه ويشار اليه بالاصابع ويتحدث بحديثه فى المجامع لم ينكر للعقل
ان يشرق بالحق ويستنير بالخير ويلتذ بالصدق ويتملى بالصواب وتستملى النفس عنه خفايا
الوجوبات ويشرف به على عواقب المطلوبات والمقصودات حتى يجد صاحبه تعدى معقوله
هذه الحياة المموهة الباطلة لينال حياة تامة كاملة دائمة خالدة لا اثر فيها ولا تعب
ولا كد ولا مشقة هى حدة الطيبة ونهاية عقلية وهيئة وجدية وحال ليس عليها بيان
موصوف بلفظ مستور وموصوف وتكلم هذا عند حديث رواه فى الوقت بعض
الحاضرين زعم انه رأى رجلا قد ضربه السلطان بالسياط بالجناية وانه كان يطاف
به وهو عريان على جمل بين الاشهاد فبلغ مكانا وقف فيه الجمل لعارض فدنا منه صبى
وشاوره بشئ فقام المضروب هذا على ظهر الجمل قائما وبسط يده على حائط كان الى
جانبه ثم سمرها بيده الاخرى بخنجر وبقى معلقا وعبر الجمل وهو كذلك فتعجب الناس من
نفسه وجراته ومن الامر الذى هجم به على ذلك وزينه فى عينه فافادنا بعقب هذا
الحديث هذه الفايدة ومدارها على ان صاحب العقل الذى يحظ به الرتبة الكبرى واشرف
به على الغاية القصوى واستهان من اجله بالحياة الدنيا اجدر ان يفزع عن خلائقه ووقاحته
التى قد ابت تبطنه واورطته وانه اهلا لذلك وهو به اليق وعليه اقدر وفيه اعذر وان
الصواب موكل به وناصره بقدر ما كان الخطا موكلا بالاول وواضعا منه

مقابسة اخرى ٦٠

قال ابو سليمان وقد جرى كلام فى النظم والنثر ادل على الطبيعة لان النظم من حيز التركيب
والنثر ادل على العقل لان النثر من حيز البساطة وانما تقبلنا المنظوم باكثر مما تقبلنا
المنثور لانا للطبيعة اكثر منا بالعقل والوزن معشوق والطبيعة والحس ولذلك
يفتقر له ما يعرض استكراه فى اللفظ والعقل يطلب المعنى فلذلك لا حظ للفظ عنده
وان كان متشوقا معشوقا والدليل على ان المعنى مطلوب النفس دون اللفظ الموشح بالوزن
المحمول على الضرورة ان المعنى متى صورت بالسانح والخاطر وتوفى الحكم لم يبل بما
يقويه من اللفظ الذى هو كاللباس والمعرض والاناء والظرف لكن العقل مع هذا يتخير
لفظا بعد لفظ ويعشق صورة دون صورة ويانس بوزن دون وزن ولهذا شقق

الكلام بين ضروب النثر واصناف النظم وليس هذا للطبيعة بل للنثر يستند اليها ما كان حلواً في السمع خفيفاً على القلب بينه وبين المحق صلة وبين الصواب وبينه اصرة وحكم المخلوط باملاء النفس كما ان قبول النفس راجع الى تصويب العقل ثم قال ومع هذا ففي النثر ظل النظم ولولا ذلك ما خف ولا حلا ولا طاب ولا تحلا وفي النظم ظل من النثر ولولا ذلك ما تميزت اشكاله ولا عذبت موارده ومصادره ولا بحوره وطرائقه ولا ائتلفت وصايله وعلائقه وقال كلاما اكثر من هذا وقد اخرته انشاء الله لرسالة معدودة في الكلام على الكلام ثم ة هذا بتمامه فيهما مع ساير ما يكون لهما بشرح تام وعناية بالغة ان ساق الله اليه الى غايتها ورفع هذا الفساد الذي قد منع من كل ما تهم النفس به من الخير وصد عن كل ما يكون سبب السعادة ولا ملجأ الا الى الله في كشف هذه الضراء واماطة هذه اللأواء فهو ولي كل خير وميسر كل طالب وناصره

مقابسة اخرى ٦١

قال ابو سليمان وانا اقرأ عليه كتاب النفس للفيلسوف سنة احدى وسبعين وثلثماية بمدينة السلام ان النفس قابلة للفضائل والرذائل والخيرات والشرور والاخلاق التي تتغير من وجه وتهذيبها ويأتي ذلك من وجه آخر لعلة عجيبة ولذلك تحتاج اشد الانسان لحلاقة وهو يستعمل ولا تتغير وللناطقة ايضا اخلاق تترقى بها وتكمل فما اخذ من الاخلاق في طريق الطهارة والصفاء فهو في قبيل القوى الناطقة وما صعب منها فهو قبيل الحيوانية وليس يجب على الناظر المتحرز والمجتهد المتخير ان ياس من صلاح ما يمكن اصلاحه لتعذر ما لا يمكن ذلك فيه وقد شفي الكلام في هذا الباب ابو زيد البلخي في كتابه الذي سماه باختيار السيرة ومن استوعب ذلك بفهمه وتذوده بعد الخطر من هذا الباب ابعد مرام وفاز منه باوفر السهام وعلى كل حال فالقصد مؤثر والاجتهاد مثمر والراي منفق والطريق جدد والشوق باعث والنزاع متصل والنداء عال والاستجابة ممكنة والتقرير اخذ الاهبة وتقديم العدة فلعلك ترتقي لطهارة اخلاقك وتهذيب سيرتك واصلاح حركاتك وتمييز نومك من يقظتك الى المعادن عزك ومعدن فوزك حيث لا حاجة ولا مذلة ولا كثرة ولا قلة حيث يكنفك الفطنة والسرور ويعمرك الروح والحبور حيث لا تحتاج الى ذكر لانه لا يعتريك نسيان ولا تفزع الى طبيب لانه لا يصيبك داء ولا تتمنى شيئا لانه لا يفوتك محبوب ذلك محل لولاه اندفع الخطيب المصقع والعاقل المبين دهرا ودهرا لتصنيف بهجته وزينته وشرفه وكرامته ورفعته وسناه ولم يلم بادنى حقايقه ولا باخف ما يلتبث الوهم به وان اعانه بنو جنسه وفتحوا عليه ابوابا فوق ابوابه وكيف لا تكون تلك الغاية نفيسة وتلك النهاية عزيزة وتلك العرصة مانوسة وتلك الحقوة مقدسة ولا شرع الا وهو مشوق اليها ولا عقل الا وهو مستحث عليها ولا نال الا وهو منوط بها ولا لسان الا وهو نازع عنها ولا روح الا وهو نازع نحوها ولا معاوضة الا وهي مستراحة من اجلها ولا مثال الا وهو يتعلق به طمعا فيها فكل ماد وبها مشرأب شيء من دون تحصيلها بباب وكل تجارة في غيرها خاسرة وكل امنية دونها خائبة والله لو ان احدنا حاول وصلة بينه وبين احد ليشرف بجده عنه وعز تنباله به وراحة يتعجلها منه كل عزم وجد وكل كدح وجهد مع يقينه بزوال الرد اضمحلاله اذا نال وادرك كان غير ملوم في سعيه ولا معذول

عن غدوه ورواحه ولا يجن الراى فى ملتمسه فكيف اذا قصر همه على طلب الراحة فى دار الخلود ونزع
الى مواصلة من به وجد كل موجود والسلام

مقابسة اخرى

هذه مقابسة اثارها قولنا لابى سليمان المنطقى ما احسن كلمات ابطليوس فى الثمرة فانها كالشذور
المنتخبة والدرر الثمينة والاعلاق النفيسة ولقد شرحها ثابت بن قره وافادها وافاد منها وما
احوجنا الى اخواتها فى الفلسفة الالهية والطبيعية فانها توحى وتحفظ وتروى وتلفظ وتصير
كالجواهر التى تصلح للذخائر وللاشجار التى تثمر فى كل اوان والموالى التى تخير منها الانسان فقال
خذوا اذا من ذلك ما يسمح به الوقت ويجود به واهب العقل بان فسح الزمان كر عليه بالتنقيح
والاصلاح او ما يكون له كالشرح والايضاح ثم قال الطبيعة عش الكون والفساد
والكون والفساد وكما البقاء الكاذب والبلى الصادق والنفس معدن الفكر والوهم وهما
بابا التمييز والذهن والفهم والعقل غاية الشرف والكمال به يكون نيل السعادة الكبرى من
العلة الاولى والطبيعة كذوب لا تصدقك الا باكراه النفس والنفس صدوق لا تكذبك الا
باكراه الطبيعة والعقل رقيب يحفظ وشاهد يؤدى وثقة يؤمن من استشاره ومتهم او من بهر
عنه مغير اطاح ويلحم من اصابه بعصر الحق وبين القصاص معه فرق ذهب او نفيس فنظر امر النفس
ذلك عدمان بما يكون ويفسد ذلك وجود واحد به يبقى ويسعد انما دخل الخلل الانسان
من ناحية اعتداله فى عالمه هذا حتى نسى بطبيعته ما كان يرقد نفسه من عالمه ذلك
اعرف حقايق الامور بالتشابه فان الحق واحد ولا تستفزك الاسماء وان اختلفت فتقول
مات غير نام وفنى غير بلى وبطل غير ذهب وعدم غير تحول وفقد غير غاب فان السرور هو الفرح
والخير هو الحمد والمعرفة هى العلم والقول هو الكلام والبيان هو الايضاح لكن بدرجة ونحو
وهيئة وهيئة ومكان ومكان وزمان وزمان ومعرض ومعرض شككوك فى هذا العالم
فى الغشية متكاثفة بين اهوال مختلفة على طرف مخوفة فاشكل عليك بدؤك الذى انت
منه فانتسبت فى الغربة ببلد لست من اهله واخذت بعادة كنت غنيا عنها لو عرفت
مرماك فيها فاذا انتبهت فخذ فى اصلاح ما يرحلك الى مقرك حتى تستريح من هذا
القلق الدائم ومن هذا الهول القائم وخذ بذاتك فخذ عليك بذاتك ولا تبخل بما
لا بال فيفوتك ما لا بد لك منه اعرف تركيبك ثم اطلب به بسيطك فان لكل مركب
بسيطا اليه ينتهى لست طينيا وانما انت طينى فانتفع مما انت به منقوص وانتسب
الى ما انت به موفور شفاؤك فى انفعالك فى الاول والثانى وان عجزت عن ارتجاع ما
فاتك فلا تعجز عن حفظ ما معك ولا ينفعك الا ان تجعل كنزك تتصل الاجرام
التى لا ينفعك الامكان وجد فان وجها اليك وترحم وراءك فتوجه امامك وتعاف
عما وراءك فان الذى وراءك فى حكم ما ليس لك حتى تلتفت اليه فاتك ومتى رجعت الى
الاخر فيه الناموس الحق يعترف باكثر مما يعترف به وانت مجموع معادن ان انسبكت
حصلت وان تركت فسدت الصور غنية عن الانفعال والهيولى محتاجة الى الصورة
فانفعالها على قدر حاجتها الصورة نوبه والهيولى بحسب العلة الاولى معادن النفس

اذا كانت خالصة وهاالية عزوه وهو اوثق من جميع الوثائق والاواصر حلت الانسان حتى ناطق مايت
نفن ابرز هذا المجد بالفعل كما حواه بالقوة لو يرتق عن ان يكون انسانا كيف تقلبت حاله ومن
تطاول الى احراز ما هو به ناطق عليها او ن بما هو به حي مايت علا عما هو به انسان وصار جرما
علويا وجوهرا نقيا ولا مثال له عندنا الا المشترى وما هو في شكله الهيولى في عالم
الكون والفساد اقوى لانها في محل عزها والصورة في عالم الحق لانها في معدن كمالها
الفلسفة حب الحكمة ولا يصح حب الحكمة الا بالجمع بين العلم بالحق والعمل بالحق لا قرابة بين
الحكمة والطبيعة فيما يؤثره الانسان اذا غلبت الصورة على الهيولى بطل حكم الهيولى العلم
ثمرة العقل العقد سلم الى الله بدء الخير كلمة وة الانسان موزون بكفتي العقل والطبيعة
والرجحان بعد هذا بالسيرة المقتناة وكذلك النقصان الطبيعة بالرياضة خادم العقل
وبالوضع تخشى لدى العقل النفس عقل بعد الاستنارة والعقل نفس بعد الفكرة والطبيعة
مميزة بالنظر في الاول ومعرفة بالنظر الثاني لا تبلى الهيولى ولا تبيد لكنها ابدا في الاحالة والاستحالة
والتاثير والقبول والتقوم بها هو المكيف بينهما لا فتور في النفس لا كدر في العقل ولا حقيقة
في شيء من العلة الاولى لان كل شيء بما هو به مخلوط بحكمة البارئ وبما هو مشتبه به مرفوع الى البارئ
لا انه حد الاعتدال في عالم الكون والفساد لانه لا واسطة شرف الانسان في تراثه في
الهوا والهوا شرف الانسان من تركيبه وهو انفعال خسيس قبول الحق انفعال
ايضا ولكن في غاية الوجوب وفي ذروة الشرف وفي نظام ما ينبغي العلم شرح العقل
بالتفصيل والعمل شرح العلم بالتحصيل العمل عملان عمل القلب لا تملك الا احد طرفيه
وعمل المباشرة انت مالك له افتى حسن ايثارك للحق صنع لك في الذي لا تملك لوفاتك
بحق ما تملك الهيولى عاشقة للصورة مع المنافاة بينهما الا انها تحمل والصورة قابلة
للهيولى لا انها تحسن الا ان يكون المقوم منها وافرا لتصيب من الاول المحز لان كل آخرة
في الحرص على سماع الحكمة مع مخالفتها الا صرار الشر مع تمني الاقلاع منه زيادة
في الشر العكوف على الخير مع الشك خسران العاجلة والاجلة تمني الخير في الظاهر
مع ملابسة الشر والباطن معاندة تقبل الاهتمام بالخير مبدا والاهتمام بالشر
غايته المعطي لا يتبع المعطى ولا العطا نيل له في هذا الفصل زدنا شرحا قال
محال ان تكون قوى الاجرام العلوية في الانسان الجزئي تابعة له في الوجود والبطلان
لا يستجيب شكل المادة لطابع العقل فلذلك يوجد الزائغ في كل معقول ومحسوس
المحل لعدل نقص ليبوس فلا جرم متى وجدت عالما وجدته خفيف المال ومتى وجدت
موسرا وجدته خفيف البصيرة فان ند شيء فذاك خارج عن القياس كالعلم بين
الناس ليس لنا الا الالهية والبشرية فاذن لا بد من سنن الالهية فتصير انسانا و
سلاليم وعلايق بين البشرية والالهية يرقى منها العاجز ويكمل بها الناقص اعا آخر
الى غيرك لنقصك وشوقت الى من هو اشرف منك بنفسك فاكمل تغن وافن
تبق واغضض تبصر وانس تذكر واعرف تجد خاطر تحرس واعلم في الجملة انك
داؤك ولكن فيك داؤك فاذا تسلط داؤك على دوائك ذلك عاد داؤك

بدوائك انك واضح فلا تشكل ونير فلا تظلم للصورة سر لا يفهم الا بتأييد العقل
والهيولى خلاف لا يتخلص منها الا ان تتم النفس لعقل مع النفس رعاها فيه والنفس قليب
الطبيعة مستقاها منه والطبيعة صراط الانسان من لم يعقه حاكم الطبيعة الى النفس
يحكم لك ويلج الى العقل ما يفهمه عن النفس يردك اعرف الشر لئلا تقع فيه جاهلا به الشر
شران شر يأتي منك فانت قادر على دفعه بموازنة الخير المؤثر عليه وشر وارد عليك انت
محتاج الى دفعه بمعاونة اهل الخير الكارهين له الشر عدم فمتى لبسته عدمت والخير وجود
فمتى لابسته ظفرت وبقيت ومن خلط الخير بالشر وقف بين العدم والوجود وساء
عيشه ومن درج به الشر باد ومن فاز بالخير نال السعادة ليس الشر اكثر من عدم الخير وليس
الخير اكثر من معرفة الحق والعمل به قد تعرف الشيء منكورا وينسى مذكورا فاما عرفانه فمن ناحية
ظهوره وغلبته واما نكرته فمن ناحية حجبه ووسائطه الموجود فيه ظل المعقول بدلا له
الواجب له وهذا يلم لان الموجود جلبه لغيره منه صحح توحيدك بالمعرفة وصف
معرفتك بنفي ما يخامر سرك هو الاول والاخر والظاهر والباطن والشاهد والغايب اول
بلا ابتداء واخر بلا نهاية وظاهر بلا تحصيل وباطن بلا فكرة وشاهد بلا ملابسة وغايب
بلا مشاهدة واياك او عسيرة وعليك قامر بره ومنك استعارك ولك اعار ما اعارك
ليكون ازجا منك ذلك او يكون بل اذا جاد عليك بذلك من الحيف ان تجحده وهو يناغيك
في ضميرك ويستولي عليك في ظاهرك ومن الجهل ان تسمه بنقصك وتصغر بجد نفسك
وتخبر عنه كما تخبر عما تركب عنك وفصل منك فيك لعمري فمن الضعف ان تكون
ذا طبيعة ثم تروم ان تكون ذا معرفة ولكن ليس لك ذلك بمحال لانك متى محوت
اثارها وجلوت اصداها ابصرت ما بين طرفك عنها وتسل الفك منها وترقيك
الى المحل الاشرف الاسنى كن بطبيعتك انسانا فاضلا وبنفسك جرما عاليا وبعقلك
الها غنيا والطريق الى هذه الغاية امران حركت همتك وقويت شوقك ونفيت الشك
عن قلبك وصحبت اليقين بعقلك وهجرت الحس الذي يكذبك وواصلت الناصح
لك ولزمت فناه واستعنت واعنت وعرفت واعترفت من غمس نفسه في غمار الطبيعة
هلك وطاح ومن اجتلى نفسه بزينة العقل طرب وارتاح ومن صمد الغاية بجد و
جهد نشر وباح ومن تهاون بتحصيل ما لزمه عليه خسر وناح لا يسخرنك ما يزعج
لعينك عما يبهج لعقلك لا تتمن الموت طلبا للراحة مما انت مخنوق به مسحوب عليه
دون ان تثق بما تستريح اليه فانك متى اهملت هذا النظر حققت عليك ان تكون اسيرا
بما انت فيه بالموت طريقا الى شقوتك فيما بعد الموت فمن اخسر منك اذن لا عيب على
من جهل النفس الفاضلة ان يجذم الطبيعة الجاهلة انما العيب على من لحظ العيب
في معدنه وشم الخير من متوجهه ثم اعرض عنه ساورا ورضي ان يرحل عن هذه
الدنيا حائرا بائرا افرق بين متحرك من كذا وكذا وبين متحرك من كذا الى كذا حتى يصفو
عزمك في طلب ما لا بد لك منه ثم لا تقع حتى يلحظ المتحرك على كذا وكذا فيه شرفك
الاعلا واليه كان سعيك الادنى والاقصى الطبيعة شايعة في الاجسام ومحركة لها

مبدية قواها فيها فاما النفس فهنا تحرك في الارواح النقية والجواهر الصافية وهناك برزعينها
بالحدس والظن والعلم واليقين والحق والصواب ثم العقل بعد هذا كله حركة اخرى في البسايط
العالية والغايات البعيدة وبهذا تنال السعادة ويستحق الخلود ويصار الى ما لا يحويه وصف ولا
يرسمه رصف هناك يقف الشوق عن الازعاج ويجاز الشرف كله بلا ممارسة ولا علاج حركة
الطبيعة في الاجسام نفس موقوف وحركة النفس في الارواح الشريفة وشي محشوق وحركة
العقل في الانفس الفاضلة معنى انيق العفة خليفة النفس الناطقة عند الطبيعة الغضبية
والعدالة كمال الجميع صحة جسدك بازاء عفة نفسك وشجاعة نفسك بازاء قوة
جسدك وتمام جسدك بازاء حكمة نفسك وعدالة نفسك بازاء حسن جسدك
فلا يقطع بين هذه القرائن فبها شرفك واليها توجهك انت من نفس وبدن تبيد بالبدن
وتخلد بالنفس فاقصر سعيك على ما يبقى ولا تلتفت الى ما تبيد معه انت صورة
لنفسك وبدنك الآلة مستقيم من حقيقة ورثتها من نفسك ومجاز داخل عليك
من بدنك فوفر عنايتك على ما يستخلص حقيقتك من مجازك وتقضي به الى شرف غايتك
اخذ النفس من اكثر من اعطائها للطبيعة وقبول البارى اكثر من فيضه على النفس و
بروز العقل بالطبيعة اشد من استجابتها للنفس وذو النفس والطبيعة في جهاد دائم
وكدح متصل يقبل العقل والفعل ولكن في الافق الاعلى وشوق النفس انفعال ولكن
في الرتبة الوسطى وبث الطبيعة انفعال ولكنه في التساح الاول من ذي الطبيعة كذب واليك
الحس الا انا شهد لدعواها العقل الرضى كنت بدنًا في حكم المعدوم فنظمت بعيدك
من الغيب مشهودك بالغيب فلست الا امر هو اعجب منه فان شبهت معادك بمبدئك
بشهادة الحس اخطات وان رجعت على ذلك فيوشك ان تكون مصيبا الك وجود بالطبيعة
ووجود بالنفس ووجود بالعقل ومراتب الوجود مختلفة وكما لم يشبه وجودك الثاني
على هذا الشرح وجودك الاول فكذا لا يشبه وجودك الثالث هذا الذي انت عليه الطبيعة
يسوس قواح البدن والنفس تسوس دواعي الطبيعة والعقل يسوس سكان النفس النظام
الحكم ولكن المنتظم مستهدم انت مسكن لغيرك فاجتهد ان لا يتحول عنك ساكنك
كارهالك واعلم ان اصطفاك حولك معه الانسان الجاهل ميت والعالم
المتجاهل عليل والموثر للخير حي صحيح اذا كنت تجد حيًا تحكم عليه بالموت بسبب
اقتضى لك فلا تتنكر ان تجد ميتا تحكم له بالحياة بسبب يقتضي ذلك لا تتخذ مراد
الطبيعة معتقدًا فانك تزعج عنه اهدا ما تكون فيه واسر ما تكون فيه فبدنك
طبيعي فتهاون به ونفسك عقلية فتوفر عليها احرص على ان تعلم جيدًا لا على ان تقول
جيدًا وعلى ان تهوى خيرًا لا على ان تحب خيرًا وعلى ان تعمل بما ينبغي لا على ان تدعي
ما ينبغي عينك درة الحق فلا تحد عنها ومعك رائد الشرف فلا تعصيه واليه رشدك
فلا تفت نفسك ما الهمك ملكت ما لا تستحق فاحسن سياسته حتى يستحقك
في التجارب مرائي النفوس فاستكثر منها فانها انجع في كل داء وابلغ من كل شفاء
ان احتميت دامت لك الصحة وان شرهت حالفك السقم وافضى بك الى الندم ما جمد

المتواني عاقبة حاله ولا ذم الراصد فرصته عن امره ارحم نفسك قبل ان تسترحم غيرك
فانها اذا رحمتها اكرمتك واذا استرحمت غيرك لم يرحمك فان رحمك اهانك وامتن
عليك فلا تنفك من غصة تهون عليك الموت وتشوقك الى العدم كن عاقلا حتى كانك تعتبر
وخبيرا حتى لا تغتر وفي الجملة كاملا حتى لا تنقص فان قلت انى لى بالكمال فاعلم ان كمالك في نفي
نقصك بما تعرفه لا بما تزيله لان نقصك من جهة التركيب لا من جهة البساطة لا تتمنين
الايقاظ ولا تغفل عن الرقباء ولا تدع عنها المكذبين ولا ترج مالك اليوم الى غد فان
غدا ليس لك فان كان لك فانه شاغلك عن يومك سما ما منتك نفسك ان تنال
لذتك وتبلغ شهوتك ثم تدرك بعد هذا سعادتك ليتك اذا دفنك التراب
وغسلك الماء ولطفك الهواء واحرقتك النار وتقلبت بك الاستقصات وعاد
سفلك علوا ودرنك نقاء وظاهرك باطنا وصرت مقبولا بكل شكل ومرقى الى
كل فضل ومجلوا على كل عين ومذكورا بكل لسان ومتمنى بكل قلب ومعهودا بكل اصبع
ومقدسا بكل مجد ومدعى في كل زمان وماويا الى كل مكان وموجودا في كل اوان
ومخبرا عنه بكل عيان كنت اهلا للبقاء والخلود والكرامة والغبطة ومشاكهة ما لا يزول
ولا يحول ولا يبور ولا يحور ولا يصل اليك شيء الا ممزوجا ولا تصل الى شيء الا مكدورا لان
الواصل اليك من العلو يخرق حجبا يتشبث بما يمر به ويتعلق هو بما يختار عليه واما
الكف الذي يصحبك فلانك في مركز يتطاول الى المحيط وهذه حال الخطر وغرر الا ان يكون المجد
صاحبك والتوفيق كافلك انت سماء فيك كواكب تزهر وارض فيك بحور تزخر وهواء
وفيك رياح تهب وجبل وفيك عيون تنبع اقصد بكثرتك قلة وبقلتك توحدا و
بتوجهك بقاء سرمدا لا راحة لخائف دون الامن ولا دعة لواجد دون المطلوب
ولا سكون لمحتاج دون الغنى ولا غنى دون درك المنى ما اجهد الطبيعة في غمر
البلاء لك ما الطف النفس في اهداء النصيحة اليك وما اشرف العقل فيما يجود به
عليك افرج عن الطبيعة يفرج عنك اي لا تسمحها بالهوا فانها لا تعتدل الطبيعة
تستهوي ذا اللب الوافر وتخذم الحازم الموفور وتفل غرب المدل المجسور لها في
البدن صلاح وفساد فقط اذا اعتبرت افعال الله وجدت القدرة في وزن الحكمة
والحكمة في وزن القدرة وفي بعضها تجد القدرة والحكمة خافيتين وفي بعضها تجدهما
ظاهرتين فلهذا واشباهه اشكلت المطالب وثارت الشبه واختلفت الطرق والنظا
وصار الباحث وان كان نحريرا نقابا يزل من شق الى شق ويميل من جانب الى جانب ولو
استتب البحث على حده واستتب القول على صدده كان العرفان على قدر الوجدان والبيان
على قدر العرفان انما اشكل المطلوب لانك اردت ان تجد بالحس ما لا يوجد الا بالعقل وتجد
في العقل ما لا يوجد في الحس ولو ثبت كل شيء موضعه ودرجته لم يسم المطلوب ان تكون يقينا
ولم يسم اليقين ان يكون مظنونا الا يعكر جدك في تزيينه واحفظ نظامك منه فان تمامك
به احكم الطبيعة غير بطر وتصفح بالنفس غير ملول وتل بالعقل كل ما تريد فبهذا تسعد وبه
تدرك بقاء الابد متى بالطبيعة تعالجها تحى بالنفس فيعالجها لا تستشر العقل ملتطى

بالوساطة

باوساخ الطبيعة فانه يعافك ولا ينصحك ولكن توجبه اليه ظاهرًا من كل دنس عاريًا من كل فساد ثم اسمع منه فانك لا ترى الا الرشد ولا تجتني الا الغبطة الاختيار موكب من قوى النفس والطبيعة و لذلك كان معنى الانفعال فيه بالواجب اظهر من معنى الفعل منه والامكان لانه في انتسابه الى النفس ذو صورة وقيامه بالطبيعة ذو هيولى وعلى هذا فنون الافعال كلها الا ما بان في اولية عنها وفي هذا الكلام لعله يقع في موضع اخر

مقابسة اخرى

قلت لابي سليمان يومًا لم لم يصف التوحيد في الشريعة من شوايب الظنون وامثلة الالفاظ كما صفا ذلك في الفلسفة وقد سمعناك تقول غير مرة ان الشريعة اذا كانت حقًا تكون كذلك الا بقوة الالهية بعائد النمط الذي قد ورد وانتشر وصار عقدًا لدهما ونحلة الجمهور وحتى صار في غمار هولاء من يشبه التشبيه الفاحش ويشير اليه الاشارة الخفيفة فقال في الجواب قد قلنا مرارًا في المذاكرات التي سلفت والمعاني التي جنحت وعرفت ان الكلام الذي يراد به استصلاح العامة واستجماع الكافة لابد ان يكون مرة مبسوطًا ومرة موجزًا ومرة مستقصيًا بالايضاح والافصاح ومرة مجموعًا بالرمز والتعريض ومرة مرتبًا على الكناية والمثل ومرة مقيدًا بالحجج والعلل وعلى فنون كثيرة لا وجه لاستيفائها اذا بان المراد في غرضها واثنائها واذا استقر هذا مفهومًا وتوضح بيانًا فالواجب كان جميع ما يجيء به الشرع من هذا الضرب ليجد الخاصي فيه اشارة تشفيه والعامي عبارة تكفيه فقال بعض العرب انا قد وجدنا للاوائل في التوحيد كلامًا كثيرًا متقاربًا ولم يسد صفاؤهم ايضًا ما كدر على غيرهم وهذا يدل على ان ما ينطق به الناموس قريبًا مما ينسج في النفوس فقال انا لا نظن ان كل من كان في زمان الفلاسفة بلغ غاية افاضلهم وعرف حقيقة اقوال متقدميهم بل كان في القوم من راي رأي العامة وحط الى ما حطت اليه ولم يبن منهم كثير شيء مع قدم الزمان ولقاء المحققين الفاضلين وهذا اذا حل لا يكون قادحًا فيما نصصناه من القول في حقايق التوحيد الذي ظفر به حلفاء الحكمة وفرسان الصناعة على ان الترجمة من لغة يونان الى العبرانية ومن العبرانية الى السريانية ومن السريانية الى العربية قد اخلت بخواص المعاني في ابدان الحقايق اخلالًا لا يخفى على احد ولو كانت معاني يونان تهجس في انفس العرب مع بيانها الرايع وتصرفها الواسع وافتنانها المعجز وسعتها المشهورة لكانت الحكمة تصل الينا صافية بلا شوب وكاملة بلا نقص ولو كنا نفقه عن الاوائل اغراضهم بلغتهم كان ذلك ايضًا ناقعًا للغليل وناهجًا للسبيل ومبلغًا الى الحد المطلوب ولكن لابد في كل علم وعمل من بقايا لا يقدر الانسان عليها وخفايا لا يهتدي احد من البشر اليها وذلك للعجز الموروث عن هيولى والضعف الثابت في الطينة الاولى وهذا لكي يكون الله تعالى ملاذًا للخلق ومعاذًا للعالم وهذا الذي سرى بين الجميع في الانقياد والطاعة حتى حصل هذا مستجيبًا لما هو صامت لم يطاعه و هذا صاير الى ما هو مدعو اليه فانه وكتم هذه العيوب معترف به في الجملة ومسلم اليه في التفصيل فقال له البخاري فعلى هذا افدنا كلامًا في التوحيد فقال اما من اعترف بالوحدانية ثم شبه فقد ارتجع ما قال ونقض ما اعتقد واما من ذكر اكثر

من واحد فقد ضل عن الحق كل الضلال واما من اشار الى الذات فقط بعقله البرئ السليم من غير توريتر باسم والحلية ورسم مخلصا مقدسا فقد وفى حق التوحيد بقدر طاقة البشرية لا لم اثبت الانية ونفى الايتية والكيفية وعلاه عن كل فكر وروية ثم قال لقد احسن من قال ان حاولت فات فوتا بعيدا وان ازمعت جحوده بان فيك موجودا مشهودا وكان ذيل الكلام اطول من هذا شمرته خوفا من جناية اللسان فى الحكاية ونزوة القلم فى الكتابة وايثارا للحياطة فيما يجب على الانسان اذا نشر حديثا وروى خبرا واثار دفينا واوضح مكنونا خاصة اذا كان ذلك فى شئ غامض ومعنى عويص ولفظ مشترك وغرض متودع ينبو عنه كل قول وان فسح وينبو عنه كل نازع وان اغرق

مقابسة اخرى

٦٤ سمعت ابا سليمان يقول قال افلاطن ان الحق لم يصبه الناس فى كل وجوهه ولا اخطأوه فى كل وجوهه بل اصاب منه كل انسان جهة قال ومثال ذلك عميان انطلقوا الى فيل واخذ كل واحد منهم جارحة منه فجسها بيده ومثلها فى نفسه فاخبر الذى مس الرجل ان خلقة الفيل طويلة مدورة شبيهة باصل الشجرة والنخلة واخبر الذى مس الظهر ان خلقته شبيهة بالهضبة والرابية المرتفعة واخبر الذى مس اذنه انه منبسط دقيق يطويه وينشره فكل واحد منهم قد ادى بعض ما ادرك وكل ما يكذب صاحبه ويدعى عليه الخطا والغلط والجهل فيما يصفه من خلق الفيل فانظر الى الصدق كيف جمعهم وانظر الى الكذب والخطا كيف دخل عليهم حتى فرقهم وكان يقول اعنى ابا سليمان هذا مثل يشتمل على نكت حسنة مفهومة لا خفاء بها عند من سمعها بتحصيل ويؤيدها ببيان قال ولهذا لا تجد عاقلا فى مذهب يقول شيئا الا وهناك ما قد اقتضاه ذلك بحسب نظره والسابق الى قلبه والملائم لطبعه والموافق لهواه ولكن البارع المتسع المحصل له المزية فى السبق والفلج بالتدبير

مقابسة اخرى

٦٥ هذه مقابسة يذكر فيها نوادر سمعناها فى الفلسفة العالية من ابى سليمان مفيدة واذا وهب الله نشاطا وتمكينا عدنا الى نظائرهن فرويناهن فانها كثيرة نافعة غريبة سمعته يقول نزلت الحكمة على رؤس الروم والسن العرب وقلوب الفرس وايدى الصين وقال ايضا انما يخرج الزبد من اللبن بالمخض وانما تظهر النار من الحجر بالقدح وانما تستبان النجابة من الانسان بالتعليم والمعدن لا يعطيك ما فيه الا بالكدح والغاية لا تبلغها الا بالقصد ومن نشا بالراحة الحسنة فاتته الراحة العقلية والعاجلة تتصرم والاجلة تدوم وقال الحرف الذى يدعى فى العربية وينسب الى الادب موروث من العرب وذلك ان ارضها ذات جدب وخصب فيها عارض وهم من اجل ذلك اصحاب نقرة ورنما دفعوا الى وصال وطى وكل من شبه هم فى كلامهم ولفظهم وعباراتهم ارتضخ ما هو غالب عليهم من الحروب والاحقاد التى عليها الفهم الا ترى ان الشبع غريب عندهم والرعب مذموم منهم وهذه هى الحال التى فرقت من الحاضرة والبادية وقد زادتهم جرئتهم شرا لكنهم عوضوا الفطنة العجيبة والبيان الرايع والتصرف النفيد والاقتدار الظاهر لان اجسامهم نقيت من الفضول

ووصلوا بحدة الذهن الى كل معنى معقول وصار المنطق الذى بان به غيرهم بآلة استخراج ما ركوزا
فى انفسهم من غير دلالة عليه باسماء موضوعة وصفات متميزة بل نفثا كالالقاء والوحى
لسرعة الذهن وجودة القريحة وقلت له قد صنف ابو اسحق الصابى رسالة فى
تفضيل النثر والنظم فقال قد كان منذ ايام سألنى عنهما فقلت له النثر اشرف
جوهرا والنظم اشرف عرضا قال وكيف قلت لان الوحدة فى النثر اكثر والنثر الى
الوحدة اقرب فرتبة النظم دون مرتبة النثر لان الواحد اول والتابع له ثان فقلت
له فلم لا يطرب النثر كما يطرب النظم فقال لانا منتظمون فلا يمنا اطربنا وصورة الواحد
فينا ضعيفة ونسبتنا اليه بعيدة فلذلك اذا انشدنا ترنحنا هذا الى غلبة الامر
فى اعم الاحوال وفى اكثر الناس وقد نجد مع ذلك ايضا فى انفسنا مثل هذا الطرب
والاريحية والنشوة والترنح عند فصل منثور وفيما ها هنا الذى نصرناه ولمعنى
الذى اجتبيناه ان الكتب السماوية وردت بالفاظ منثورة ومذاهب مشهورة
حتى ان من اصطفى بالرسالة فى اخر الامر غلبت عليه تلك الوحدة فلم ينظم من تلقاء
نفسه ولم يستطعه ولا القى الى الناس عن القوة الالهية شيئا على ذلك النهج
المعروف بل ترفع عن ذلك وخص فى عرض ما كانوا يعتادونه ويالفونه باسلوب حير كل
سامع وبرد غلة كل مهيج وارشد كل غاو وفهم كل معاند وافاد كل لبيب واوجد كل
طالب وخسأ كل معرض وهدى كل ضال وردع كل لبس واوضح كل مشكل ونشر كل
علم وافاد كل شارد وفتح كل رتج وهذا لا يكون ولا يجب ان يكون الا فى الشخص
المخصوص الذى يؤهل لنظم الكلمة المنتشرة باظهار الدعوة العزيزة فى ايام
السعادة المنتظرة بين خير اعوان ثم يكون لهذا كله زمان محدود ينتهى اليه على الشبا
الاول مع العوارض التى تختلف من عجائب الزمان وافانين الدهر واذا كان كذلك كر
على سالفه بتجديد شأن شبيه بالدارس الى ان تعود نضرته المعهودة فتزول اخلاقه
العارضة

مقابسة اخرى

نعود فى مقابسة اخرى الى اشياء لابى سليمان فنأتى بها على وجهها ونذكر فى هذه حكما سمعناها
من الحرانى ابى الحسن وغيره فقد كانت لمجالس الامير فوائد كثيرة فلسفية وغير
فلسفية قال الحرانى قال بعض السلف من الحكماء القدماء والفضلاء العلماء ما تم فضل بالعلم
على ان العالم وان لم يعمل حرى ان تتوق نفسه اى حال من الاحوال الى محاسن ما علم وحفظ
والجاهل منقطع السبب منه والعالم ينفع وان لم يعمل وليس ذلك للجاهل والعالم
كاسب على الجاهل لا كاسب للعالم قال ابن زرعة قال بعض القدماء العقل دال
على الفضيلة فمن اباها استحق لعنة بلا لا ترد ام للرذيلة ومن اثرها استحق اسم الجهل
فما كان مميزا التركه العمل بدلالته وقال الصابى قال الاولون الشكر الاقرار
بالنعمة للمحمود وجزاؤها بالحسنى فى الضمير والقول والفعل فاما اجزاء الضمير فالنية
والمحبة والطاعة واما اجزاء القول فالثناء والدعاء والنشر واما اجزاء الفعل فالصبر
والسعى فيما يرضى المنعم قال والشكر ثلاث طبقات لمن فوقك بالطاعة والنصيحة

والنصيحة ولا الكفايات بالمكافاة ولمن دونك بالتفضل عليه والشاكر ان قصر عن تلك لم يشكر ويحتاج
الى معرفة وطباع وعمل فبالمعرفة يعرف كنه النعم وقدرها يجب عليه من الشكر وبالعمل يبلغ كنه ما هو
عليه وبالطباع يكون الدوام على ما وجب عليه والشكر مراتب فشاكر قصر عن قدر النعمة ولا عذر
له الا ان يكون ذلك منتهى طاقته ومشاكر اقتصر على التسوية فاتا كفاء ما اوتي اليه وليس يحسن ان
اطاق الزيادة ومشاكر زاد تنفلا وكرما فهذه اعلا مراتب الشكر وقال القومسي السلطان
في تدبير الرعية كالشمس في تفصيل الازمان والجند كالرياح في التلقيح والعلماء من
كالنبت والحيوان والعوام في نقل الامور كالارض في حمل الانام وما يكون منه منافع الانسان
وقال على بن عيسى ليس يرى مجد الحكمة الا من كان بصر عينيه في قلبه لا بصر قلبه في عينيه وما
احسن ما اتفق لسان البدوى هذا المعنى في نظم الشاعر ما الفضل فيما تريك عين
بل هو فيما ترى القلوب وقال على بن عيسى قال افلاطن من اتصلت الحكمة بطباعه فتحتها
واخرجت منها انواع البيان المخالف بها في الشكل والقوة والصورة وقال غيره قال سقراط كل مصغر
ليس بمحمود ما امكن منه الاختيار قال ابو سليمان وقد سمع هذه الحكاية ما احسن ما قال بطليوس
في كلامه في الثمرة حين قال اذا طلب المختار المختار الافضل فليس بينه وبين المطبوع فرق وقد شرح
هذه الكلمة في اخواتها من الثمرة كاتب الطولون واربى على كل فايدة قلت لابى سليمان اذا كان
في الاختيار افضل لا محاله فلم لا يكون المطبوع افضل منه وان سميته مضطرا فقال قد وضح
لك قديما ان الانفعال على ثلثة انحاء فنحو يحطه المنفعل عن خاصية جوهره باستحالة صورته
واخلال كيونته وضرب يتحرك به المنفعل على نفسه اما نقصا لما اجتمع واستحالا بالمـا
المخلى عنه وضرب يتطاول به المنفعل الى ما هو فوقه مقتبسا بالقوة شوقا الى القدرة جاريا
على الشرك الواحد فهو بالقوة الالهية افضل من المختار ولكن شرف المختار عليه من جهة القدرة
الموهوبة له بتخيرها وفى هذا معنى التهليل وشرف المطبوع من جهة القدرة الموجودة فيه بدءا
عليها وفى هذا المعنى لبيش وقال آخر وهو عيسى بن على قيل لبعض القدماء كيف يكون
المحرك ساكنا فقال في الجواب كالمغناطيس الذى يحرك الحديد وكذلك الشهوة للبدن فان
الحجر والشهوة ساكنان وكذلك المعشوق والعاشق فقال القومسي وغيرنا ايضا من الحكماء
البينه قول الاول انما يدرك الشئ من جهة علته المحيطة به فاذا لم يكن للشئ علة فلا
محالة انه غير مدرك وقال على بن عيسى بن على الملك بحق من ملك رقاب الاحرار بالمحبة وقال
الصابى قال ثابت بن قرة الخرافات توجد من اربعة اشياء هى عجايب البحر وحديث النجوم
وحديث العشق وحديث الجن

مقابسة اخرى

٦٧ قال ابو سليمان قال بعض الطبيعيين البياض ينشر البصر لانه من جنس النار والسواد
يجمع البصر لانه من جنس الماء قال وقال آخر الفصل بين الجوهر والعرض ان الجوهر
لا يقبل الزيادة ولا النقصان والعرض يقبلهما وقال كل خير حسن وليس كل حسن خيرا
وقال حكيم فعلة النفس بالادب وفعلة الطبيعة بالعادة وفعلة العقل بالتقبل وفعلة
البارى بالجود وقال الغضب يتحرك من داخل الى خارج والحزن يتحرك من خارج

الى داخل وقال بعض الاوائل معرفة الدواب اولادها بالرايحة ومعرفة الطير افراخها بالالوان ومعرفة الناس بالصورة وقال متى كانت الحركة بتوق طبيعي لم تسكن البتة ومتى كانت باختيار جاز ان تتحرك مرة وتسكن اخرى وقال سقراط ان لم تكن لك استطاعة فانى محرك غير محرك ثم قال ابو سليمان هو محرك اذا كان محركا لانه محرك لا محرك فقيل له قد نظن بالبارى اذا كان محركا ان يكون محركا لانه يحرك فقال لا يجب هذا الامر من احد عما ان فى القسمة قد تبين ان هاهنا محركا لان فى مقابلته محرك غير محرك والثانى ان معقولنا من قولنا البارى محرك الاشياء لانها تنحوه وتصمد اليه وتتشوق به وتفعل به وتنفعل له لانه تقدس وعلا يوسم ما يوسم به اصناف ما تحرك او يحرك وقال بعض الاوائل العلم والعمل حدا الفلسفة وكل واحد منهما بين ضدين فالعلم بين الصدق والكذب والعمل بين الخير والشر ثم قال هذه الرذايل كلها اعلام هذا الفظ فمن الفها واستعملها وانقادلها وغلب عليها فقد اعدم نفسه وعدمها وعدمها واضمحل فيها والعدم حال سيئة مكروهة فاحشة لا ياتى عليها نعت وان كان بليغا ولا يحيط بها قول وان كان شافيا فاما الفضائل فعلى خلاف هذه كلها هى موجودة ولها الوجود المستفاد من الوجود الاول فمن اقتناها واستعملها وراض نفسه بها اليها واجرى عادته عليها ولان عريكته لها وانقطع عن ما عداها انعطف اليها وكمل مناقضة الاضداد منها بقى موجودا بوجودها وجودا لا بقاء به على قد راشتمالها عليها وتصرفه فيها وامعانه فيها فما اظنك بحال توضح لك الفصل بين الوجود والعدم وترشحك لنيل ملك عظيم وتمليك الظفر بشان جسيم وتوقفك على صراط الله المستقيم ثم قال وليس فى التحلى بالحكمة تعب كثير ولله در الله لشاهدنا قوما يحملون الاما كثيرة وركبوا اهوالا عظيمة لسبب اغراض هائلة واعراض زائلة وسبب هوى متولهم وقرين اغواهم ولعقاد ردى غلب عليهم وشىء حقير تعجلوه بشهواتهم وطلب السعادة باصلاح السريرة واتفاق الصواب اهون من ذلك اجمع فلا يصدنك عن سلوك هذه المحجة البيضاء امر مبهم ولا حال مستهجن فان فيما تدركه وتشرف عليه وتنال الروح به خلفا كثيرا وفايدة عظيمة فلا تكل نفسك الى اختيار السوء والى قرناء السوء فانك ان فعلت ذلك خسرت خسرانا مبينا وضللت ضلالا بعيدا وتحرقت اسفا وتقطعت ندما وان تحشت نفسك واخذت يدك بيدك واستقمت فى امرك واستقرت برايك ورفضت كل كل عنك وعرفت المراد منك فزت فوزا عظيما ونلت ملكا ونعيما وبقيت بقاء بلا انقطاع وسعدت سعادة بلا شقاء وصفوت وعلوت وعرفت وانفت وقدرت وظهرت ومجدت وشرفت ولحظتك عين الجود غامرة واكتنفتك الخيرات ظاهرة وباطنة ولمزة لا تنقسم وناظرا لا يتمضى وموجودا لا يحد وبينا لا يخفى وشاهدا لا يغيب وحاضرا لا يفقد وعلانية لا تنكتم ومتصلا لا ينقطع وحبيبا لا يعلى معشوقا لا يجفى وموصولا لا يبعد وصاحبا لا يمل ومجموعا لا يفترق وامنا لا يخاف وساكنا لا يقلق وناطقا لا يعيى ومحيا لا يسقم امر يجل عن نعت الناعتين ويحال يعلوا قول الواصفين وشان تدق على خبر المخبرين فاجمع اكرمك الله بالقبول اطرافك وقمر الى الغاية ذيلك وكن رقيبا

على نفسك فلا مشفق عليك سواك ولا ناظر في امرك غيرك وعلى الله الدعاء والتلطف وعليك الاجتهاد
والسعي فما بعد نصح الداعي وقبول السامع الا نيل الاماني وبلوغ الامال

مقابسة اخرى

قال ابو سليمان قال بعض الطبيعيين الوسط فيه الطرفان فان الماء الفاتر توجد فيه الحرارة
والبرودة ثم قال وهذا بيانه قول الاوايل الانسان لب العالم وهو في الوسط لانتسابه الى
ما علا عليه بالمماثلة والى ما سفل عنه بالمشاكلة ففيه الطرفان اعني فيه شرف الاجرام الناطقة
بالمعرفة والاستبصار والبحث والاعتبار وفيه صفة الاجسام الحية الجاهلة التي لها بشيء شيء
ولا فيها انقياد له فالحري من هذه حده وشانه ومقره ومكانه ان يجذب الى ما يعز به ولا يذل
ويوجد به ولا يفقد وينال به ولا يحقق وما اشقى من هذا احد يثه مع التمكين والاستطاعة
والقدرة والقوة والتذكرة والتبصرة ان تردى من ربوته ويذهب في هوته ويبقى خاسيا حسيرا ومقيدا
سبيل بلا فكاك ولا اطلاق ولا رحمة ولا اشفاق قال ايضا قال افلاطن من ملك منطقه
سمي حليما ومن ملك غضبه سمي شجاعا ومن ملك شهوته سمي عفيفا قال وقيل لافلاطن اي
الامرين اعلا درجة ان يقول ما تعلم او يعلم ما يقول فقال الان تقول ما يعلم لان مرتبة العلم
فوق مرتبة القول قال وهذا كما قال لما تعلم فالقول تابع للعلم وهذا هو احق ليكون العلم
واصلا وانما علم ما يقول فكان العلم مقصورا على قوله من غير ان يكون قائما بنفسه ثابتا
في معدنه جاريا من ينبوعه هذا اخر ما فهمناه عنه في هذا الفصل ولعل للطالبة بزيادة
شرح ممكنة فان المغزى فيه لطيف والبيان عنه عزيز وقال بعض الاوائل الانسان الذي
لا يعمل بعلمه كالشجرة المورقة لا ثمر لها وقال اخر البخيل الغني كالجبان القوي وقال
اخر من الصورة والهيولى يكون المحدود ومن الصورة والعلة يكون الايضاح ثم قال وهذا صحيح لا
لا وجود لشيء الا بصورته وهيولاه فاما الهيولى بذاتها فغير موجودة وكذلك الصورة فكل ما يتقوم
مما يتقوم منهما ثم يصير كذلك المتقوم صورة اخرى محفوظة الظاهر والباطن الى الاولين الذين
هما الهيولى والصورة ثم على حسب ما عليه الصورة في هذا المتقوم يكون شرف جوهره لانه يستغني
ببساطة من الصورة والتركيب من الهيولى وذلك على حسب ما عليه هيولاه فيه يكون ضعة جوهره
سيلان عنصره فكل حيوان غير ناطق عادم لشرف الصورة وكل حيوان ناطق واجد لشرف الصورة
الناطق ناطقان ناطق في الذروة وناطق في الوسط فالذي في الذروة الاجرام الناطقة الحية
العلوية والذي في الوسط الانسان الذي قد حوى بجوهره معنى النطق ويظهر منه هذا المعنى
طرفين بالفطرة التي له فانه يحس ويعقل والاخر بالرياضة المحمودة والالف الحسن والاختيار
الجيد والقبول الدائم ولما علت الاجرام انها مقترة عن هذه المهابط التي تتصف فيها الانسان
استغنت عن الرياضة والتحديد والطلب والاجتهاد والاختيار ولما سفلت الاجسام الاخر
في اخر الاطراف لم يطمع لها في ثمرة النظر وعاقبة الرياضة وما يفيد الاختيار ويتوقع بالقبول
تحصل للانسان دون الجواهر الناطقة كذلك حصل ساير الحيوان الذي هو دونه دون الانسان
خساسة ما تباعد عن الانسان من اصناف الحيوان اشتد وابين لانها خساسة طينية
في رقتها ولا رجاء فرح فيها واما ما حازه الانسان في مكانه الذي هو كالمنتصف من

السواهو

النواطق العالية النيرة الشريفة الدائمة الابدية وبين ما سفل عنه من ساير الحيوان فهو علوي شريف الطبع في صلاحه واستجابته وانقياده حتى يجود باختياره ويذكو ذهنه ويظهر عقله ويصير ما هو في قوته كامنا باديا وما هو معجون في طينته ظاهرا وحينئذ اذا بلغ هذا المبلغ علم انه انما صح من ناحية الطبيعة وانه متى نزع يده من يد الغاش ووضعها في يد الناصح ثبت نسبه الى الشرف واستفرهت قدمه على الهرم وابصرت عينه كلما غاب وثقت نفسه بالكرامة وارتاحت الى ما بين يديها من الغبطة ونسيت ان هذا الانسان في هذه المنزلة الصعبة والمنزلة المخوفة ما قد لا ينجع فيه الدواء ولا يسرع اليه الشفا فيعطب الذي من اجله صرنا نتنادى بشاهد التنادي ونتحارس في هذا العالم هذا التحارس ونتواصى هذا التواصي لئلا يختطف فجاة الى مهوى البلاء ومعدن الشقاء قد دعا الله لجأ الينا بالنجاة وصرح لنا بالحق ونصب امامنا العلم وتلا علينا بيان الرشد والغي ليكون حجاتنا على بقصة وبيان ويحولنا الى مقام دار امن وسلام ونحن كما ترى ساهون لاهون والى الله المشتكى والسلام وقال ايضا ابو سليمان قال بعض الطبايعيين منزلة الكوكب من الشمس منزلة الحديد من حجر المغناطيس ما تراهن اذا بعدن تجذبهن اليها قال وهذا القول فيه نظر فقال ابو سليمان كل من لا يعرف ما يجب عليه فلا يعرف فقال اليس هذا من كيسي وقال الآخر للدين حجة لا يحتج عليها وللشبهة سبيل لا يعرض لها

مقابسة اخرى

سمعت القومسي وابو بكر يقول قال بعض الاوايل الرقى باطلة فقيل له بل هي حق لانا نرى ابو عبيدة يقطع العرق وانما هي كلمات تدخلها النفس على الطبيعة فتشغلها بتلك الكلمات عن عملها قال وهكذا تفعل الرقى اذا كررت على الانسان وقال ايضا قال بعض الاولين في السياسة والاخلاق من ملك حقيق ان يحصن عقله من العجب ووقاره من الكبر وعفوه من تعطيل الحدود وقال بقراط الحمية ان تدع الشهوة تقية فقال بعض الاوايل استضاءة الجسد من النفس كاستضاءة القمر من الشمس واستضاءة النفس من العقل كايضاح النفس للنفس واستضاءة الروح من الطبيعة كاستضاءة المركز من المحيط واستضاءة العقل من العقل الاول كاستضاءة العاشق من المعشوق وقد قال بعض الاوائل لا يقال هذا حق ولكن يقال هذا عدل بحق لان الحق والعدل وقد قيل لافلاطون فلان لا يعرف شيئا من الشر قال فليس اذن يعرف شيئا من الخير قال فهذا مكشوف لانه يريد ان تكون الامور متميزة عند الانسان الفاضل فانه بعد تمييزها يختار منها وفيها ما يجب ان يجتنب وفيها ما ينبغي ان يكتسب واذا استفرهت عليه ولم يوضحها التمييز بطل اختياره منها واذا بطل اختياره منها خيف عليه الهلاك فيها قال بعض الطبيعيين الدليل على ان الفعل غير الفاعل وغير المفعول الصوت من اصطكاك الجرمين والنغم من اليد والوتر وقال قال بعض الاوايل الطبيعة والعقل مكان النفس والباري محيط بكل ذلك وهو بكل مكان لا يخلو منه شيء وهو العالم بكل شيء لانه علة كل شيء ثم قال وهذا على السعة المعروفة والمجاز المعتاد والا فقولك علم ويعلم وعالم خبر عن ضرب من ضروب الانفعال والباري لا انفعال له بوجه البتة وقال قال بعض الاوايل حد الشيء الصناعي خارج عنه وحد الشيء الطبيعي موجود فيه قال وانما كان هذا لان الصناعي يصدر عن ذي هيولى باداة وحقيقة

والتي عملية والطبيعي جزء عالم صورة نفسية باداة روحية والتي لطيفة فالطبيعة من الالهة لانها
تشتمل على ما فوقها وتملي على ما تحتها بها وقال ايضا قال سقراطيس لو قبل الماء السكون لكان
ارضا ولو قبلت الارض الحركة لكانت ماء ولو كان الهواء حاد الزاوية كان نارا ولو كانت النار
منفرجة الزاوية كانت هواء وسمعت ابا محمد الحراني يقول قرأت في كتبنا يعني كتب الصابئين
اذا اردت ان تكثر النحل في مكان فضع نحلة من ذهب واجعلها في سقف بيت النحل فان النحل
يزيد ولا ينقص ولا يهرب قيل للقومسي لم تقبل النادرة ولا ترد فقال كان المعنى في هذا القول
ان النادرة ليست مملولة لانها غير معهودة ولا مردودة فهي لا تستحق الرد الا ترى انها تعهد
اذا قدرت وتلاحظ ان مقدمتها ولها حرمة الغريبة وذمام الزائرة البعيدة فهي لذلك
ليست كاخرى قد عهدت وملت وقليت

مقابسة اخرى

سمعت ابا سليمان يقول من التمس الرخصة من الاخوان عند المشورة ومن الفقهاء عند الشبهة
ومن الاطباء عند المرض اخطأ الراي وتحمل الوزر وازداد سقما وسمعته ايضا يقول
لا يجوز ان يصدر فعلان متضادان من جوهر واحد ولا يجوز فعل واحد بالذات من جوهرين
مختلفين بالذات وسمعته يقول من اراد ان يجود على الناس كلهم فليتولهم كلهم خيرا وسألته
عن الفرق بين المعرفة والعلم فقال المعرفة اخص بالمحسوسات والمعاني الجزئية والعلم اخص
بالمعقولات والمعاني الكلية لغيره ولهذا يقال في الباري يعلم ولا يقال يعرف ولا عارف
وسئل عن الرطوبة واليبوسة فقال الرطوبة كيفية سهلة التشكل بالاشكال الغريبة
واليبوسة كيفية عسيرة التشكل بالاشكال الغريبة وكل قابل لكيفية من الكيفيات
فانما يقبلها اذا كان عادما له وتكلم عشية يوم في التوحيد بكلام طال ودق فقلت له هذا
مشكل فقال اشكاله يدلك على وضوحه فلما خرجنا من بين يديه قال لي النوشجاني اراد ان
اشكاله على شواهد الحس تدل على وضوحه عند شواهد العقل لانه تجتمع ايضاح العقل
والحس في معاني الاله وذلك ان الحس يدرك ذا الاشكال فيكون الشكل مدركا له
بوساطة ذي الشكل والعقل قد يجرد الاشكال عن حواملها وموادها فيلحظها ولكن يلحظها
متميزة فاذا علا اللحظ عن الاشكال كما علا عن ذوي الاشكال حينئذ يصير العقل والمعقول
شيئا واحدا وينتفي كل شكل لاستيلاء الوحدة فيعتاص كل بيان لاستيلاء الحيرة فعلى
هذا معنى قوله اشكاله يدل على وضوحه اي اشكاله فيما تلقه حينئذ ويلحظه عقلك
يدل على وضوحه في نفسه بحسب حقه الذي في ذاته وصفيت هذا المقدار بعد استفهام
كثير ومراجعة شديدة لان الاشارة غامضة والايماء خفي على سعة المواد وتوضح المقصد وقرب
المأخذ وانكشاف الغطاء واستتار السالك واذا اراد الله تيسير عسير وتقريب بعيد فعل
انه ماجد وهاب وقال ايضا النفس تدبر اولي الالباب والطبيعة اولي الغفلات والفكر في
مرآة النفس يريها خيرها وشرها وظن العاقل كهانة وخدم الملوك خزان ارواحهم واشفاق
الاستاد يجب ان يكون على قدر الزمان ومن احب ان يبقى في عالم الحس سليما من آفات
الدهر فليغن عن عقد مقدمات ومن احب ان لا تجري عليه احكام الفلك فليجد سقفا غير

هذا السقف

مقابسة اخرى

سالت ابا سليمان عن الضحك ما هو وما علته فقال الضحك قوة ناشئة بين قوتي النطق والحيوانية وذلك انه حال للنفس باستطراق وارد عليها وهذا المعنى متعلق بالنطق من جهة وذلك الاستطراق انما هو تعجب والتعجب هو طلب السبب والعلة للامر الوارد ومن جهة تتبع القوة الحيوانية عند ما تنبعث من النفس فانها اما ان تتحرك الى داخل واما الى خارج فاما ان يكون دفعة فيحدث منها الغضب واما اولا فاولا باعتدال فيحدث السرور والفرح فاما ان تتحرك من خارج الى داخل دفعة فيحدث منها الخوف واما اولا فاولا فيحدث منها الاستهزال واما ان تتجاذب مرة الى داخل ومرة الى خارج فيحدث منها احوال احدثها الضحك عند تجاذب القوتين في طلب السبب فيحكم مرة انه كذا ومرة انه ليس كذا ويسري في ذلك الروح حتى ينتهي الى الغضب فتحرك الحركتين المتضادتين وتعرض منه القهقهة في الوجه لكثرة الحواس ويعلو الغضب واحد واحد منها

٧٢ ## مقابسة اخرى

قال ابو زكريا الصيمري يوما لابي سليمان في حديث النفس وما يغلب عليها ويصير بدنا لها لا يفارقها ولا يزول عنها ايها الشيخ اني اجد في نفسي اشياء هي ابدا كان فكري ودعايم همتي واسس وساوسي احدها حديث الوالدة فاني لا اكاد انساها ولا اذهل عن شانها وشاني معها هذا على بعد عهدي بها وامتداد الزمان بيني وبينها لانها صارت الى جوار الله وانا غلام والثاني حديث صاحب الشريعة فاني ابدا فيه ايضا متعجبا مما خص به وافرد منه مع ما عاناه من اقاربه واباعده ومع الذي خص به من اعمال حاله وتدابير اصحابه ونظم جرائمه ودقة ما كان يلقى وهي الحال التي توحد بها من بين اهل عصره في نشر الغيب و والدعاء الى الرشد حتى صارت الحجة عند من انكره وقاهرا لمن عانده وبركته وصنعة على من عزه ونصره وساير ما كان به مشهورا من امره الغالب وشانه المعجز ومع الاحوال التي اختلفت واستغلقت ووضحت على الذين عاموه وخبروه وجاوروه واستنبطوه مما يطول ذكره وهو بارز لكل احد وموضوع على كل مرصد والثالث الموت وذلك اني ممنوع بتخيله عن كل استمتاع ولذة التخيله تخيلا غالبا موحشا وربما غشي فوادي من ذكره وباشر صدري من كربه ما يبلغ بي الى اتمناه لا ستريح به منه والرابع البارى عز وجل واني في اعلا ارجاء الفكر وفي الجد الا قصى من حديث النفس لا يخلو من ذكره بالي وقلبي ولا ينصرف عن مناغاته سري وجهري على انه لا صورة له عندي ولا عيار ولا تخيل ولكن ابت علي ابنه الا شعورا به ووجدانا له واعرابا عنه وايماء نحوه فقال ابو سليمان هذا خبر عن محل رفيع في الاستنارة وشان عجيب في حصول الطهارة واتصال السعادة وقد يظن من لا يقرب له من هذه العين ان هذا وساوس يغلب من جهة المزاج اذا انحرف والاعتدال اذا فقد وليس كذلك بل هو شيء دون ان يكون مصطفى للغاية المتمناة والنهاية المتوخاة لان الوالدة يلحظ منها المبدا الحسي فيعشق لذلك ومن سجايا النفس الفاضلة ومن عادة الفطر النقية والطينة الحرة ان يكون المبدا ملحوظا فيها وعندها وهذا كله للشعور بالمبدا الذي هو الاول بالاطلاق مع احوال تتناصر وتتشابه في خلال هذه الفكرة تتعلل بها النفس تعللا مونسا مطربا ودافعا للوقت موجبا فقيل له فلم لم تكن المنزلة دون الام فقال لا لان ام

شأنها في الحنو اعظم وتدبيرها في المباشرة اظهر وشفقتها بحسب ضعف قوتها اكثر والاب
هو ايضا على الحنو ايضا ولكن لا مباشرة له متصلة ولا ولاية له متمادية وانما هو اول فقط والام
حاملة واضعة وفاطمة ومرضعة وحاضنة ومربية فالكلفة عليها اغلظ وحبسها للولد الف
وهو بها اشغف ثم قال واما تحمل الموت فلان النفس تلحظ المعاد وتنزع اليه وتتقلب
نحوه لان المعاد هو المحيط الذي منه بدأ واليه يجب ان يكون المنتهى ولا استعجام الحال
في التلاقي ما فتئ قلبه في الفكر فيه فيعتريها التشعث الشديد والفكرة الغالبة نفورا من الشقا
وتحسرا على ما يكاد يقرب من الخير ولا سبيل للنفس الى هذه العاقبة الا بتخلية البدن
الذي هو السور الحائل بينه وبين الخلاص من اسر هذا العالم وتدبيره هذه الاستقصات
وهذه التخلية هي التي تسمى موتا وانما هي تحول من مكان الى مكان فالفرق مصحوب والخوف
قائم والظن مترجح والامل بين رياح عواصف فكلما كان استعجام الحال اشد كان الامل اضعف
وكلما كان الامر ابين كان الشوق اليه اعظم فاما ما يتعلق بحديث الناموس الالهي الشارع
لطرق الخيرات القائدة الى غاية السعادات فامر ايضا انما يشتد ذلك ويكثر ويتضاعف
لان للنفس الفاضلة مباحث كثيرة في شأن من هذا نعته وكيفيته وتلك المباحث هي مسالك
الخير المأمول ومراقي الى المعلوم والمجهول فالشغف والفكر والنظر انما يتضاعف في شان هذا
الشخص ليقتبس من نوره ويهتدي بامره ونهيه ويظفر بنفيه النفس من جهة بقوله وفعله وبنشر بركته
فاما ما يرتقي عن هذه الحدود الى الغاية الاولى والغاية القصوى فذلك يطلب للنفس سكونا
لا قلق بعده وطمانينة لا تحير بعدها فنحو كانت هذه الخواطر سانحة وهذه المشاعر فاتحة
وهذه الاواخر مشهورة وهذه الاوائل موجودة وبقدر تواليها وتعاقبها وتوافيها وتقاربها تكون
حظوظ الانسان في اكتساب الالهية الحسنة والعينة الباقية والاخلاق الالهية من العلم
والحكمة والجود والسماحة والعفاف والهمة العالية والشجاعة البينة والخير والعدالة
والمعادلة والنزاهة فلا عدة للنفس الحليمة والطبيعة الكريمة الا هذه الفضائل
التي هي ينابيع الخيرات ومصابيح الغايات وثمرات هذه الحياة ثم قال ــــ والله
نسئل توفيقا ندوم به على هذه المحجة البيضاء واللقم الافيح ثم نزداد بصيرة الى
التمسك بما عادت جدواه علينا عاجلا وآجلا ببذل الغاية وتقديم الحرص ورفض
الدنيا ومجانبة قرناء البطالة وابناء الهوى والشهوة فانه مجيب من دعاه وكافي
من استكفاه واقول ما اخرجنا جميعا الى ان نهب انفسنا لكسب هذا المجد وتشييد
هذا البناء وافناء هذا الذخر فوالله الذي لا اله الا هو لو تزينا بهذه المقابسة وحدها
من هذا الشيخ كانت زينة لنا الى آخر الابد فكيف ولها اخوات تعضدها وامهات
تشهد بصحتها

مقابسة اخرى

املى علينا ابو سليمان فقال الدهر هو اشارة الى امتداد وجود ذات من الذوات وهو
ينقسم قسمين احدهما مطلق والآخر بسيط من قبل ان الذوات اما ان تكون موجودة
وجودا طلاقا او بالحقيقة من غير ان تقترن مبداء ونهاية واما ان يكون متناهية

اذا فهم منه وجود ذات لا ابتداء لها ولا انتهاء فهو الدهر المطلق واذا فهم منه مُتَدّ وجود ذات ذى نهاية فيكون الدهر الذى بلا اضافة والشرط مثال ذلك انا نقول ان فلانا دهره يفعل كذا او كنت افعل الدهر كذا واما المثال على الاول بالاطلاق فهو الذى يرجع منه الى الذات التى هى اقدم الذوات واتمها وامدها الى غير غاية ومن غير بدء والزمان هو عدد حركة الفلك المشرقى بالتقديم والتاخير ثم من الناس من قال انه مدة تعدها الحركة وهذا الحد توهم ان الحركات كالمكيال للمعنى المفهوم من اسم الدهر وليس هذا معنى الزمان على الحقيقة وجوده انما هو فى عدد الحركة معدودة ليس هو الدهر وانما هو الحركة فالاشياء الحادثة على ضربين منها ما هو جار مع الدهر ويتعلق فى وجوده بالذات الاولى وتلك لا يلزمها التناهى وغير التناهى والقبل والبعد الذى من قبل الزمان بل التى من قبل المعنى الذى يتعلق بالتصور والاضافة الى وجود الذات الاولى والضرب الثانى الحادثة فى الزمان وهو محصور بين طرفين بقبل وبعد فاذا حقق النظر فيه رجع الى فعل وانفعال وبجملة الحركات من الحركات اما كون واما فساد واما نقلة واما استحالة واما نمو واما اضمحلال من غير ان يتعلق بوجود ذات من الذوات

٧٤ # مقابسة اخرى

واملاء على ايضا الفرق بين الوحدة والنقطة ان الوحدة هى نقطة ما لا وضع لها والنقطة هى وحدة ما لها وضع فالوحدة مبدأ الواحدية وهى الكم المنفصل بمنزلة العدد المؤتلف من الوحدات التى تجتمع من غير اتصال حدّ لها بالاخرى والنقطة هى مبدأ الكم المتصل بمنزلة الخط الذى يتصل اجزاؤه بعضها ببعض بحدّ مشترك هى النقطة فالنقطة اذن هى وحدة ما لها وضع والواحد هى نقطة ما لا وضع لها ولذلك ما كان وجود الوحدة موضوعها النفس والتوهم ووجود النقطة موضوعها الجوهر الطبيعى ومتعلقا بالحس وان كان متعلقها بتوسط الحس

٧٥ # مقابسة اخرى

وسالت ابا سليمان عن الفرق بين الفعل والعمل فقال الفعل يقال على ما ينقضى والعمل يقال على الآثار التى تثبت فى الذوات بعد انقضاء الحركة قال والفعل ايضا يعم كل معنى صادر عن ذات وحد الفعل انه كيفية صادرة عن ذات والانفعال كيفية واردة على ذات فالفعل يقال على التحقيق على هذا المعنى وهو الذى يقال انه مقولة من المقولات العشر ويقال على العموم اى على اى معنى صدر عن ذات

٧٦ # مقابسة اخرى

قيل لابى سليمان النفس ليست قائمة بذاتها لانا لا نجد النفس الا فى الجسم المركب فقال هذا كلام من لا الف له فى هذا الفن وقد يعرف الشئ من ناحية اعتياصه ودقته وقد يعرف من ناحية بلادة الناظر فيه اذا قلت النفس قائمة بذاتها فانا نريد بهذا انه لا علاقة لها مع الجسم ولا صلة ولا وصل ولا انفصال ولا تحريك ولا تصريف بل قلنا ان النفس فى الجسم فالمراد به ان قواها هى السابحة فيه او بادية عليه وان قلنا النفس قائمة من دون الجسم بذاتها فالمراد

بذلك ايضا انها غير ملابسة له كملابسة الدهن للماء ومدار الخبر على النفس والبدن على تصفية المعقول منه لا على تسليط الحس عليه ونقل التمثيل والتشبيه اليه الا تعلم ان الشيء في الشيء على فنون كالسياسة في السائس وكالسائس في السياسة وكالماء في الحب وكالحب في البيت وكالبيت في الفضاء فقد يلحظ الجوهر في الجوهر على خلاف ما يلحظ في الجوهر ويلحظ البسيط في المركب على شكل غير شكل المركب في البسيط ثم بين الذي قسط من البسيط على قدره آخر فرق بالضعف والقوة وهكذا الحال في المركب والتركيب وبهذا الغرض الموهوم حصل بين الشبهين فرق غامض لا يقف عليه الا من توغل وتغلغل وحصل بين المتباينين شبه خاف لا يسبق اليه الا من تخلل وتوصل ولهذا صار جل النظر والبحث بل الغالب العام انما هو في ايضاح الفرق بين متماثلين لشدة تماثلهما وايضاح الشبه بين متباينين لشدة تباينهما فليكن هذا من دعائم العلم عندك حتى يخف عليك طلب ما اشكل واستيضاح ما غمض وقد سلف في حديث النفس ما فيه شفاء النفس وسيمر فيما بقي من الكتاب ايضا ما يكون نافيا الكثير من الشبه ودافعا للكثير من الاعتراض وهذا اللهج في حديث النفس انما هو لغلبة عشق البقاء الدائم والحياة الصافية من الكدر وكيف ما نعتنا النفس وانبأنا عنها فانها باينة الشكل والحال والظاهر والباطن والفعل والانفعال والحقائق والخصائص مما عليه البدن اعني ان قلنا ان النفس في البدن على سعة عرض في مواضعه او قلنا مصرفة الجسم على سعة عرض التصريف في مواقفه او قلنا الجسم منفعل لها وبها على سعة عرض الانفعال واختلاف معان لها وبها فعلى جميع هذه الوجوه قد وضح ان شأنها غريب وان سرها عجيب والنظر في امرها واجب واليسير مما يستفاد من حديثها كثير واني لاعجب ممن يظن انها تابعة للمزاج فهلا نامت عند نوم الانسان فان المزاج قد جبل على النوم بحسب الضرورة التي دخلت على الجسم من اليقظة الكادة والحركة الحادة بل الامر كان بخلاف ذلك فانها عند النوم عطفت على ما هو اخص بها واعشق لها فتصرفت فيه واملت وانبأت عما اندرت فكيف يكون هذا الشأن معترفا به وجلالة وشدة التعجب مجهولا فكله محمول على الحسن الوحي وهذا أمر لا يسمح به عقل له معرفة بالصواب بسبب صحيح او لصاحبه في مواصلة الحق رغبة تامة وكان ابو سليمان في هذا الموضع هذا ما جاء في الجواب وهو حسرة الطبيب والمهندس والمنجم والموسيقار والمنطقي والكلامي وجميع اصحاب النظر والقياس

مقابسة اخرى

٢٧ قرئ على ابي سليمان من كلام اسرقلس اذا استولت المحبة على الاجسام التي منها تركيب العالم كان منها العالم الكري واذا استولت الغلبة كان منها الاستقصات والعالم الكائن الفاسد فقال مفسرا انه اراد باستيلاء المحبة على العالم استيلاء القوة العقلية فانها هي التي تحيط بجميع الموجودات احاطة كلية وتولف بينها تاليفا انتظاميا موفقا بين جميع اجزائها وهذا الفعل منها شبيه بتاليف الاكر بعضها مع بعض واحاطة بعضها ببعض حتى لا يتخللها شيء آخر قال ومعنى قوله اذا استولت الغلبة حدث منها الاستقصات لتباعد الاقطار المتميزة بعضها من بعض المباين كل واحد منها غيرها وهذا تشبيه بالقوى الحسية

المتشدبه المفارق بعضها بعضاً فيما يجمعها من الاكوادات معها يقع فيها من الخطأ او الغلط والزيادة والنقصان وهذه صفة الاشياء المتغالبة والمتنافرة هذا اخر تفسيره وليس به غنى عن بقية بها ينكشف فضل انكشاف ويعترف من اجلها اكثر من هذا الاعتراف ولكني قد بلغت هذا الموضع من الكتاب وما لي طرف ولا معي ذهن لاحوال ان شرحتها اثرت الشماتة من العدو واعنت العدو على المحب وحركت ساكن الخصم الان واساءت الصديق بعض المساءة وان كان لا صديق والى الله اشكو اغربتي وكربتي ومعاداتي لمن لا ابيح ولا ابوالي فبيده تفريج ما القى وتسويغ ما اشقى وهو المولى والمعين

٧٨ مقابسة اخرى

املى علي ابو سليمان فيما املى السلب هو نفي شيء من شيء والايجاب هو اثبات شيء لشيء والحد ليس فيه حكم ولا اثبات شيء لشيء ولا نفي شيء عن شيء لكنه قول دال على امر دلالة مفصلة كما ان الاسم دال عليه دلالة مجملة مثال ذلك النقطة فانه سواء قلت شيء ما لاجزء له او قلت نقطة من قبل ان قولي نقطة ليس فيه حكم كذلك قولي شيء ما لاجزء له لا حكم فيه واما ان جعلت احدهما موضوعاً والاخر محمولاً حتى تقول النقطة هي شيء ما لاجزء له وله يصير حينئذ الحد محمولاً على النقطة ويختلف دلالته عما كان عليه

٧٩ مقابسة اخرى

قال ابو سليمان ايضاً املاء الطبيعة اسم مشترك يدل على معان احدها ذات كل شيء عرضا كان او جوهراً بسيطاً او مركباً كما يقال طبيعة الانسان وطبيعة الفلك وطبيعة البياض والحرارة معنى ذاته ويقال ايضاً على المركب منها ويقال على المزاج الاول اللاحق لكل مركب من الاستقصات ويقال على المزاج الخاص بنوع الانسان الذي هو موضوع للنظر فيه وقد تستعمله الطبيب على المزاج الخاص ويقال على المزاج الخاص بنوع الانسان الذي هو موضوع للنظر فيه وقد يستعمله الطبيب على المزاج الخاص بشخص شخص من نوع الانسان واما بحسب النظر الطبيعي العام والذي يخص الفيلسوف الطبيعي فهو المعنى الذي حده ارسطوطاليس بانه مبدأ الحركة والسكون للشيء الذي هو فيه اولاً بالذات لا بطريق العرض وهذا المعنى يعم مستحق المركب لعني المادة والصورة فان المادة مبدأ للتحرك والتسكن والصورة مبدأ التحريك والتسكين والاولى بهذا الاسم عند ارسطوطاليس الصورة دون المادة وعند قوم من القدماء مثل المادة دون الصورة بحسب النظر الفلسفي وحد الطبيعة هو العقول الذي يقال انها حياة تنفذ في الاجسام فتعطيها التخلق والتصور بالصورة الخاصية بواحد واحد منها وكانها القوة السارية من المبدأ الاول الى جميع الاشياء المنفعلة بها والقابلة لها الرابطة بينه وبينها وهي بوجه ما الصورة المؤتلفة من جزئي المركب التي هي غير كل واحد منهما على الانفراد بحسب موضوع اللغة هي فعلية من الطبع ولذلك ما صار اشبه بالصورة من المادة وان كان المطبوع هو المادة الا ان الصورة هي الطابعة وهي المعطية ذاتها وحاصلة فيها

٨٠ مقابسة اخرى

قال ابو سليمان ايضاً الموجود هو الذي من شانه ان يفعل وينفعل فكل ذات موجودة فاما ان تكون فاعلة فقط او منفعلة فقط او فاعلة ومنفعلة فالمنفعلة فقط هي المادة

الموضوعة لقبول الصورة والفاعل فقط هو الذي يعطى صورة كل ذى صورة والفاعل المنفعل هو المركب من مادة وصورة يفعل بصورته وينفعل لمادته وقال ايضا كل موجود اما ان يكون بالقوة واما ان يكون بالفعل فقط واما ان يكون بالفعل من جهة وبالقوة من جهة فالمنفعل الذى بالقوة دائما هو الهيولى المستحيل المتبدل الاحوال بالصورة التى يعطيها الوجود بالفعل والموجود بالفعل دائما من غير ان يشوبه شيء من القوة هو الذات الابدية الوجود الذى سبب كل موجود بالقوة والفعل الموجود بالقوة تارة وبالفعل اخرى هى المركبات من المادة والصورة فان لها القوة من جهة الهيولى والفعل من جهة الصورة

٨١ مقابسة اخرى

وسمعت ابا سليمان يقول الخير على الحقيقة هو المراد لذاته والخير بالاستعارة هو المراد لغيره والمراد منه ما يراد لذاته فقط وما يراد لغيره فقط ومنه ما يراد لذاته ولغيره والذى يراد لغيره بمنزلة الدواء والذى يراد لذاته فقط بمنزلة السعادة والذى يراد لذاته ولغيره بمنزلة الصحة

مقابسة اخرى

٨٢ واملى ابو سليمان على جماعة كنت احدهم سنة احدى وتسعين وثلثمائة وقد سئل عن الواحد فقال الواحد اسم مشترك يدل على معان كثيرة احدها وهو احقها بهذا الاسم فهو واحد بالعدد وهو اما ان يوجد من حيث هو مطلق وموضوعها النفس من غير ان يوجد معه امر من الموجودات وبهذا الوجه يعنى المعاد وعلى هذا سواء اخذ واحدا او اخذت وحدة ويكون مبداء العدد الذى هو جمع الوحدات كما يقال فرس واحد وانسان واحد وهذا الوجه يعني المعدود ويقال ويقال ايضا الواحد على ما هو واحد فى الجنس كما يقال ان الانسان والفرس واحد فى الحيوانية ويقال ايضا واحد بالنوع كما يقال زيد وعمرو واحد فى الانسانية ويقال ايضا بمعنى انه غير متجزء بمنزلة النقطة والآن وعلى هذا الوجه ايضا يقال فى الشخص انه واحد وانه غير متجزء من قبل انه جزئى فشخص ويقال ايضا واحد فى الموضوع وهذا الضرب يقال منه المتصل الذى هو واحد بالفعل وكثير بالقوة ومنه ما هو واحد فى الذات وكثير فى الحد كما يقال ان زيدا الكاتب اذا كان طبيبا او منجما او ذا صناعات كثيرة انه الطبيب والكاتب والمنجم واحد فى الموضوع من قبل ان الذى هو كائن هو بعينه فاسد وكثير فى الحد لان حد الفاسد خلاف حد الكائن ويقال ايضا على ما هو واحد فى المناسبة كما يقال ان النقطة الواحدة وقلب الحيوان وعين الصورة واحد بالمناسبة معناه ان نسبة كل واحد منها الى ما له مثل نسبة واحدة ويقال ايضا على ما هو واحد فى الحد وكثير فى الاسم كما يقال ان الثوب والرداء والانسان والبشر واحد فى الحد وكثير فى الاسم وكذلك الخمر والخندريس وساير الاسماء المترادفة على معنى واحد ويقال ايضا على ما هو واحد فى الاسم كثير فى الحد بمنزلة الكلب والعين فان الكلب يدل على النابح والكواكب وحديدة الجزار وكذلك العين على العضو الذى يبصر به وعلى عين الذهب وعين الماء وعين الركبة والبقى هذه المعانى ان يوصف به الموجود الاول ما كان واحدا بالموضوع وكثيرا بالحد والصفة اذ لا يجوز ان يكون واحدا بالعدد من حيث هو عاد ولا من حيث هو معدود اذ الواحد على انه واحد من هذا الوجه كانت الكمية لاحقة به والذات الاولى متعالية عن ان يلحقها او يحيط بها صفة

يلحق غيره من الموجودات المفعولة له وذلك ان القوة التي تلحظ شيئا من الاشيا ومعانيها معلولة مفعولة ولحظها لها انما هو على سبيل ما يلحقه من الفيض وافادة الوجود من تلك الذات فتثبت عندها آنية ذلك فقط من غير ان يمكنها نقل شيء من احكامها واحكام ما يحيط بما هو دونها اليها والواحد بمعنى وهو ذات ماله معنى الوحدة وهذا يوجب الكثرة فاليق الاشياء التي يجوز ان يشار بها اليها من جميع معان الوحدة والآحاد التي ذكرناها هو الوحدة المجردة التي لا توجد من حيث هي في النفس فتكون حاكمة عليها بها ولا التي موضوعها امر من الامور الموجودة ليكون لها هو واحدا وعلى هذا الترتيب يصير الواحد الذي هو اول موجود يستحق ان يوصف بما هو القوة الاولى التي ذكرناها اول معقول للذات الاولى فيكون واحدا بتلك الانية التي يلزمها الوحدة التي وصفناها وهي الفعل فيكون الترتيب الجاري على النظام اللازم في مراتب الموجودات اولها الوحدة المحضة وتاليها في الوجود المحض الذي هو المفعول الثاني وثالثها الانيات المحضات التي هي النفس من قبل انه حصل لها من الذات الاولى الوجود ومن الذات الثانية الصورة التي صارت بها كمالا لكل موجود لما هو دونه ولما كان الانسان الذي هو الموجود الذي ينتهي اليه جميع القوى من الوجود الاول والثاني والثالث من الاجسام السماوية والاستقصات الكاينة الفاسدة والغاية التي اليها تبلغ القوى وتحصر فيه صار الواحد المتكثر المقابل الواحد المحض قوى يسلك بما معه من جميع ما فوقه الى مواصلة كل واحد منها بحسب الرباط الذي بينه وبينها الى ان ينتهي الى المبداء الاول والذات الاولى فيفصح عنه بلحقه في ذاته عبارة جسمانية بالنطق الخارج وتشير اليه اشارة روحانية بمطابقة عقله المعقول الاول حتى يصير هو هو ويلحظ اثر الفيض الواصل الى تلك الذات فقدره مشاركته اياه وينفي عنه جميع الصفات التي نفاها عنه المفعول الاول ويقال لهذا الفعل منه توحيد اي تجريد تلك الذات عن جميع الكثرات التي تتعلق على الذوات ويحيط بها من الصفات

١٣ مقابسة أخرى

قال ابو سليمان اسم العقل يدل على معان وتنقسم تلك المعاني الى اقسام بحسب ما ينقسم كل ذي عقل وذلك له ابتداء وانتهاء واحدها وهو بمعنى الابتداء بالطبع هو العقل الفعال وهو الشبيه الفاعل والثاني بحسب الانتهاء وهو العقل الانسان ويسمى هيولانيا وهو في نسبة المعقول والثالث بحسب معنى الوسط وهو العقل المستفاد وهو في نسبة الفعل والعقل الانساني الذي هو بمنزلة المفعول هو في حيز القوة التي يحتاج ان يخرج الى الفعل وحده امر الشيء الذي من شان الجزء منه ان يصير كلا ما ومعناه ان في قوة كل واحد من هذه العقول الجزئية ان يدرك جميع المعقولات التي من شانها ان تدرك ولما كان الذي بالقوة يحتاج الى شيء موجود بالفعل يخرجه الى الفعل كان ذلك الشيء هو العقل الفعال اذا اشتبه بفعل في شبيهه والمستفاد بمنزلة الفعل الملابس القوة والفعل جميعا

مقابسة أخرى

٨٤ املى علي ابو سليمان ايضا فقال الخلاء يدل عند الاوائل على مكان عادم جسما طبيعيا واختلفوا في وجوده فمنهم من قال انه لا وجود لشيء ما هذه سبيله منهم ارسطوطاليس

واضعافه ومنهم من قال بوجوده ومنهم من قال ان هذا المعنى مبثوث في جميع العالم به يكون الانقباض والانبساط للاجسام والتخلخل والتكاثف والثقل والخفة واللطافة والغلظ ومن اجله يمكن حركة الاجسام اذ لا يجوز ان يكون حركة في الملاء لما يلزم من مداخلة الاجسام بعضها بعضاً ومنهم من قال ان وجوده خارج العالم ولا نهاية له وسيسقيه الاجسام التي في هذا العالم فنعرض لها به المعاني التي ذكرناها فاما بطلان وجوده عنده من رأى ذلك المعنى بُعداً اعني طول وعرض وعمق يحصره ابعاد الجسم من قبل ان ينطبق طوله على طوله وعرضه على عرضه وعمقه على عمقه والجسم انما يشغل هذا المكان بهذه الابعاد فقط لا بانه بارد او حار او ابيض او اسود او ثقيل او خفيف اذا كان ابعاد الجسم يحتاج الى ابعاد المكان بما هي ابعاد فابعاد الخلاء انما هي ابعاد يحتاج ايضا ابعاده ثم الكلام فيه الى ما لا نهاية

مقابسة اخرى

٨٥ سمعت ابا سليمان يقول الفرق بين الكلي والكل ان الكل متاخر عن اجزائه والكلي متقدم على جزئياته والفرق بين الاجزاء ان طبيعة الكلي بمنزلة الحيوان موجودة في كل واحد من اجزائه بمنزلة الانسان والفرس واما الكل بمنزلة العشرة فطبيعته غير موجودة في كل واحد من اجزائه بمنزلة الثلاثة والسبعة والفرق الثالث انه ان رفع من الكل واحد من اجزائه بطلت صورة الكل واما الكلي فانه ان رفع جزئياته تبقى طبيعة الكل محفوظة بمنزلة الحيوان فانه ان رفع الانسان او اي واحد من الحيوان لم يبطل طبيعة الحيوان

مقابسة اخرى

٨٦ قال املى علي ابو سليمان الجوهر اسم مشترك يدل على سبيل العموم على الذات اي ذات كان جوهراً كان او عرضاً كما يقال جوهر الحرارة وجوهر البياض بمعنى ذات البياض وذات الحرارة وقد يقال على الخصوص لا على الذات التي وجودها ليس في موضوع ومعناه انه ليس يحتاج في وجوده الى شيء يوجد به او فيه فينبغي ان يفهم هذا المعنى من الرسم الذي وصف به وهو القائل الجوهر هو الذي ليس في موضوع وهذا الصنف ينقسم اقساماً بحسب معاني احوالها في الوجود فيقال منه بسيط ومنه مركب وهذه القسمة بحسب الوجود الطبيعي ويقال منه هيولى ومنه صورة وهذا بحسب حالها في ذاتها واضافة بعضها الى بعض ويقال منه كاين وفاسد ومنه غير كاين ولا فاسد وهذه القسمة بحسب حالها فيما يقبل من التاثير ولا يقبل ويقال منه سرمدي ومنه حادث وهذا بحسب امتداد وجودها في الزمان ويقال منه محسوس ومنه معقول وهذا بحسب حالها عند الادراك ومنه اول وهو الشخص ومنه ثان وهو الاجناس والانواع وهذه القسمة بحسب اعتيادنا في باب العموم والخصوص وهذا الصنف هو الذي الواحد منه بالعدد قابل للمتضادات بتغيره في ذاته على ان في هذا الصنف شكاً وهو هل الاشخاص العلوية اعني الافلاك والكواكب هل يصدق عليها الرسم ام لا فان من الناس من زعم ان هذا الرسم مشتمل على جميع الجواهر الشخصية ومنهم من قال انه يخص الجواهر الشخصية المركبة من المادة والصورة التي تحت الكون والفساد

٨٧ ## مقابسة اخرى

سمعت أبا سليمان يقول رأيت فيما يرى النائم كأنى أناظر ابن العميد أبا الفضل فى مسائل من السماع الطبيعى ويقينا نقسم الموجودات فقلت الموجود ايضا ينقسم بنوع آخر ان يكون اما خفى الذات خفى الفعل او ظاهر الذات ظاهر الفعل او خفى الذات ظاهر الفعل او ظاهر الذات خفى الفعل ثم قلت الأول هو البارئ جل وعز والثانى الحرارة والبرودة وما اشبههما والثالث الطبيعة والرابع الكواكب اعدنا هذه المقابسة على الشيخ المجتبى فقال هذا والله الحكمة وفصل الخطاب قسمة مستوفاة وحقيقة ذات برهان وكلمة ما عليها مزيد

٩٨ مقابسة أخرى

سئلت أبا سليمان عن البلاغة ماهى وقلت احببت ان أعرف قولا على نهج هذه الطابقة لان لهم كتاب والخطابة فى عرض كتاب الفيلسوف وقد بحثوا عن مراتب اللفظ واللفظ طبايع الكلمة والكلمة موصلة ومفصلة وخواتيم احق ما اعتمد فقال هى الصدق فى المعانى مع ايتلاف الاسماء والافعال والحروف واصابة اللغة وتحرى الملاحة المشاكلة برفض الاستكراه ومجانبة التعسف فقال لنا ابو زكريا الصيمرى قد يكذب البليغ ولا يكون بكذبه خارجا عن بلاغته فقال ذلك الكذب قد البس لبس الصدق واعير عليه حلة الحق فالصدق حاكم وانما رجع معناه الى الكذب الذى هو مخالف لصورة العقل الناظم للحقائق المهذب للاعراض المقرب للبعيد المحضر للغريب فقلت لابى سليمان فهل بلاغة احسن من بلاغة العرب فقال هذا لا يبين لنا الا بان نتكلم بجميع اللغات على مهارة وحذق ثم نضع القسطاس على واحدة واحدة منها حتى ناتى على آخرها واقصاها ثم نحكم حكما بريا من الهوى والتقليد والعصبية واين هذا مما لا يطمع فيه الا ذو عاهة ولكن قد سمعنا لغات كثيرة من اهلها اعنى من افاضلهم و بلغائهم فعلى ما ظهر لنا وخيل الينا لم نجد لغة كالعربية وذلك لانها اوسع مناهج والطف مخارج واعلى مدارج وحروفها اتم واسماؤها اعظم ومعانيها اوغل ومعاريضها اشمل ولها هذا النحو الذى حصته منها حصة المنطق من العقل وهذه خاصة ما حازتها لغة على ما قرع آذاننا وصحب اذهاننا من كلام اجناس الناس وعلى ما ترجم لنا ايضا من ذلك ولولا ان النقص من سوس هذا العالم ونوسه لكان علم المنطق قد نيط بالعربية وكانت سوق العربية الى الطباع اليونانية فكانت المعانى طباقا للالفاظ والالفاظ طباقا للمعانى وحينئذ كان الكمال يخطو اليه عن كثب والجمال يصادف بلا دعب ولا رهب و قال ايضا اصل الدور بعد الدور والكور بعد الكور بنسيان هذا الذى سميناه لقوم يكونون بعد ما فات العالم مشتاق الى الكمال و مشتاق الى الجمال عندهما يكون الغاية واليهما تقف النهاية وقال ومما يوضح هذا المشكل ويبين هذا المجمل صورة العالم فى كل وقت وسمته على حال لم يكن عليها قبل ذلك بما يفيض عليه ويسرى اليه من الحق الاول والوسايط الاول بالجود الاعظم والاشمل واذا كانت الصورة تتصل ولكل ما فيه صورة محدودة وشكل فاضل يصير فى كل وقت و لحظة الى هيئة لم تكن عليها من قبل فهل ذلك الا لان العالم متوجه نحو الكمال والجمال بيانهما حال فحال ثم يكون له بجود الحق الا و ليستديم تجدده ويسوقه ويمده عليه فعلته من غير انفصال بتوسط ولا نحو من بعرض وهذا المبدأ مفروض والا فالحال متصلة اتصال الواحد

بالواحد من حيث يلحظ ما هو واحد واتصال الوحدة بالوحدة من حيث يلحظ ما له وحدة وقال
أيضاً وهو الذي أشرنا إليه العالم إنما هو من ناحية قبوله وانفعاله وما هو بسبيله وإلا فالجود
الأول هو الجود الثاني والثاني هو الأول وإلى ما لا غاية معلومة ولا نهاية موهومة إلا أن هذا اللائق
بالإله الذي له ينبغي وبه يليق فأما العالم فتجدده وحسنه وكماله وتمامه فمضاف إليه وملحوظ
فيه والمراد في كلامه واعتاص لفظه وتسلسل إيماؤه وسقط عن آذاني جل ما كنت حويته ورددته
التحفظ لي ولمن يرى رأيي أن لا أخليها أمكن من ذلك فأثبته على ما تجده من الفتق والرتق والرقع
والخرق وأنت أبقاك الله أولى من تدارك خلله وستر خلله وأرجو أن لا تخرج من حسن الظن
بي ولا تغلط الفراسة فيك ولا تدخل في غمار من لا يساوي عيانه خبره ولا يلحق كله بعضك
كان الله لك ومعك وهو حافظاً لك ودافعاً عنك ومؤنساً بك

مقابسة أخرى

٩٦ تذكر في هذه المقابسة أشياء سمعناها من أبي سليمان في مجالس الأنس إن لم يكن في صدد
الفلسفة فإنها لا تخرج من جملتها ولها فائدة التي تحتاج إليها ولا يستغني في الأغلب عن
الوقوف عليها قلت له يوماً كيف أصبحت قال ما لك الظاهر مملوك لا أقعد عد ولا ولا
البذ الأعفو إن حزنت حزنت طباعاً وإن فرحت فرحت خداعاً إن أنا خالطت ذممت الناس
وإن اعتزلت اجتلبت الوسواس إن بحثت دهشت وإن قدرت استوحشت هذا مسائي
وصباحي وعليه غدوي ورواحي واشوقاً إلى وطء ذاك البساط واكرباً من عقد هذا الرباط
يا لها سعادة لو وجدت بالجد والتشمير وزهد من أجلها في النقير والقطمير وهذا كما ترى
وحدثنا يوماً قال اجتزت بالري متوجهاً إلى سجستان سنة من السنين وكان بها أبو جعفر
الخازن فزرته قاضياً لحقه وسنه ولما انصرفت اتبعني برقعة يصحبها بر وفي الرقعة
بسم الله الرحمن الرحيم من استحقر في قضاء حقوق الإخوان ما يبلغه عاجل الاستطاعة
فقد عرضها للتقصير والإضاعة لأن الأيام لا تكاد تسعف بكل المراد ولا تزول عن عادتها في الفساد
وجرى يوماً بحضرة أبي سليمان حديث أحكام النجوم فقال من طريق ما ظهر لنا منها أنه
ولد في جيرتي ابن نباتة فقال لي لو أخذت الطالع فأخذت وعرضته على علي بن يحيى نعم
وقوم فقال لنا فيما قال هذا المولود يكون أكذب الناس فتعجبنا منه فدرت الأيام حتى
ترعرع الغلام وبلغ وخرج شاعراً كما ترى معدوداً في عصره ثم أنشدنا له مستحسناً

وتأخذ من جوانبنا الليالي ... كما أخذ المساء من الصباح
أما في أهلها رجل لبيب ... يحس فيشتكي ألم الجراح
أرى التشمير فيها كالتواني ... وحرمان العطية كالنجاح
ومن لبس التراب كمن علاه ... وقد تخدع عنك أنفاس الرياح
وكيف يلذ مهجته حريص ... يرى الأرزاق في ضرب القداح

ثم أنشد تمامها ابن نباتة فأقر لي بها وقلت لأبي سليمان يوماً أنشدنا أبو زكريا الصيمري
عن سكة القمي عن ابن محارب أفيلسوف لنفسه صدفت عن الدنيا على حبي لدنيا ولا بد
من دنيا لمن كان في الدنيا وأدفعها عني بكفي ملالة وأجذبها جذب المخادع بالأخرى فقال
هذا كلام رقيق الحاشية حسن الطالع مقبول الصورة يدل على نفس صافية وقريحة شريفة ونحيزة
محمودة ووجدت ناصعة وذات بارحة ثم نظر إلى شيخنا أبي زكريا يحيى بن عدي فقال

أنشد يوما الخالدي الكاتب ÷ لست أدري أطال ليلي أم لا ÷ كيف يدري بذاك من يتقلى ÷ لو تفرغت لاستطالة ليلي ÷ ولرعي النجوم كنت مخلا ÷ فقال له يحيى بعد أيام قد عارضت الخالدي الكاتب في قوله ثم أنشد ÷ ان يكن لا يدري الا المخلا ÷ لست تدري إن كنت تعلم أم لا ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ أو تكن داريا بذاك فهلا ÷ كنت تدري أطال ليلك أم لا ÷ قال وانقلب أصحابنا عنه بالضحك والتعجب انظر كيف يسلب الفاضل توفيقه في وقت مع صحة الثاقبة بالعلم ولم ينشدنا أبو سليمان هذه ليحيى بن عدي تهجينا عليه وكذلك أنه قال قد يدل الشعر على ركاكة في هذا الفن والستر عليه أحسن بنا وكان أبو سليمان يستحسن للبديهي قوله

لا تحسدن على تظاهر نعمة ... شخصاً تبيت له المنون بمرصد
أوليس بعد بلوغه آماله ... يفضي إلى عدم كأن لم يوجد
لو كنت أحسد ما تجاوز خاطري ... حسد النجوم على بقاء سرمد

فقال ما أظن البديهي قط إلا في هذه الأبيات وصدق كان عسل الشعر سهل القول فأما أبو سليمان فإنه كان يقرض البيت والبيتين وينشد ذلك ويُنهي عن نفسه عنه ويقول لمن اتصل لضعف قوة غريزية وجسارة فقدا استحي الى نفسه فضيحة وخسارة فمن قوله وأنا عزوف النفس عن بيع تقى ومعطٍ قيادي للحبيب المؤالف ÷ أشاطره روحي ومالي وأتقي ÷ حذاراً عليه من رياح عواصف ÷ فإن خان عهدي لم أخنه وإن أكن ÷ على ما أرى من غدره بمواقف ÷ واترك عقباه لعقبى فعاله ÷ ففي عقب الأيام كل التناصف ÷ ومن قوله أيضاً بكيت على مفارقة الشباب ÷ وأيام البطالة والتصابي ÷ وأيام التغازل والدلال ÷ وأيام التجني والعتاب مضت فكأنها المأمولات معقبة نفيساً بأعقاب لتسلب كل ملبوس جديد ÷ وتمزج كل موصول بصاب بياض الشيب أعلام المنايا ÷ نشرن نذيرة لك بالذهاب ÷ هو الكفن المعجل وشيكاً ÷ وثان بعده كفن التراب ثم قال لا نقول من هذا الباب أو لحونا فلسنا من أهل هذا الفن وسمة التقصير لائحة علينا ودالة على نقصنا وإن خفي ذلك بنظرنا لأن الإنسان عاشق نفسه وليس في مواخذتها على تقصيرها ثم قال لي أنشدنا ما سمعنا منك لبعض الإلهيين فأنشدته ترنم لما تجاوز حيني ÷ وفات مشتى ومشتى ÷ ولم أزل أتقرى ÷ دليل إنباء جنسي ÷ فلم يكن ذا التحكم ولا يعود بالسعي رجعت نحو لبرها . بحيث عنى حسي ÷ فلاح تحت ضلوعي ÷ ما قد يقرب شمسي ÷ فقلت هذا الرفيق وفيه تدرع وأبس وغصت حتى تجلى ÷ وأشرقت منه نفسي ÷ فقال أبو سليمان ما أحسن الأدب والحكمة إذا كان هذا من ثمرها وسمعت أبا سليمان يقول للجرجاني الكاتب وكان يحدث نفسه بالوزارة أيها الرجل إن الدنيا نار ذات دخان فلو سلوت عن صلائها بدخانها لكان أجدى وأسلم فقال أمهلا أصبر على دخانها لانتفع بضيائها وأستمتع بصلائها فقال ما أحسن هذه المعارضة لو كنت في الاستمتاع بضيائها على ثقة ومن الانتفاع بصلائها على يقين وكنت إذا أدركت ذلك دام عليك وصفا لك فأما والعادة جارية بخلاف قولك وعين اقتراحك وتوهمك فلا فقال الجرجاني والله الموفق وهو حسبي فقال أبو سليمان حكم الكتاب وأصحاب الخطابة مخايل تصدق قليلاً وتكذب كثيراً ليس لها رسوخ في القلب ولا ثبات في العقد فلما قتل الجرجاني قال أبو سليمان مسكين ذلك الرجل صبر على دخانها الى أن ضيق وتعرض لصلائها حتى

الحق ثم قال اللهم لا تحوجنا الا اليك ولا تجشمنا الا بما لديك ولا تعرضنا الا لطلب ما عندك انا
لعجزنا عن قدرة نطلبها بنا وضعفنا على قوة نزيدها فينا ارنا الحق حقا ثم هيئنا لاتباعه وارنا الباطل
باطلا ثم وفقنا للاعراض عنه يا من يملك العيان والخبر ويريناهما العجايب والعبر فقد قوي
رأيي ادام الله توفيقك ان لا تكون هذه المقابسة في هذا الموضع لانها تأخرت عن اخواتها المواصي لكنها
على كل حال قد اخذت نصيبها من الحسن ولعلها تفيد بعض الفايدة قيل لابي سليمان
لم قيل الحاجة السؤال حبل النعم فقال لان الحال يلتبس بشيء كالاغراء والاكراه والالجاء فيقع
للمسئول انه قد ظلم وان السائل قد اعتدى فاذا استقر هذا في نفسه وتردد على باله لم يجد
في مقابلته شيئا اقرب ولا اخص من منعه ليكون ما اتاه من جنسه من جنس ما اتاه السايل من
جنايته وهذا حفظك الله وان لم يكن من سراة الفلسفة ومن بحبوحة الحكمة ومن غامض
الفوائد كان يجري مع اخوانه في مجالس هؤلاء الاعلام لسببه من الحفظ ولم يعرض
الفائدة فكرهت ان لا يكون لها رسم في عرض ما رويناه وهذا الاعتذار مني قد تكرر
ولولا سوء ظني بالزمان واهله لما رايت ان عادته تنفع وتكريره يفيد والسلام

مقابسة اخرى

هذه مقابسة تشتمل على كلمات شريفة من كلام ابي الحسن محمد بن يوسف العامري علقت
وسمعت اكثرها منه وهي التي مرت في شرحه لكتابه الموسوم بالنسك العقلي ويصلون بأن
عليها هذا الكتاب فاتيت بها على وجهها قصدا لتكثير الفايدة واخذا بمجامع الحزم قال
العزم لا بالنفس بل بعيات النفس واشبه لا للكمال بل لكمال الجمال والطلب لا للالفة
لكن لاستخلاص الاتحاد وقال ايضا لن يوثق بالصديق بل بميزان الصدق ولن
يخاف السبعية بل كلب السبعية ولن يهجر الكذب بل آفات الكذب وقال انظر من
جعلك مريدا فاجعل مرادك وجرد الانتساب الى من هو اولك وآخرك وقال وزن
النفس بالنفس هو العبارة بالنفس وردع النفس بالنفس هو العلاج للنفس وعون
النفس بالنفس هو التدبير للنفس وانتساب النفس بالنفس هو التعرف للنفس وعشق
النفس هو تمرض وقال سل واهب العقل اضاءة العقل ولاحظ
الحقايق بنور الحق وقال ابدأ بالاول في ايثار الاولى واعرف الاولى بايثار الاول
وقال مبدأ وصال الاحسن هجران الاقبح ومنشو الراي الاقوم وجدان الاصح وقال
المختار الاول عاشق للاحسن والمقدم الاول مريد الاتقن وقال امن المؤنة اشرف
القنيات واخلاص العمل اشرف الاعمال وعداوة الشيطان اشرف من المجاهدات
والتهيؤ لاجابة الداعي اشرف الافعال وتميز البقاء من الفنا اشرف من النظر و
قال دوام الصحبة للفضلاء من السادة يروض الطبع على الحسد من العادة واحالة
الفكر في نظام الخليقة يجلو النفس بجمال الفضيلة وقال ليس اللطف في تزيين الشيء
بل اللطف في تانيق التزيين وليست المهنة تادية الصناعة بل المهنة سهولة التادية
وليس الكمال المطلق اقتناء الفضيلة الانسية بل بما يتبع اقتناءها من الجود المزين
لها اجل النعم هي الاستقبال بشكر النعم واشرف المواهب هو الفوز بالخلوص لرب

الواهب ومن لم يؤيد من نفسه باحكام الحكمة وبان يحقق العقل فقد صيرها حجة عليه
لا له الفائز بالاشرف اما ان يوجد مستوليا على المشروف واما ان يوجد مستغنيا عنه
والمقتصر على المشروف ان يقعد بالاستيلاء على الاشرف او يستعين بالاستغناء عنه
الوضيع اشد حالا من الخسيس فان الوضيع مذموم في حال دون حال والخسيس مذموم
على كل حال اشرف العبيد اخلصهم للمولى واشرف افعال العبيد ارضاها عند المولى
اشرف اغراض العبيد هو ان يصفوا الى المولى واشرفهم العبيد ان يتحد بالمولى من مصاير
المذلة سلوك النفس الى النقص بعد الفوز بالتمام ومن خصايص التشبه بالضعاف
مع وفور الطاقة الحكمة مقتضية لوجود العقل والمعاني الثلثة في الاقل شيء واحد
وهو هوذاته الحق فاما فيمن دونه مختلفة في حدودها وان اتحدت في وجودها
النفس العزيزة هي التي لا تؤثر فيها النكبات والنفس الكريمة هي التي لا تثقل عليها المؤونات
مقابل العزيز هو الذليل في التلون في احوالها لسرعة علمه ومقابل الكريم اللئيم
والرضى من افعاله بالخلل عامة مراتب العبودية بحسب القوة العملية اربع اولها مرتبة
المتقين وهي من علايق الخوف والثانية مرتبة المحسنين وهي من علايق الرجاء والثالثة
مرتبة الاولياء وهي من علايق المحبة والرابعة مرتبة الصالحين وهي من علايق الاستغناء
صورة لكل واحدة هم القاذورات مندرجة في الخيرات والتمسك بالخيرات عصمة
عن الهفوات والامن من الهفوات مرقعة للمقامات ومعالي المقامات مجمعة للتردد
واللذات متى لم يجلب الموانع فقد تيسر الجوهر الجسماني نحو كماله الاخص العلم الصحيح
ابلغ من صلاح العمل السديد من الاعتبار بالعكس فان الرياسة والتدبير
اليه فاتحة للسعي في طلب المولا ترك جميع من هو دون المولى وتمام السعي في طلب
المولى الاستغناء عن جميع من هو دون المولا متى جاوز البعض لبعض فقد استغنى
الجميع عن الجميع ومتى اتكل البعض على البعض فقد اضطر الجميع الى الجميع بدء
التعاون افتقار وتمامه استغناء وبدو التواصل استغناء وتمامه افتقار متى
استثبت الحرفة على هذا العرض الحقيقي فقد سلم المحترف بها عن وصمة التقليد فيها
فراق العبد المولى يكون على صور اربع وهي القطع والطرد والعسر والحجب نعات الخاطر
النفساني وان عرض منه التادي الى الحرص فلن يجوز ان يعد مرضا وكلا فان لكل واحد
منهما مقصودا اخر عظيم الجدوى ذاتي له ومثله الحال من كان مما ينبعث في النفس
كما ان التدين يفتتح تدينه من درجة التقليد ثم يترقى منها رويدا رويدا الى المعلوم
التحقيق ومهما اقتصر من تدينه على الرتبة كان مذموما وان لم يجد في البداءة
مختصا بالكثير الحال في اللذة والكرامة والثروة والرياسة المعونة والحرمة قد تقع
بحسب القرب وقد تقع بحسب تقريب مراتب التقريب بحسب العمل يفتقر الى الالات وهي
الاتصال والتفويض والتوبة ومراتب التقريب بحسب العمل تنقسم الى ثلاث مراتب
وهي الخدمة والطاعة والعبادة وقالب الحال لا يجب ان تكون حال الصبي في الوقت
لا يجب ان يكون قريبا من احوال الصبا والطبيعة لا يجب ان تكون ذات افعال او ذات

الضلال والسبب الداعي لا يجب ان يكون اما الثروة واما اللذة واما الرياسة واما المحمدة بل يجب
ان يكون اما شرف الفضيلة او تحصيل السعادة والرفقاء لا يجب ان تكون سبعيين او بهيميين
وقال النيرزي الموضوع عند غير موضعها متحسن بالعرض لجهات ثلاث وهي المحبة والغيرة والمدرجة
امثال القلوب اربعة اولها الزيغ ثم الرين ثم الغشاوة ثم الختم وعلاجها الايمان والبذل واليقين
بالاخرة والتصديق بالرسالة اخلال الانفس يكون على اربعة اوجه اولها الكسل ثم الغباوة
ثم القحة ثم الانهماك وعلاجه استشعار التقوى والمحافظة على العبادات الاتفاق في سبيل
الانفس اعلى النفس همها هوان لا يفرح بشئ من السنخ كفرحه بصحته مالك الملوك
وهو الكمال الفصلي للطبيعة الانسانية اختصاص كل موجود بفعل له على حدة يحقق
ان وجدانه ليس بعيب وانحسار العقل عن ان يتوهم لذلك الفعل موجودًا آخر اصلح له
من تحققه انه ليس بناقص الذات اذ قد تقرر كل من الموجودات بفعل له على حدة فمن اين تعرف
ثاني الذي يصدر عن مجموعها من الفعل المختص به من وجد مجموعًا ان ينفع لسياقه
الشئ الى الكمال اذا لم يحفظ علته ولن ينفع بحفظ علته اذا لم يصر ذاته بنفسه مستحفظا
لطبائعه على اخص كماله ما لم يصر امنا في سربه من طغيان الا ان المخيرم الا عنده ولن ينتفع
بالامن عنده الا اذا لم يكن الامن ابديًا على الاطلاق ان شرف الانسان هو الفوز بالسعادة
العظمى ونيل الزلفة عند ربه ومن الواجب ان يكون غرض الصناعة المعينة بشأن الانسان بما هو انسان
اعني النسك والزهد هو تحصيل السعادة العظمى والزلفة عند الله تعالى وكان الشخص الواحد
من اشخاص الناس عند حصول الاستبان صور الموجودات كلها في ذاته فيصير بذلك عالمًا على حدته
حسب ما في اشخاص الحيوانات للاخرى امتنع ان يقوم فنا وابديًا بخلاف الاخر مكان ازدحام الصور
المتقابلة في الجوهر النفساني الذي يمتنع وازدحام الصور الكثيرة التي لا يتناهى ليس بموه فوجود
التلاشي عليه اذن ليس بواجب وحصرها اذ انحلت بالابديات الكلية بطباعها الخاصية غير
بعيد ان يكون الكمال المطلق هو ان يصير جوهر بحسب السعي الاختياري حكيمًا قادرًا جوادًا وهو
بصيرة العبد به باقيًا بالحقيقة لما جعل الشخص الحيواني توليد المثل لبقاء نوعه فقد اهدى
بالطبع التمم لغايته وبالعكس المحروم الكمال الاشرف بنفسه حيلته قصر طباعه عن التصور لم يرتسم
فلو وصاها ه الانسان في هذا الكمال لشك كله في القصور عن التصور اذا سعد العبد بوصال مولاه
على الحقيقة فقد صارت دنياه اخرته وموته حياته وفقره غناه ومرضه صحته ونومه
يقظته وضعفه قوته وهمه فرحه واذا شقي بالحجب عن مولاه فقد انقلب الامر بالضد
مراتب العبودية في العيشة الدنياوية على الحقيقة اربع اولها الاهتمام للسعادة ثم السلوك
اليها ثم الحصول عليها ثم الاستمساك بها وفي العيشة الاخروية تبيان وهما الاغتباط بنيلها
والاغتباط بالامن من زوالها كما امتنع عليه ابراز فعله المختص به فقد صار وجوده على ما هو
عليه مضاهيا لعدمه وتلك هي خساسة ذاته صلاح الواحد منزل منزلة الملك وصلاح
الجميع منزل منزلة الملك وحيث وجد الملك وجد الملك ولا ينعكس فاذن الانسان
لن يشرف بان يصير الكائل بشرف اذا صار ملكًا وفعل الملك حفظ القنية على صورتها
ويحفظ الملك حفظ مراتب القنيات على درجاتها متى علم ان الشيء مما يجب ان يعلم وانه

ليس تعلم فقد صار المفعول عنده محروصاً عليه وذلك هو مفتاح السعي وهو في الحقيقة اكثر من
نصف جملته كما انه ليس يمكن العقل الصريح المعرفة بالمبدأ القريب من الشيء دون ان يعرف المبدأ الاول
على الاطلاق وما بين المبدأين من الوسائط كذا ايضاً لا تقدر النفس القوية على معرفة الغرض القريب
للشيء دون ان تعرف الغرض الاخير على الاطلاق وما بين الغرضين من الوسائط ان كان الاول المحض
والاخر المحض بالذات شيئاً احداً وان اختلف الوصفان عليه بالاضافة فبالحرى ان يكون المبدأ
والغرض المحض غير مختلفين بالذات وان اختلفا بالاضافة التعرف للذات بحسب المنتهى اربعة وهي ان
تعرف ما ذا هو وكيف السبيل اليه وما الذي يحتاج اليه في التوجه نحوه وما الذي يعوق عن بلوغه
مراتب التعرف للذات بحسب المبدأ اربعة وهو ان تعرف ما هو ومن جاء به ومن داعي به وكيفية
مجيئه ومن اجل ان المستخدم قد يضطر الحال الى استعمالها واستخدامها فيصير فعله فيه
عند ذلك شبيهاً بفعل الخادم لها في الظاهر فليس بعجيب ان يعرض منه الغلط او يبيد ومن جهة
الانخلاع من سوس العقل الصريح التفرقة بين الحسن والقبيح ومن سوسه ايضاً السكون
عن الحسن في الالتفات عن القبيح لان الشيء متى كان مفرطاً في الحسن فانه يبهر العقل البشري فيحتاج
منه الى التدريج اليه والتمرين عليه خصوصية هذه الصناعة رياضة الانفس الناطقة على الادية الالف
البشرية بصبور مستصلحة لاكتساب الزلفى عند خالق البرية لن يكون ان تكون الغاية مجردة في
نفسها موجودة بذاتها بل يجب مع ذلك ان تكون متصورة عند القاصد لها على ما هي عليه
وان تكون ايضاً متشوقة محبوبة عنده يجب ان تعرف من درك الغاية اهو من جملة النعم
ام ليس هو من جملة النعم وانه ان كان من جملة النعم اهو مما ينال بحسب الاتصال ام بحسب
التعويض ام بحسب المثوبة هذا اخر التعليق عنه نضر الله وجهه وقد كان نادراً
على هذا الجنس من الكلام لطول ارتياضه وكثرة فكره فيه مع سيرة جميلة ولقد ورد بغداد
سنة اربع وستين وثلثمائة في صحبة ذي الكفايتين فلقي اصحابنا البغداديين عنتاً
شديداً ومناكدة وذلك ان طباع اصحابنا معروفة بالحدة والتوقد على فاضل يرى من غير
بلادهم وذلك كله جالب التنافس مانع من التناصف وهو خلق تابع لهواهم وتراهم
قد احتاجوا من اجل ذلك الى علاج شديد ومقاومة طويلة وقل من يتخلص الى غاية
هذا الباب لغلبة الطباع وسوء العادة وشراسة النفس والحكة على النقص الظاهر منها على افعالهم
ومطالبتهم بالواجب لهم اكثر من بذلهم الواجب عليهم وهذا باب وان كان فاشياً في
جميع الناس فكانه في اصحابنا افشى وهو من جهتهم اعلى وهو على ذلك لا يشترك احد
منهم اذا برز في فن عشرة من غيرهم واذا كان الكمال عزيزاً في النوع كيف لا يكون عزيزاً
في الواحد نسأل الله خلقاً طاهراً وعملاً صالحاً وعلماً نافعاً

مقابسة اخرى

٩١ قد مر في هذه المقابسة التي تقدمت فنون من الحكمة وانواع من القول ليس في جميعها الا حظ
النفس بالرواية عن هؤلاء الشيوخ وان كنت قد استفرغت الطاقة في تنقيتها و
توخي الحق فيها بزيادات يسيرة لا ايهم منها او نقص خفي لا يبالى به وانا اسألك ان تأخذ
منها ما وافقك وتدع على ما بار عليك ولا تحل ما سلف من القول في المسائل ما اجيب

ان احكي لك حدودا حصلناها على مر الزمان بعضها اخذ من افواه العلماء وبعضها التقط من بطون
الكتب بعد ان عرض الجميع من يوثق بصناعته ويرجع الى نقده واختياره فى شركتى فى فوايدها
وهب لى من بعض استحسانك لها وتغمدنى بكرمك وفضلك اللذين لا يستغنى مثلى عنهما و
استقر انى نقلت هذا الكتاب والدنيا فى عينى مسودة وابواب الخير دونى منسدة بقلة الثروة
وقلة المعونة وفقد المونس بعد المونس وعثار القدم بعد القدم وانتشار الحال بعد الحال
هذا مع ضعف الركن واشتعال الشيب وخمود النار وافول شمس الحياة وسقوط نجم العمر
وقلة حصول الزاد وقرب الرحيل والى الله التوجه وعليه التوكل وبه المستعان ولا موفق غيره
ولا معين سواه   وفى الجملة اسئلك بالملح الذى يتقاسم به الفتيان ظرفا ان تعذرنى
فى تقصير تعثر عليه فوالله ما شرعت فى تحبير هذا الكلام وايراد هذه الوجوه الا شغفا
بالعلم لا ثقة ببلوغ الغاية وانت اولى من عذر كما انى احق من اعتذر وهذا كله يجرى
فى مجالس مختلفة بين مشايخ الوقت بمدينة السلام   ورايت ان اخلا الى تحصيل على
اى وجه كان اسد من اخلا الى تقصير يستر فى جملة ذلك فتعرضت لم على علم منى بقلة
السلامة على ان من اجاع على بحثه وكشر لى عن نابه وجعل صوابى خطاء وخطائى فيه
عارا احتملت وصبرت وتغافلت وعذرت وانا كنت فى جميع ذلك راوية عن اعلام
عصرى وسادة زمانى فانا اذرى اعراضهم بعرضى واقى انفسهم بنفسى وانا اضل دونهم
بلسانى وقلمى ونظمى ونثرى وارجوا ان لا يخرج عند التصميم وضيق المعطن عند
الحمام المغارفة الادب والى ما يقبح الا حد وشرا قول قولا يورث الندامة وابرز بروزا
يجلب الملامة ولست انا انسر احدا على هذا الحديث الا بعد ان يرسم بعلمه فى هذا الفن
عشرة اوراق ليسلم فيها كل السلامة وتسترك فيها من كل قالة لم وهذا ما لا يتطاول له
كل احد ولا يعثر به كل انسان والطعن بالقول سهل من بعيد والعنف خفيف على
لسان كل عايب والتعقب مركز فى كل وقت ولكن التراجل ولا ابقاء احد ولا ان تطلب
التاويل فى سهو بغيره احسن من ان نستبان الخلل فيما العلة يتسبب على ان المحسنى
لا تتلهو وا ما كان المحسنة لا تعدم ملاما والسلام والمقابسة التى من قول
العامرى قد جعلناها مقصورة على حدود حصلناها وفى اثرها فوائد جمة ولو كان
الوقت يتسع لوصلنا جميع ذلك بما يكون شرحا له ولكن هذا معسر واذا عاق ما لا اخفاء
به من المكروه والعلة فى النفس والحال فى الاخوان فلا بد من الرضى بالممكن والنزول عند
التسهل والقناعة   قال ــــــ ما حد الكلام   الجواب انه مولف من صوت وحروف
ومعان يقال كيف يحصل الجواب يجذب الانسان الهوا بالحركة الطبيعية وحصره فى
قصبة الرئة ودفعه ومصاكته بالحركة الارادية للهوا الخارج بحروف يجد بها آلة اللهوات
وهذه مركبة دالة بحروف اتفاق واتساق على معانى فكر النفس بالمنطقية بقدر الهواجس
الطارية والخواطر السانحة والصواب المؤيد من العقل والاثر الحاصل فى القلب   يقال ما الشعر
الجواب كلام مركب من حروف ساكنة ومتحركة بقواف متواترة ومعان معادة ومقاطع
موزونة ومتون معروفة   يقال ما الغناء الجواب شعر ملحن داخل فى الايقاع والنغم

الموزونة

الوترية مسعطفة على طبيعة واحدة تجمع مشاكلة اليها يقال ما الايقاع الجواب فعل يكيل زمان
الصوت بفواصل متناسبة متشابهة متعادلة يقال ما اللحن الجواب صوت بترجيع خارج
من غلظ الى حدة ومن حدة الى غلظ بفصول بينة للسمع واضحة للطبع يقال ما النغم الوترية الجواب
استحالة الصوت من نسبة شريفة الى نسبة غير شريفة المقاطع ومواضع استراحات الانفاس
مع تمام دور من ادوار الايقاع يقال ما الطنين الجواب هو رجوع الهواء من جرم المقروع
الى جزء منه وذلك لان الجرم العميق الاملس اذا قرع شيء ما عنه ثم عاد اليه كالكرة
اذا ضرب بها الارض وكذلك الصدا من المتكلم يقال ما الجدل الجواب مباحثة مقصودة
بها ايجاب الحجة على الخصم من حيث ان يقوم من حيث لا يقدر ان يدفع يقال ما المحال
الجواب الجمع بين المتباينين في شيء ما في زمان واحد وجزء واحد واضافة واحدة وسمعت
ابا سليمان يقول المحال لا صورة له في النفس فقيل له البارى في هذا ما يقول فيه المحال
هو فقال لا لان عليه شهادة من العقل فبشهادته ثبتت انيته وبارتفاع صورته
انتفت كيفيته وهذا غير التوحيد وقد مر كلام في التوحيد عن هذا الشيخ وعن غيره
على سعة الطوائف وضيق عباراته فلا وجه للاطالة في هذا الوضع ولولا ان هذا القدر
كالبيضاء ما اقترن به واشتمل عليه لكان تركه اولى وعلى كل حال ففيه تحديد لهذا
الباب وبعث على ما تنزع النفس اليه من هذه الحقائق وليس من فصل في هذه الرسالة
الا وهو محتمل بضروب من البيان واصناف من القول ولكن الاقتصار اليق بالحال واحسم
لمادة الشغب والجدال فقال ما الكون الجواب خروج الشيء من القوة الى الفعل فقال
ما الفساد الجواب خروج الشيء من الفعل الى القوة يقال ما الجمع الجواب انضمام
المادة الى نفسها وتلاقي اجزائها يقال ما الانفراد الجواب انفصال المادة باقسام
لطيفة صغيرة العدد يقال ما الباطل هو ما ليس له في الوجود هو ما هو يقال ما الخير
بالحقيقة الجواب هو ما يراد ويؤثر لاجل ما يراد بالاستعارة لذاته يقال ما الشر
الجواب هو ما يهرب منه لاجل ذاته وايضا الشر هو ما يهرب منه لاجل انه يؤدي
الى الاستعارة الى ما يهرب منه لاجل ذاته يقال ما الذكر الجواب احضار الذهن
ما فقد وجوده في النفس يقال ما الذهن الجواب جودة التمييز بين الاشياء
يقال ما الذكاء الجواب سرعة الانقداح نحو المعارف يقال ما النوا الجواب هو نهاية الفكر
يقال ما الشك الجواب هو تردد النفس بين الاثبات والنفي يقال ما الاتيان الجواب تجاوز
يقال ما اليقين الجواب مطابقة العقل معقوله يقال ما العلم الجواب وجدان
النفس المنطقية الاشياء بحقائقها يقال ما الحكمة الجواب هي حقيقة العلم بالاشياء
القائمة ووضع كل شيء في موضعه الذي يجب ان يكون في هذا الموضع فقط يقال ما التمييز
الجواب هو جمع القضايا واستخراج النتايج ويقال ما العزم الجواب الراي على العقل
يقال ما اليقين الجواب سكون الفهم مع ثبوت القضية ببرهان وايضا هو وضوح
حقيقة الشيء في النفس يقال ما المعرفة الجواب راي غير زايل والراي هو الظن
مع ثبات القضية عند التادى فهو اذن سكون الظن يقال ما الجزم الجواب هو

قوة يحدها قوة القدرة بارادة الامور مع سكون الظن بعواقبها يقال ما الوهم الجواب هو الوقوف
بين الطرفين لا تترجح في احدهما القضية الصادقة يقال ما التوهم الجواب موافقة الظن العقل
من غير اثبات حكم يقال ما التصور الجواب هو حصول صورة الموجودات العقلية في النفس
يقال ما الذكر الجواب هو سلوك النفس الناطقة الى تخليص المعاني ومعرفة ماهياتها يقال ما الحفظ
الجواب ثبات صور المعقولات والمحسوسات في النفس يقال ما الحس الجواب هو قبول
صور المحسوسات دون موادها يقال ما التخيل الجواب هو حصول صور المحسوسات بعد
مفارقتها او زوالها عن الحس يقال ما الادراك الجواب هو تصور نفس المدرك بصورة
المدرك يقال ما المعرفة الجواب هي ادراك صور الموجودات بما يتميز عن غيرها وهي
المحسوسات التي لانها تحصل بالرسم والرسوم ماخوذة من الاعراض والخواص والعلم
بالمعقولات التي لانه يحصل بالحدود والمعاني الثابتة للشيء يقال ما الاستقص
الجواب هو ما يكون منه الشيء ويرجع اليه منحلا منه الكائن بالقوة يقال ما الصورة الجواب
هي التي بها الشيء هو ما هو يقال ما المكان الجواب هو حيث التقى الافقان المحيط والمحاط
به وايضا هو ما بين سطح الجسم الحاوي وانطباقه على الجسم المحوي يقال ما الزمان الجواب
مدة تعدها الحركة ثابتة الاجزاء يقال ما الجرم الجواب ماله ثلاثة ابعاد طول وعرض و
عمق يقال ما الكثرة الجواب هو انفصال الهيولى باقسام كثيرة عظيمة القدر يقال
ما الخلاء زعم الجواب اصاف نهايات الجسمين بجسم ثالث بينهما يقال ما الاجتماع الجواب
حال تقارب الاجسام بعضها من بعض والافتراق تباعدها يقال ما الحال الجواب كيفية
سريعة الزوال يقال ما الاتصال الجواب هو اتحاد النهايات والانفصال تباين المتصلات
يقال ما الرطوبة الجواب علة سهولة انحصار الشيء بذات غيره وعسر انحصاره بذاته وايضا
هو الكيفية التي لا تحيط بشكل الجسم الذي هو فيه على شكل محدود ولا يمنعه ان يتشكل
بشكل ما يحيط به بسهولة يقال ما اليبس الجواب علة انحصار الشيء بذاته وعسر انحصاره
بغيره وايضا هو الكيفية التي تحفظ شكل الجسم الذي هو فيه وحتى لا يتشكل بشكل ما يحيط
به بسهولة يقال ما البرودة الجواب جمع الاشياء التي من جواهر مختلفة والتفريق بين التي
هي من جواهر واحدة يقال ما الحرارة الجواب علة جمع الاشياء التي هي من جوهر واحد و
تفريق الاشياء التي هي من جواهر مختلفة يقال ما المؤلف الجواب المركب من اشياء متفقة
بالحس مختلفة بالحد يقال ما الروية الجواب هي التمثيل بين خواطر النفس يقال ما الفعل
الجواب تاثير في مؤثرات للتاثير وايضا هو الحركة التي تكون من نفس المحرك والقابل
عنه يقال ما الاختيار الجواب هو ارادة تقدمتها روية مع تمييز يقال ما التحديد
الجواب جمع ذوات مختلفة الحدود واحدة يقال ما النفع الجواب الشيء المتشوق من الكل
يقال ما السمة الجواب هي لفظة عمل ما يفصله الكتاب يقال ما المدخل الجواب هو قول
يفصل المعاني ما يحتاج اليه في معرفة ما هو مدخل اليه يقال ما المنطق الجواب يقال هو
صناعة اداة يتميز بها بين الصدق والكذب في الاقوال والحق والباطل في الاعتقادات
والخير والشر في الاحوال يقال ما الصناعة الجواب بالاطلاق هي قوة للنفس فاعلة بامعان

مع تفكر وروية في موضوع من الموضوعات بنوع من الاعراض يقال ما التصديق الجواب
قوة مركبة من الحق يقصد بها العدل والحق يقال ما اليقظة الجواب هي استعمال النفس الناطقة
لاستعمال آلات البدن مع غير مرض عارض وللانسان على طباعه يقال ما الحياة الجواب هي
رباط الحركة وحس وعقل ونما وتربية والموت ضد ذلك يقال ما الشجاعة الجواب هي
قوة مركبة من العز والغضب تدعوا الى شهوة الانتقام الجبن ضده يقال ما الفرح الجواب
هو انبساط النفس من داخل الى خارج على المجرى الطبيعي الخوف ضد ذلك يقال ما الجود
الجواب الذي لا يمنع ما يتخيل في وهمه تخيلا ضعيفا من غير نظر ولا فحص والغيظ هو ابتداء
الغضب يقال ما الركين الجواب هو الذي يكون الغريزة منه مع تمييز وتفكر يقال ما
الحسود الجواب هو الذي لا يحب لاحد خيرا ويجتهد في الاضرار بهم وبنفسه كي يحتج بهم
بذلك مكروه يقال ما الدخل الجواب هو حقد يقع معه رصد الفرصة والانتقام يقال
ما الحقد الجواب هو غضب يخفى في النفس على وجه الدهر يقال ما الغضب الجواب هو غليان
دم القلب لشهوة الانتقام وهو الحركة لقهر ما اضر بالبدن يقال ما العجب الجواب هو ظن
الانسان بنفسه انه على الحال التي يجب ان تكون عليها من غير ان تكون عليها يقال ما الرضى
الجواب هو قناعة النفس بما كانت غير قانعة يقال ما الحياء الجواب هو خوف الانسان
من تقصير يقع من هذا فضل منه في شيء ما او في كل شيء يقال ما الاستطاعة الجواب
هو التهيؤ لتنفيذ الفعل بارادة المختار من غير مانع ولا عائق يقال ما الشهوة الجواب
هي التشوق على طريق الانفعال الى استرداد ما نقص بما في البدن والى نقص ما زاد فيه
لانا نريد بالانفعال انه شيء يجري على خلاف ما يجري به الامر الذي هو بالتمييز والفكر يقال
ما المحبوب الجواب هو مطلوب النفس ومتمم القوة التي هي علة اتحاد ما من شانها ان يتحد
يقال ما الوقت الجواب هو بقاء الزمان المفروض للعمل يقال ما البصر الحقيقي الجواب
هو اتصال النور النفساني بنور الشمس بتوسط الهوا يقال ما الحد الجواب هو قول دال
على طبيعة الشيء الموضوع بمنزلة ما هو سواه يقال ما الرسم الجواب قول مميز الموضوع
من غير مركب من صفات عرضية اكثر من واحد يقال ما الخاصة الجواب هي كالرسم الا
انها من صفة واحدة عرضية يقال ما الانسان الجواب هو ناطق مايت فالحي دلالة على
الحس والنطق والحركة والناطق دلالة على العقل والروية والمايت دلالة على السيلان
والاستحالة يقال ما الممكن الجواب هو الذي بالقوة تارة وبالفعل فيما يوصف تارة يقال
ما الممتنع الجواب الذي ليس بالفعل ولا بالقوة فيما وصف به ابدا يقال ما القول المطلق
الجواب ما لا يثبت بثبات آخر يقال ما الكيفية الجواب ما هو شبيه وغير شبيه يقال
ما الكمية الجواب ما احتمل المساواة وغير المساوات يقال ما الصدق الجواب مطابقة
القول لما عليه الامر ويقال ايضا الاخبار عن الشيء بما هو عليه يقال ما الكذب الجواب
لا مطابقة القول عليه الامر وايضا الاخبار عن الشيء بخلافه يقال ما الحق الجواب هو
ما وافق الموجود وهو ما هو يقال ما العنصر الجواب هو طبيعة كل ذي طبيعة يقال
ما الهيولى الجواب قوة موضوعة تحمل الصور منفعلة يقال ما الجوهر الجواب هو القائم

بنفسه الحامل للاعراض لا يتغير ذاته موصوف لا واصف يقال ما النفس الجواب تمام جوهر
ذي الة قابلة للحياة وايضاً هي جوهر عقلي متحرك من ذاته بعدد مؤتلف وايضاً هو جوهر علامة
مؤلفة بالفعل يقال ما العقل الجواب جوهر بسيط يدرك الاشياء بحقيقتها لا بتوسط
زمان دفعة واحدة وايضا هو الذي من شان الجزء منه ان يصير كلاً وفي معنى هذا القول
من شان عقل زيد مثلا وهو عقل جزئي ان يعقل كل المعقولات التي من شانها ان يعقل ان
يقصر بها الزمان او يعترض عائق وليس شيء من الموجودات له هذا المعنى سواه يقال ما القادر
الجواب هو الذي تنفذ ارادته فيما له بالقوة العاجز ضد ذلك يقال ما الفعال للخير الجواب
هو الذي لا يبخل على الجد في شيء من الاشياء يقال ما الازلي الجواب الذي لم يكن ليس وما
لم يكن ليس لا يحتاج في قوامه الى غيره والذي لا يحتاج في قوامه الى غيره لا علة له يقال
ما القائم بذاته الجواب هو الذي حده داخل فيه وما ليس هو قائما بذاته هو الذي حده خارج
منه يقال ما العلة الاولى الجواب مبدع الكل متمم الكل غير متحرك وايضا بينه
فقط وايضا خير محض يشتاق كل شيء سواه ولا يشتاق الى شيء سواه وايضا هو وجود مطلق لكل
وجود عقلي وحسي وايضا الواحد بالقول المطلق لا كالجنس الواحد ولا كالشخص الواحد يقال
ما النفس ايضا الجواب روح الاله منبجسة بتوسط العقل يقال ما الحس الجواب قوة روحانية
يفعل فعلها من خارجها ما الحركة الجواب هي على ثلثة اوجه مستوية ومستديرة و
منفرجة يقال ما الطبيعة الجواب صوره عنصرية ذات قوى متوسطة بين النفس والجرم
الجامد وحركة وسكون عن حركة يقال ما السماء الجواب جوهر مستدير مركب متحرك حركة
شوق دائمة يقال ما الفرح ايضا الجواب انبساط الطبيعة من داخل الى خارج و
الطبيعة هنا الحرارة الغريزية والحزن انقباض الطبيعة من خارج الى داخل يقال ما النوم
ايضا الجواب غوص القوى في عمق النفس يقال ما الارادة الجواب هي بدء حركة قوة
مسلطة نفسانية عن فهم يعم الشوق يقال ما اللذة الجواب انطباق الشهوة الطبيعية
من النفس بلا مانع يقال ما الكل الجواب هو جوهر محيط بالاجزاء لا تحصر له هذا
اخر القائمة التي اتت على حدود هذه الاشياء وهي وان كانت تحتمل التحقيق
فبعض المطالبة والاعتراض ببعض الاستقصاءات قد حوت معاني غريبة وطرقا واضحة
وقد كنت عرضت اكثر هذا على ابي سليمان وعلى غيره فما اصبت عند احد منهم ما يحكي الا ما قاله
جماعة من النحويين فانهم جرحوا الكلمة كلمة بعد كلمة منها من ناحية الاعراب والصوغ فاعدت
على ابي سليمان ذلك فقال انا استقامت لك عمود المعنى في النفس بصورته الخاصية
فلا تكترث ببعض التقصير في اللفظ قال وليس هذا ان هذا مني في تصحيح اللفظ واخلاقه في
الترويق وتحبير البيان ولكن اقول متى جمع اللفظ ولم يوات واعتاص ولم يسمح فلا تفت
نفسك خصائص المطلوبات وغايات المقصودات فلان تحسر صحة اللفظ الذي يرجع
الى الاصلاح اولى من ان تعدم حقيقة الغرض الذي يرتقي الى الايضاح ولولا هذا
الذي قاله هذا الشيخ لما اخترت نحو هذه الحدود على ما عرفتك من اعلائها واطراد
القول عليها ومن بحر الحكمة تدفقه فقد اوتي فضلا كثيرا وفاز فوزا عظيما واحرز ملكا

كبيرا

مقابسة اخرى ٩٢

قال ابو سليمان انما صار العلم والمعرفة واليقين والفضائل باسرها قليلة في هذا العالم لشرفها في انفسها واتصالها بعالمها وهكذا العزة كل شيء شريف في نفسه وعزيز في جوهره انظر الى المعادن في الارض والى محلتها اذا تدبرت ساير الاجسام ثم انظر الى قلة الاشرف منها وهو معدن الذهب ثم انظر الى بخل المعدن بما فيه الا المستحق بالطلب والجهد والمعاناة والكدح وهكذا المعارف والفضائل تعرف في هذا الجناب لانها ينبوا عنه فلا يقر فيه ولا يانس به فعلى هذا كلما اشتهر وفشا وكثر فانما ذلك بمعونة الطبيعة وكثرة المادة وغلبة الهيولى ولاختلاف النفوس باصناف الزبرج والسرمه فاما كيفية النفس وارتضاء العقل واثارة الفكر وكان من باب الحقايق واليقين والطمانينة والسكون وروح البال وطيب النفس فانما ذلك بمعونة العقل واتصال جوده وغزارة فيضه وغلبة سخفه وتعهد البادي الذي اليه ينتهي القول والوهم وعنده يقف النثر والنظم وعليه يشتد اللهف والذي هو الكل المستولي على الكل

مقابسة اخرى

قال ابو سليمان انما عرض الاختلاف من الناظرين في العالم اقديم هو ام محدث لامر لطيف وذلك ٩٣
ان الناظر الى المركز وجد الشيء الكائن ثم وجد الشيء الفاسد يحكم ان الحدوث والقدم قد تعاقبا عليه قدم الزمان وحدوث ايضا بالزمان فلاي الحكم بانه محدث واجب والناظر الى هذه الاجرام العلوية وجدها لا يكون ولا يفسد ولا يعتريه دثور فحكم بانه قديم وكان النظران صحيحين من الحسين الى المقتبس والشرف على الحقايق وهو الذي يقضي بالواجب لانه يبني السفلى الى العلوي ويبتدي النظر من العلوي الى السفلي فعند هذا التصفح والاستبانة يحكم بالحق ويقول قديم بالسوس حديث بالتخطيط وكيف لا يكون كذلك واثار الصورة فيه ظاهرة واثار الهيولى فيه حاضرة فاثار الهيولى هي التي درست وعافت وبادت وانتثرت واثار الصورة هي التي ثبتت واستمرت وبقيت وشرفت وحسنت ولطفت وظاهر هذا عند من لا دربة له بهذا البحث متناقض وانه قد جمع في هذا الحكم بين السلب والايجاب ٩٤

مقابسة اخرى

قال ابو زكريا الصيمري عند ابي سليمان في مذاكرة طويلة ان كانت النفس واعتبار حالها بمنزلة الدرة في الحقة والجوهرة في عمق البحر وما اشبه ذلك فليست النفس في حكم البدن ولا حالها الا كحال الكاين الفاسد لان الدرة ليست في الحقة التي هي فيها والغشاء الذي هو عليها في شيء وان كان كالبصل وقشوره فهي بائدة لا بقاء لها ولا خير فيها وفي المنكر ان يكون مع خواصها الشريفة وعجايبها الغريبة في حكم السائل الذي دثر والدارس العافي وقد انت الفلسفات الاول على تفريطهم في تحقيق شان النفس واثبات امرها وما خصت به دون البدن والمزاج وتوابعها ولواحقها ولا وجه للولوع بالاكثار فان ذلك ربما جر الى التعصب وحمل على الاعتذار وهذا علم كلما قلت الحروف فيه كان المعنى بها اتم واخلص وكلما كثر اللفظ كان ما يراد به ويعني فيه انقص وليس كذلك باقي العلم والسبب في ضيق هذا العلم انه بحث عن حقايق الموجودات وقصد الى اعيان المعقولات والخصايص عرية من العلل والشبهات بعيدة من الشكوك والمعارضات غنية عن

التاويلات والاحتمالات لانها تصون اعراضها عن زخارف القول وترتفع عن مواقع الاستعارة
والغلط والتجوز والاتساع ولهذا ما اتساع نظرهم الى حصر الموجودات في داير العشرة حتى جعلوا الجوهر
والكم والكيف والمضاف والاين وكذلك متى والواحد له وينفعل وينفعل وفصلوا خواصها
وحققوا احدودها واوضحوا علاماتها واستوفوا جميع احكامها المفصلة بين المعاني
اللفظية والحقايق الالهية والخواص الطبيعية والمناسبات الكلية والجزئية وفي ضمن
هذه الكلمات الشريفة الحاوية لكل ما علا وسفل معنى هو الجنس الاعلا ومعنى هو النوع
الاقصى ومعان بينهما اذا اضيفت الى ما علا منها كانت انواعها واذا اضيفت الى ما سفل
عنها كانت اجناسها ولما فاتت ساير العلماء هذا البحث تاهوا واضطربوا وحاروا واحترقوا
وصار ذلك ثبوتا للعداوة وسببا للاختلاف وبهذا النظر ايضا عرفوا القوى الاول
من النفس الاترائهم اذا امتوا شيئا بالباقي كيف يعنون به الجسم المتنفس اي الذي له
جملة القوى النفسانية القوة المولدة وبها تكون المثل والقوة المربية وبها تكون
البقاء والقوة الغاذية وبها تكون الزيادة وبهذا النظر استعملوا من العقل ما الشيء الذاتي
وما ذلك الذي ليس بذاتي وما الكلي وما الجزئي وما المحمول والموضوع وما الصور الخالصة
وما الاعيان والذوات والمواد وما المعاني المنطقية التي انما تضيف الاضافة وكيف
حصل معنى به عم الحيوان الذي هو جنس للثور والفرس والانسان وكيف حصل الناطق الذي
هو فصل بين الانسان والفرس حتى تميزت الاشياء بالجنس والنوع والخاصة والعرض
ماهو بالموضوع وما هو بالطبع وما له مبدأ وما له من المبدأ وما علته
فيه وما علته سوا وما لا علة له علة لما هو اول في العقل وما هو علة في النفس وما
هو اول بالطبيعة وما هو اول بالزمان وما هو اول بالدهر وما هو اول بلا سبب اعني بالاطلاق
وما هو بسيط وما هو ممزوج وما هو حق وما هو باطل وهذه تلاع لا يرتقيها الا الاقوياء
الاصفياء ونجود لا يركبها الا السعداء الفضلاء وانا اعتذر من انشقاق الكلام فهذا
الموضع وتصرف الحديث به مع تباعدي عن كثير مما هو اولى بي وانفع لي ولكن الكلام
صوب لا يملك اذا هطل ودعنان لا يحصر اذا انتشر وسمي يتبعه الولي وخيره ما كان
عفوا وشره ما كان تكلفا ولست اموه هذا بلاغة البلغاء ولا خطابة الخطباء وذلك
شان عن غير هذا المحكم لانه ملحوظ بالهذر ودربما يستغنى عنه في الاكثر وانما اعنى
ما يطبق الفصل ويحقها ويجيئها بالمعنى وياتي على المراد ويشفي غليل النفس ويهدي
اليقين فذاك كالعرض لا ثبات له ولا سكون معه وقد يعرض ايضا في تحقيق المعاني
وتحصيل الاعراض بعض التجوز والسعة ولا يكون ذلك معتمدا بالقصد الاول ولكنه
يكون كالثوب الذي لا يعرى عن مجاورة الامر الذي لا يخلوا من ضده وكيف يصدر عن
الانسان المركب الممزوج بان لا عيب فيه او كيف يصح له فعل لا عتب عليه به وانما
يصدر عن المركب مركب مثله ومن الممزوج ممزوج شبيهه ولكن بين المركب والمركب
بسيط وبين الممزوج والممزوج مصاف وبين المعقول والمعقول صلات وبين المظنون
والمظنون فنون تشير الى اليقين فما احرى من فتح الله بصره وايقظ نفسه ان يعترف

بنعمته عليه ويبشرها فوهب له وقد رويت في هذا المكان عهداً وجدته لبعض اصحابنا كتبه بيده وكان تذكرة نفسه وبالخير لسانه ومشهد طرفه وهو بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليه الله فلان بن فلان وهو يومئذ امرء في سربه معافاً في جسمه عند قوت عمره لا يدعوه الى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولا بدن فلا يوال لخلوة ولا يجتلب منفعة من الناس ولا يستدفع مضرتهم عاهده على ان يجاهد نفسه ويتفقد امره ما استطاع فيعف ويشجع ويحلم وعلامة عفته ان يقتصد في مآرب بدنه حتى لا يحمله السرف على ما يضر جسمه او يهتك مروته وعلامة شجاعته ان يحرب دواعي نفسه الذميمة حتى لا يقهره شهوة قبيحة ولا غضب في غير موضعه وعلامة حكمته ان يستبصر في اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة ليصلح اولاً نفسه ويهتدي بها ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التي هي العدالة بذكره ايثار الخير على الشر في الافعال والحق على الباطل في الاعتقادات والصدق على الكذب في الاقوال هي ذكر السعادة وان تحصيلها يكون باختياره انما ذكر الجهاد الدائم لاجل الحرب الدائمة بين المرء ونفسه التمسك بالشريعة ولزوم وظايفها حفظ المواعيد حتى ينجزها واول ذلك ما بيني وبين الله عز وجل قلة الثقة بالناس بترك الاسترسال محبة الجميل لانه جميل لا لغير ذلك الصمت في اوقات حركات النفس للكلام حتى يستشار فيه العقل حفظ الحال التي تجيء شيء شيء حتى يصير ملكة ولا يفسد بالاسترسال الاقدام على كل ما كان صواباً الاشفاق على الزمان الذي هو العمر ليستعمل في المهم دون غيره ترك الخوف من الموت والفقر تحمل ما ينبغي وترك الدنية ترك الاكتراث لاقوال اهل الشر والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم ولا انفعاله لهم حسن احتمال الغنا والفقر والكرامة والهوان بجهة وجهة ذكر المرض وقت الصحة والهم وقت السرور والرضى والغضب ليقل الطغي والبغي قوة الامل وحسن الرجاء والثقة بالله تعالى فاذا يسر الله تعالى اصلاح نفسه بما جاهد عليه تفرغ بعد ذلك الى اصلاح غيره وعلامة ذلك انه لا يبخل على احد بنصيحة ولا يمنع احداً رتبة يستحقها ولا يستبد دون الاخيار بما يتسع له فاذا اكمل الله ذلك ورفع عنه العوائق والموانع وبلغه ما في نفسه من هذه الفضائل يصير بها من اوليائه الفائزين وانصاره الغالبين وعباده الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقد استجاب له محمد الى كل ما دعاه به ووثق بعد ذلك الى ملجأ الى كل ما وكله الى جوده من اعطائه ما لا يحسن ان يرغب فيه واعادته مما لا يحسن ان يستعيذ منه وهو حسبه وعليه توكله ولا قوة الا به وهذا آخر العهد وهو غني عن تقريظي ودلالتي على حسنه لظهور الحق عليه لمن جعل هذه كسائر صدره وعقيدة سره ووسيلة بينه وبين ربه هو الفيلسوف الحق المبرز المحقق

مقابسة أخرى ٩٥

رويت لابي سليمان كلاماً لبعض الصوفية فلم يفكه ولم يهش عنده وقال لو قلت انا في هذه الطريقة شيئاً لقلت الحواس مهالك والاوهام مسالك والعقول ممالك فمن خلص

نفسه من المهالك قوي على المسالك ومن قوي على المسالك اشرف على الممالك شرفا يوصله الى المالك

قال ابو الخطاب الكاتب ايها الشيخ هذا والله احسن من كل ما سمعناه منهم فلو زدتنا منه فقال

الحواس مضلة والاوهام مزلة والعقل مدلة فمن اهتدى في الاول وثبت في الثاني ادرك في

الثالث ومن ادرك في الثالث فقد افلح ومن ضل في الاول وزل في الثاني خاف ومن خاف

في الثالث فهو من الهمج واستزاده مظهر الكاتب البغدادي فاستعفى وقال هذا حديث

قوم ابا عدهم منا على بعض المشاكلة قلنا وما قلنا كاف فيما قصدنا فان استتب خفت العار

واستحييت النار ولكل افق يدورون عليه ومركز يطمئنون اليه وحجر يتسقون فيه

وفنن يقطفون منه ولولا هذه اللطايف التي هي شعلة النفوس لكانت الفوارغ والناقصة

لكانت الصدور تشرح باسا والعقول تحير باسا والارواح تزهق كمدا والاكباد تتفتت صمدا

فسبحان من له هذه القدرة وهذه الخليقة وهذه الاسرار في هذه الطريقة

مقابسة اخرى

هذه مقابسة ضمنتها كلمات نافعة كانت متفرقة في ديوان الحفظ ولم ينسبها الى شيخ

واحد لانها كانت تجري في مجالس مختلفة وهذا موضع يقتضي حصولها فيه لتكون

مجاورة لاخواتها وداخلة في جملة ما لاق بها وفي النفس بعد هذا جمع النوادر للفلاسفة

مع التصفح والايضاح ان اخر الله مهلا لا بد منه واعان على اظهار ما يحدث النفس به يكون

شرف الجامعة ونافعة للظافر به وغنيمة للطالب لم يرده تسهيل ما عسر وهو ولي الحمد

في الاول والاخر لكل زمان قايد ولكل طاير صايد وما كل تربية تصلح للعقبان وما

كل طبيعة تحتاج الى برهان وقال الحق بين منهاجه ومنير سراجه ومعقول بيانه ومعلوم

برهانه من استضاء به افلح ومن سلك سبيله انجح قال قائل انواع الاختلاف

ستة الاضافة والتضاد والقنية والعدم والايجاب والسلب والمضاف مثل

الضعف والنصف والتضاد مثل الصالح والطالح والقنية والعدم مثل البصر والعمى

والموجب والسالب مثل فلان جالس فلان ليس بجالس قال قائل لكل صانع صناعة ولكل

تابع طبيعة ولكل مدبر تدبير وما كل صانع حكيم وما كل طابع كريم وما كل مدبر مصيب

ولكل انسان لسان ولكل لسان سنان وليس لكل لسان سنان ولا لكل بيان برهان

وما كل ذي قلب بلبيب وكل انسان ذو نطق وما كل ذي نطق بلبيب وكل انسان ذو نفس

وما كل ذي نفس باريب وكل انسان ذو حس وما كل ذي حس بلطيف وكل انسان ذو عقل

وما كل ذي عقل بعاقل وقال اخر ما ترى هذا الرباط المعقود والسرج المشدود

والافق الممدود والمركز المهود والحد المحدود وقال اخر التعليم الهندسي صناعة

من الصناعات العقلية والانسية وتقع بحثها على المقادير والابعاد والاشكال

والزوايا وما يقع تحت كل مقدار وبعد من الزوايا الخطية والسطحية والجسمية وقال

الهندسة صناعة معرفة المقادير وطبايعها وحدودها وخواصها وما يقع تحتها

من اجزائها واشخاصها والمقادير هي الاشياء ذوات الابعاد وهي ثلاثة طول وعرض

وعمق والمقدار الخطي بعد واحد وهو الطول والمقدار السطحي بعدان وهما

الطول والعرض والمقدار الجسمي ذو الاثنة ابعاد وهي الطول والعرض والعمق فالجسم المقدار الثلث
وقال قائل اذا غاص الانسان في البحر واستخرج درة فيها غناه فقد حاز سعادته وملك رادة
لانه ليس من شرط الغائص ان يستخرج جميع ما في قعر البحر من الدر والجوهر فان طالب
هذا مغرور دعاوي مختل ولكن اذا حصل له الغنى بدرة واحدة خاصة اذا كانت ثمينة فقد كفى
واغنى وهذا معناه على ما سبق الى الفهم اي لا يلجج بالاستكثار من العلم والتوغل في فنونه و
كذلك في السير المختلفة والاحوال المتباينة فان الرشد اذا اصيب والغبطة اذا نيلت والخير
اذا وجد فقد سعد المرء ونجا من العطب وان فاته وراء ذلك جميع ما هو داخل في باب الخير
وموجود في ناحية الزيادة ولعمري ان الاجتهاد حسن وطلب الاقصى شجاعة ولكن الغاية
المتوخاة موهومة ولا سبيل الى بلوغها والذي يجب بذل الاستطاعة وقلة الرضى بالقصور
ومصارفة الزمان بكل حال وما احسن ما عبر بهذا المعنى بعض الموفقين حين قال انا
نحرص على بلوغ الغاية لبعد السفر لانه لا راحة دونها ونشح على ساعات العمر لقصر
المدة لانه لا عمل بعدها وهذا كلام عال وينبغي ان يكون الحرص نقيا من الكلب والاجتهاد
بريا من التعب المؤدي الى العطب وقال آخر انما انت لب في قشر فاحفظ لبك بصيانة
قشرك ولا تصن قشرك باضاعة لبك واعلم انك ذو لب واحد وذو قشور
كثيرة وتنقيتك من قشورك صعب وقيامك بلبك اصعب والامر الاهم يجب
ان يتم هو ان نداءك قشرا بعد قشر حتى اذا وصلت الى القشر الحافظ للب استعففت
عليه وستستر ليبقى لبك مصونا في قشرك فان خرابك لهذا القشر باب الى التواء وجاب
الى الفساد وستنقشر عن ذلك في التالي على حسب ما هيبة من هو اولى بك واقدر
عليك وانفذ حكما فيك وهو الذي نظمك وانت بدد وجمعك وانت مفترق ونظرك
وانت مغيب واوجدك وانت عادم واقدرك وانت عاجز واهلك وانت ساه وانبهك
وانت راقد ولاطفك وانت جاف والفك وانت متناف وقادك الى حظك وانت
كاره واتاح لك الخير وانت بائس واعلى بهذا حظك وانت كاره وعلى هذا نظائر لا يحصى
ولطائف لا تستقصى فهل يبقى لك بعد هذا حجة او متعلق

٩٧ ## مقابسة اخرى

هذه مقابسة افادها من مواضع مختلفة من اعيان كلام الاوائل بالترجمة المنقولة اليها
وهي وان كانت محتاجة في بعض حروفها الى تفصيل وشرح فانها صالحة الفوائد كثيرة
المحل ولعلها تتعلق ببعض ما يكون ايضاحا لها عند الرواية ان نظائرها قد مرت
شافية بالبيان مستوفاة بالبرهان والقليل من هذا الفن كثير والصغير كبير
فاول ذلك قال بعض الاوائل الكرم والنبات المشتبه به اذا اخذ منه الجزء نبت
من قضبب الكرمة والتفاحة والرمانة فان هذا منه ما نبت ومنه ما لا ينبت الا
في اصله وعلة ذلك لان صورة الكرمة وما اشبهها غالبة على صورتها فلا تنمى ولا تنبت
الا بالاصل الذي يجتمع فيه القوى الطبيعية وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة
وقال ايضا النفس والعقل صورتان يحملها الواحد منهما فاذا تمت تلك الصورة

امكنها اعطتها النفس تمام ما قنيات لم فيكون اول الطبقات الانفس وهي النامية ويكون
في الحيوانية ولا تكون في الانسانية وتمام الشيء الذي انبعث من الشيء الخالص المحض الذي لا هيولى
له ان ينتسب اذ ليس للهيولى بالشيء الذي انبعث منه على قدر احتماله فتصير له مثال حقيقي
وصنم مشتبها الطيف من الانفس اما قلة منها وغير العاقلة وقال قائل لم كان للعقل ثلاث
جهات جهة الى ذاته وجهة الى المعقولات وجهة الى الباري فقيل لان جهته الى الباري هي التي
جعلته عقلا اولا ثم نظر ما اليه انما هو استمداده من الصورة التي صورت فيه بل بما
لانه وقع فيه جميع الصور فاستمداده ليس بزيادة صور لم يكن وكانت ولكنه ليبقى ويقوى كما
يستمد الهواء من نور الشمس فهو مزداد من غير صورة تحدث فيه كذلك النفس انما تستمد
من العقل الصورة هي على حالها وكذلك الطبيعة تستمد النفس ويقوى بها ولكن اشراقها
عليها يبقي قواها ولولا ذلك لضعفت وانتقصت وقال لنا علمان احدهما علم محض
كعلمنا بالاشياء الاوائل بلا روية ولا فكر كما نعلم ان عدد كل زوج او فرد فانه لا يمكن
ان يكون الشيء الواحد في حالين مختلفين كالانسان لا يمكن ان يكون قائما قاعدا معا
وكعلمنا ان كل متحرك من ذاته دائم الحركة وكقولنا كل دائم الحركة بجوهره دائم الحياة ولنا
علم فكري مثل علم القياس الذي يستنبط منه الشيء من شيء آخر كقولنا الانسان حي والجوهر
حي فالانسان اذن جوهر وقال قائل اذا قويت الهيولى علينا لم نقو على وجدان الذي
فينا الا بطلب وبحرص وبشم وغوص فاذا استولينا نحن على الهيولى يجد ان الشيء باهون
السعي لا بالجوهر اذ كنا نحن نعقل العقل الاول وكانت الاشياء فيه وهي هو فكيف يمكن
ان نذكر الاشياء والاشياء فينا والتذكر انما يكون في اثنا الاوقات لانا ننسى في وقت
ونذكر في وقت آخر وهناك الدهر لا الوقت وقال الفيلسوف الذكر انما هو حركات الفكر
على الوهم الجاري حتى يرد ما في خزانته على ما كانت الفكرة تحركت به وقال قائل
الفكرة انما تقع على الشيء المفقود والعلم يقع على الشيء الموجود والاشياء في العقل
الاول حاضرة ابدا وقال اذا اردنا ان نختبر بانفسنا فان نعلم العلوم الشريفة
حرصنا على تعارف انفسنا الهيولانية فنكون كانا نصير خالصة تردنا تمام فاذا رأينا
ذاتنا استفدنا منها علوما شريفة وكنا نحن الناظر والمنظور اليه والعالم والمعلوم
وقد قيل لارسطوطاليس لم نذكر العالم العلوي ومنه هبطنا الى هذا العالم فقال انما صرنا
لا نذكر العالم العلوي لانا صرنا في هذا العالم الحسي واختلطنا بالاشياء الهيولانية
وفارقنا ذلك العالم لانا لا نقدر على ان نكون هناك وفينا الطين من الاشياء الهيولانية
تصيرنا كانا لم نصر هناك لاستيلاء علينا وصرنا كانا انما بدينا من هذا
العالم لشدة ميلنا اليه والى الآثار التي كانت منه فان هذه الاشياء الهيولانية انما هي آثارنا
وذلك ان كانت النفس هي التي اثرت الآثار الحسية بعرفها العقل وتسديده اياها وكنا
نحن العقل فلا محالة ان هذه الآثار انما هي آثارنا ولخلطنا بها كنا اذا انا مكونين
وكانا آثار من آثارنا وانما هي آثار لا نحن من آثارها وقال انما صرنا لا نذكر ذلك
العالم لانا قبل ان نصير في هذا العالم لم نكن اصحاب ذكر وذلك ان الاشياء هناك

حاضرة ظاهرة وليس هناك مستقبل ولا ماض بل كلها حاضرة بحضورها الآن عندنا فلذلك
لم نكن نحتاج الى الذكر لانا لم نكن من ابناء الزمان بل الزمان من ابنائنا لانا كنا في حيز الدهر
نحيث الدهر فليس هناك تذكر البتة دائماً نحتاج الى التذكر في الاشياء الزمانية التي تكون
مرة وقد لا تكون مرة فحيث المنا هناك التذكر فاما الموضع الذي ليس للني فيه مساغ فليس
هناك تذكر وقال ايضا الاشياء التي علمناها لم نعلمها في وقت من الاوقات فنحتاج
الى ان نذكرها بل قد علمناها بنوع الدهر لا بنوع الزمان وقال ايضا انا قبل ان نتلطخ
باوساخ الهيولى ونحن في العالم الاعلى كنا علماء ولم نكن اصحاب ذكر ولم نكن نحتاج الى
ان نذكر ما قد علمنا لان الاشياء قد علمناها حاضرة تحت ايدينا لا يغيب عنا منها شيء
ولا يستتر وقال كل اثر لزمنا في هذا العالم الحسي فانه لا يلزمنا في هذا العالم العقلي مثل
النما والحس والوهم والقياس والتذكر وما اشبه هذه القوى وقال الاشياء التي لزمتنا
في هذا العالم فان خلافها يلزمنا في ذلك العالم وذلك ان الذي يلزمنا هاهنا النما
والحس والروية ونحن هناك لا نتمنى ولا نحس ولا نروى فلذلك لا نقدر على ان نذكر ذلك
العالم لانه واقع تحت العلم لا تحت التذكر وكل شيء هناك انما يعلم ولا يذكر لان الاشياء هناك
حاضرة بحال واحدة لم يكن وقت لم يكن ثم كانت لان كان ويكون من باب الزمان والزمان
اثر من آثار ذلك العالم والاشياء التي في العالم العقلي دائمة لا تتغير ولا تستحيل عن حالها
وهي افضل واكرم من الدوام لان الدوام فيها كائن دواما ولم تكن هي دائمة الدوام وليس
الدوام غيرها بل هي الدوام وذلك ان الصفة والموصوف هناك شيء واحد قبل
فلحاجة النفس والعقل الى العلة الاولى قال حاجة المعلول الى العلة فانه ليس من
معلول طبيعي ولا صناعي تنقطع عنه علته الا فسد وباد كالحي فانه اذا فارقته حيا تبدد
وفسد وكالنامي اذا فارقه النما باد وفسد وكذلك الصناعات والتجارات والبنا
وقال العقل الاول يدرك الاشياء بغتة والعقل الثاني ايضا يدركها بغتة اذا كان
متحدا بالعقل الاول ولا يعوقه عنه الاشياء الهيولانية فاذا اعاقته احتاج ان يتوصل
بالمقاييس ويدرك بشيء بعد شيء وايضا العقل الثاني بالوهم هو الذي عليه الاقدار
والمسافات الجسمية وانما كان الوهم ذلك لانه يقبل آثار الجسم فيجسم الاشياء وينكر
الصورة المجردة واما اذا مال الى العقل الاول اتحد به فاذا ادى اليه الوهم الآثار التي قبلها
من الحس علمها علما عقليا والقى عنها الاقدار والمسافات وذلك انه يعلمها علما صورياً
وقال للعقل النفساني طرفان احدهما طرف الوهم والآخر الى العقل الاول فاما اذا مال
الى الوهم كان فكرا وروية لا يلتبس عليه الوهم فيريد ان يتخلص واما اذا مال الى العقل
الاول كان عقلا مدركا بلا روية ولا فكر ولا برهان فالفكر انما هو العقل الوهمي
والعقل النفساني المدرك بلا وهم ولا فكر ولا يقدر الوهم على ان يتوهم شيئا بلا اشكال
ولا مقادير وقال الفيلسوف العقل وحده لا يموت اراد بذلك ان يميزه من قوى
النفس النامية والحسية لان الحس والنما يضمحلان لان النفس تستفادهما من العالم
الهيولاني واما العقل فلم تستفده من هذا العالم وكذلك يعني قال فرفوريوس

وهو المفسّر ان هذا المرء الفاضل قال في كتاب النفس ان العقل النفساني اذا اتصل بالعقل
الاول الذي للعالم كان عاقلاً دائماً ولم يكن عاقلا مرة ومرة غير عاقل فاذا فارق البدن كان احرى
ان تلزمه هذه الصفة ولا تفارقه واما القوى الاخر من الحس والنما والتوهم والفكر فانها كلها
تبطل مع بطلان الجسم وذلك انها اثر النفس في الجسم فاذا ابطل الجسم وفارقته النفس
بطلت هذه واما العقل فليس من قبل الجرم كان ولا من قبل النفس بل النفس كانت
من اجله وصورتها وقال اخر الدسم من حيز الحلو من حيز المر فاما الحريف والمر والعفص
والحامض وبينهما يعني بين الحلو والمر قال و يكاد يكون عدد صور الطعوم مثل
عدد صور الالوان هذه سبعة وتلك سبعة فالطعم حلاوة ومرارة وملوحة وحرافة
وعفوصة وحموضة والالوان بياض وسواد وقتمة وخضرة واسماجونية وشقرة
ولون السما وانكر ان يكون الصفرة منفردة فجعلها بين الشقرة والخضرة وقيل ما
بال الطعم منبعث من الشكل ضد وكذلك في الالوان وليس كذلك في الاشكال لانه لا ضد
لها فقال ان الشكل واحد منه منبعث كل شئ وهو المدور والاشكال كلها ماخوذة
منه لكثرة زواياه وقيل ما بال الشئ ذي الرايحة اذا لم يكن من حيز الغذا فيقال انه الدهن
وما اشبهه لا ينقسم الجنس انما الجنس واحد والشهوة كلها تكون في ذلك الجنس فلا يجذبه
جنس اخر اليه مثل التفاح فانه لا يجذبه اليه حسن الطعم مع حسن الرايحة والشهوة للطعم
مما ينقص رايحته عند الشم واذا كان الطعم وحده لا يجاذب حاسة اخرى كان اقوى له
قال فاما اهل دهرنا فانهم يخلطون قوة الطعم والرايحة يريدون بذلك اجتماع اللذتين
فاذا كان ذلك كذلك لم يكن الشام الذائق يجد ما يجده الذائق وحده ولا الشام وحده
وقال الرايحة الطيبة تصحح الاعضاء وكما ان الغذاء ينميها وقال زعم بعض الاولين
ان الجسد يكون مواتاً وهو هيئة من الهيئات ومقدار من مقادير المزاج ثم يكون
حيواناً اذا تغيرت هيئته ومزاجه وعلى بعض ضروب التغيير وضرب مثلا فقال لم نر
التقط من الات الصناعات تعمل الا هيئة سوى هيئة غيرها من الالات ورايناها لها
اذا فارقتها استحالت الى غير ما كانت عليه كقدوم النجارة ينحت قدوما فاذا قلبت هيئتها
الى المنشار بطلت النحت بها وحدث النشر بها لان ما في الحديدة المصنوعة قدوما او
منشارا امر يسير ولانه اذا زاد على مزاجها او نقص لم تكن الحديدة بالحال التي تقطع بها
فلو ان يبسها افرط لنقصت وكذلك لو اسرف لينها لما مضت فيما تحمل عليه من الابدان
فالمزاج الذي مزج بها طبيعة الحديدة كانت الحديدة ماهية فاجتماع تدبر المزاج والهيئة
تكون الاعمال للعمل وزعموا ان الطبايع الاربع لما كانت بمقادير معتدلة في بدن
الحيوان المهيا بهذه الهيئة القابل للحس كان البدن حيا واذا تغير المزاج وانقلبت
الهيئة كان مواتا ومنهم من زعم ان البدن يكون على تدبر المزاج وهيئة من الهيئات
ليحدث في ذلك البدن عرض تكون حياة ونفسا وضرب مثلا فقال انا لم نر شيئا
مفردا من العالم يفعل بوحدته فاذا ازدوج بغيره نتج فعلا وذلك انا لم نر بردا لحجر
بسيطه ولا حره ولا لونه ولا عرفه ولا طعمه ولا صوته فلما ازدوجت كان الهبوط لها

فعلا قال فلم اتر الانفراد بفعل ورايناالحيوان ركب من اشياء مفرقة قلنا ان الحياة ثمرة افراد
ازدوجت وهي عرض في البدن لان العرض واضع عليها الا انه لايكون ولا يفسد بل الا فساد
للموضوع فلما راينا الحياة تكون وتبطل بلا فساد البدن جعلناها عرضا حادثا في البدن
وضربوا مثلا فقالوا انما مثل في حدوثها بين الانسان كمثل الصوت الحادث بين البدنين المتصادم
او كاللون الحادث من بين بدنين كالسواد الحادث من بين العفص والزاج وكغير ذلك من الاشياء
الالوان والطعوم والاعراض الحادثة من بين الالوان المختلفة ويضاف هذا القول الى بشون
وهذا ظن زايف وراى مضعوف وقد سبق في صدر هذا الكتاب ما يستبان معه تاوه
النفس من البدن واستقلالها بجوهرها وغناها بحقيقتها وانها غير محتاجة الى البدن
الا انها احدث البدن واستعملته وصرفته عن لوازمه واعراضه اللايقة به واما
النفس ذات النطق والعلم والحكمة والبيان والفكر والاستنباط والعقل والنظر فهي اعلا
واشرف من ان يكون لها الوصف بمعونة البدن وارفاده ولا الاسباب الحادثة بالبدن
العارضة له معروفة محصاة وليست تلك من حقيقة النفس بسبب وان كان مجموعا هذا
كله يوجد في الانسان وبالانسان ونعوذ بالله من الخبط في القول والعمل وقال اخوان البدن
يستحيل من حال الى حال فيكون مرة مواتا ومرة حيوانا وضرب مثلا فقال لما راينا
الاجسام تستحيل عن طبايعها وتستحدث افعالا لم تكن لها كالماء السائل يستحيل
جمدا فيبطل سيلانه ويستحدث جمودا وسكونا ويبسا وكالماء يستحيل بخارا
صاعدا بعد ان بدا هابطا وكالماء يغتذي بثمار الازهار ويستحيل دهنا ثم يعود الدهن نارا
عند قلب اناه واغتذائها به فلما لم يكن في طبعه من استحالته الا يستحدث فعلا وانسلخ
من فعل غيره قضينا على ابدان الحيوان بالاستحالة والتكفؤ بين الموت والحياة والحركة
والسكون فقلنا الحي هو الميت مستحيلا والميت هو الحي مستحيلا وضرب مثلا فقال
مثال ذلك عصير العنب يكون عذبا حلوا غير مسكر ثم يستحيل خمرا مرا مسكرا ثم يعود خلا
حامضا مخزيا والعنب واحدة لم تبرح الا انها استحالت فتغيرت افاعيلها لتغير حالاتها
وكذلك البلحة تكون بسرة ثم رطبة ثم تمرة فهذه جملة اقاويلهم في ان النفس ليست بعين
واما من زعم ان النفس عين فانهم اختلفوا في كيفيتها وموضعها وزمانها وحركتها
وسكونها وجميع افعالها فزعم منهم زاعم انها عين سوى البدن ذات موضع يعلم
بمفارقتها البدن وزعم اخرانها في جميع اجزاء البدن النامية وزعم اخرانها ليست
تكون الا في مواضع الحس واحتج اخرانها لا تعلم الا بمفارقة الجسد وقال اخر النفس تعلم
الا صوتا او عرفا او طعما او لونا او لمسا وهذه الاشياء الخمسة لا تقع الا في هذه
الاجزاء الخمسة البقية من البدن وهي العين والانف والاذن واللسان وساير البدن
المحس فلما راينا النفس محتاجة الى هذه الحواس الخمس قضينا عليه بالجهل اذ كانت
مفردة وحدها وقضينا لها بالعلم اذا قاربت البدن وضربوا مثلا فقالوا انما مثل
النفس في حاجتها الى ما ذكرنا كمثل التنور الذي لا يرا الا على بدن لا يرى ذلك البدن الا به
وكالنافخ في المزمار لا يسمع لنفخه صوت الا بالمزمار ولا يسمع للمزمار صوت الا بالنفخ

واما الذين قالوا انها في جميع البدن فانهم قالوا لما رأينا النفس اذا فارقت البدن لا ينمى علمنا ان النفس حيث الاجزاء النامية لذهاب النمو عند مفارقتها وضربوا مثلا فقالوا مثل ذلك النار التي لا تكون الا حيث تجد غذاها فاذا فارقها غذاؤها بطلت فالنار كالبدن والغذا كالنفس واما الذين قالوا لا تكون الا في الاعضاء المحسة فقالوا لما رأينا النفس لا تفارق البدن الا علمت ولم نرها علمت الا في بعض البدن علمنا انها ليست في جميع البدن وضربوا مثلا فقالوا انما مثل اعضاء الحس للنفس كالمغناطيس المجتذب للحديد فهو انفذ بين الحديد والحجر وكمثل النجار الذي لا يحتاج الى الحس لذلك ومنهم من زعم انها غير ذات موضع تغتذى من البدن بما يشاكلها وانها جزء من اجزاء البدن يعلم ببعض اجزاء البدن وتفعل باجزاء اخر فزعموا انها تعلم بالحدقة والصماخ والخياشيم وما اشبه ذلك مما لا يقال له ظاهر ولا باطن وزعموا انها تفعل بالمعدة والرية والطحال والدماغ والدم والمرتين والبلغم من الفواعل التي لا حس لها وزعموا انها تعمل وتفعل بالكبد والقلب والكليتين والعصب الذي فيه الحس والحركة ووصفوها فزعموا انها هي الروح الحارة الرطبة التي انشاتها الطبيعة من رقيق الدم الكاين في القلب المصطفى من دم الكبد المستخلص من نضج الغذا وزعموا ان هذه الروح تنبعث من القلب في عرق اجوف ذي طرفين حتى تصل الى الدماغ منتشرًا في عصب الحس والحركة واحتجوا بقول اسندوه الى بعض سلفهم واظنه افلاطون حيث يقول ان في البدن ثلاثة ينابيع ولكل ينبوع جداول يفيض ما حملت الى اقطار البدن فاحد الينابيع الثلاثة الكبد وهو ينبوع الغذا وجداوله عروق الدم الساقية لجميع الاعضاء والاجرام والاخر القلب وهو ينبوع روح الحياة وجداوله عروق الاوراد الضوارب الناشرة لروح الحياة في جميع الاعضاء والاخر الدماغ وهو ينبوع الحس وجداوله العصب الحس الشامل لجميع الاعضاء المحسة وقالوا ايضا لما رأينا الطبيعة تحكم افعالها وتفصلها لعلة ورأينا العلة غاية الفعال ورأينا غاية افعالها استيلا لها روح الحياة لان الحياة افضل افعال الطبيعة التي اياها عمدت واليها صمدت واول فعلة فعلتها من هضمها الغذاء في المعدة واحتجوا على ذلك بان قالوا لما رأينا افضل الافعال واكثرها واقواها للحرارة ورأينا ذلك في جملة العالم في الجنس المستحيل منه الجنس النامي والجنس الحي فلما قضينا للحرارة بشرف الفعال ورأينا الفعال اشرف افعال الطبيعة شهد لنا ان روح الحياة جزء من الحرارة وضربوا مثلا فقالوا انما مثل النفس في البدن كالشمس في العالم المسخنة بنفسها الفايضة بحرها على جميع العالم وزعم اخر انها ذات موضع وتغتذى بما يشاكلها مع غذاء البدن وانها عين سوى البدن تكون في البدن وانها علامة بنفسها متحركة ووصفوها بصفتها فقالوا النفس نور مفرد لا حر فيه ولا برد ولا طعم ولا عرف ولا صوت وضربوا مثلا فقالوا لما لم نر الابصار تدرك الا الالوان والاثار بالنور علمنا ان الابصار عاجزة عن العلم بالالوان الا بافادة النور اياها

ذلك العلم ولما لم يكن للشيء ان يفيد ما ليس من جوهره علمنا ان العلم من جوهر النور فلما
رأينا العلم من جوهر النور علمنا انه معلول واحد والمعلول الواحد لا يكون من علتين متضادتين
كالحر لا يكون من النار والثلج فلما صح هذا عندنا علمنا ان النفس ليست بمخالفة للنور
فقضينا على النفس والنور بالموافقة وانهما من جنس واحد قلنا ورأينا الآذان لا تدرك
الاصوات الا بالهواء الموصل للاصوات الى الاصمخة ولم نر الهواء اوصل ذلك الا برقته
وصفائه المشتبهين امر النور وصفائه قالوا وكذلك رأينا الخياشيم لا تدرك الاعراف
الا بالهواء ورأينا اللسان المدرك للطعوم لا يدركها الا بالرطوبة واللين المشبهين
لرطوبة الهواء ولينه قالوا ثم رأينا الحسة تدرك الحر والبرد في الهواء والماء ودقيق الابدان
وان غليظ الابدان مستغلق على ما فيه من محسوس لا يظهره منه الا الارق من الابدان
بما زجه فتظهر كرامته فتوصله الى الحس قالوا فلما رأينا الاشياء الموصلة متفقة على صفة
واحدة من الرقة واللين التي في صفة النور قضينا للنور بجميع وجوه ايصال المحسوس
الى الكاس وجعلناه سبب العلم ومفيده ومستفيده فقلنا النفس النور فضربوا امثلا
فقالوا مثلها مثل السراج المنير عن نفسه المنير عن غيره المفيد للعلم لغيره وكذلك
النفس حيث كانت علمت وافادت العلم قد حوت ابقاك الله هذه المقايسة
ضروبا من الكلام في النفس مختلفة ومؤتلفة وانت انا عنيت بما سبق في الكتاب
وبما يتلوه ايضا في الثاني عنيت عن الاكبار الذي ربما صد عن تحقيق المراد والكلام
كله بين زيادة وربما جلبت الفساد وفتحت بابا الى الشك وبين نقصان ربما جلبت
الاشكال وصار طريقا الى اللبس وهذا اذا كان المتكلم عليه من باب الجلي ومن نوع
الواضح فكيف اذا كان في الغامض الخفي اللطيف المحتجب وهذا اقتصاد مني وتحفظ
واستدعا المراقبة والتيقظ فقل من استرسل وخطب مطنبا واعجب بما يأتي
به مستحسنا الا دخل على صوابه ما يثلمه ويكسره وغلب على خطله ما يتادى به ويشهره
وخير الكلام في الواضح الجلي أن يكون لطيفا ليس تجمح الى السامع ما يربط مراده
وفي الغامض الخفي ان تكون مكشوفا ليلحق السامع منه ما نحاه ببحثه وطلابه
فاما اذا اتفقت المعاني تارة بسوء التاليف وتارة بالاكثار وتارة بالتعريض دخلها
الخلل ولم يبلغ المحصل لها على ما قد ثبت رأيه وساق نظره وسعيه اليه على الى عذر
كل خطيب مصقع وكل بليغ وكل باحث متوغل وكل غالب مترفق اذا كلم في النفس
وبحث عن شانها ان يعيا ويحصر ويعصر فان المطلوب في هذا الامر صعب والغاية
بعيدة والشوط بطيء والعجز شامل والناصر مفقود والتعاضد مرتفع والقوة
محدودة والقدم زلالة والمنتهى حيرة واذا كان النظر في النفس وعلمها اصعب عن زواد
لا اني يستطيرها في هذا المكان فكيف الكلام في العقل وهو البحر العميق والمعنى الذي
هو في ذلك انق فكيف الكلام في العلة الاولى وهو الذي كان اليه القصد وعليه
وقف العهد ومن اجله يحمل غب هذا الامر واشتعل بارث هذه المجال وصبر
على اثار الكون والفساد وترقى في سلاليم العز والخطر وتجرع كل كاس مر من

الصائب والصبر ونفذ سره في الاتصال بالبارى ودق البحث ولطف النظر ويقدر رتبة العقل التذ الكلام عليه وطرب على الخبر عنه وبقدر محاسن النفس عرض العشق وبذل المصون وجد السعي وتسلى عن كل الف وكيف لا يكون الكلام في هذه المعاني صعبا والبحث شديدا والقوة عاجزة وانت لو اردت آثار الطبيعة في عرضة الكون والفساد من هذه الرتبة المكلة للابصار بعد استنفاذ قواها المستردة للاذان بقدر استيفاء ما فيها لم تستطع ذلك ولم تقدر عليه نعم ولو كان كل من هو في مشكل ظهيرا لك ونظيرا معك وكان ابو سليمان اذا رأى بعض اصحابه يتشدد في هذه الوجوه قال له يا هذا ارفق فالاستقصاء فرقة اكتف من هذا المطلوب بما يجاد به عليك ويساق بزمامه اليك ولا تعنف فالعنف محرمة وعليك بالرفق فانه سحر النفس والشاعر يقول والدر يقطعه جفاء الجالب وقد والله صدق وقال النحوى ان طلب ما لا ينقاد لك لتبريه مثل ما لا تنقاد له بجسرك عنه شقاء ومذلة ويضيع زمان وامارة ييسعى واحتمال خسف واختراع اسف النفس حاطك الله قوة شريفة الهيئة بهية وأصلت ابناء الطبيعة على قدر قوابلها بجود العقل الذى له الرتبة الاولى بقدر ما له من الفيض من العلة الاولى ومراتب ابناء الطبيعة مختلفة اختلافا لا نهاية له وكل قد نال شيئا فلاجما ناله برغمه وطلبه وما حرمه حرمه لاباية اياه وكرهه ولكن هكذا كان وعلى هذا بان فليكن الرضى واقعا بحسب الموجود ذلك الموجود به عليك واعلم ان الصورة التى هى محيطة من الاول الى الاخر شايعة بين الطرفين لا بينونة هناك ولا فصل ولا حيلولة ولا نقص فكيف يكون على هذا النهج شيء عن شيء وسوى شيء او شيء دون شيء او شيء فوق شيء او شيء على شيء او شيء مع شيء او شيء في شيء وانما ثبت هذه الاسماء بالنظر الثاني لما لحظت مواصلة لاثارها ومواصلة لقوابل آثارها وعلى الحالين كان الاختلاف والايتلاف والتباين والتواصل والتفرق والتجمع والجيئة والذهاب والورد والصدر والعظم واللطف والكبير والصغير وجميع ما يجوز الى هذا الجانب ويبرز هذا المثال في بلاد القوابل الا في بلاد الفواعل فليسد نحو هذين النجدين طرفك وشرب اليهما نفسك ولطفك فانك تجد المواد التى من شأنها ان تنفعل على مراتب الانفعال وتجد الصور التى من شأنها ان تفعل على مراتب الفعل وتعلم ان الاعتبار تارة ينفرد بالصورة وتارة بالمواد وان ما تركب منهما وبينهما واستبد بهما واستند اليهما هو في عرض ذلك الاعتبار وفي جو ذلك النظر وان الشك ان قدح والغلط ان رسخ فانما هو من اضافة شيء الى غير شكله او تحليته بغير ما هو لايق . . . . . بالغنى والتحرى في هذه المواضع . . . كان ذلك سمع فاطرب وترنح وخذ وتحد . . . . . وتعقل واسلم واقدم وانعم وادق وابق وان كان بك صمم فاعطف على . . . يك وسل عن دوائك فليس يحسن بالاخرس ان يفترى على من يتنغم والسلام

مقابسة اخرى

حضرت القومسى ابا بكر المتفلسف وكتب لنصر الدولة عا . . . مين وكان كثير الفضل فقيل له هل يجوز ان يكون اثبات الناس للمعاد والمنقلب اصطلاحا منهم ومن اكابرهم وعقلائهم

فى بدء الناس وسالف الزمان ثم الف الناس ذلك وهتفوا بلبثه ولهجوا بذكره مع تأكيد الشرائع وتأييد الكتب الناطقة به فقال المعلم ثبت فى انفس الناس وارسخ فى عقولهم واعلق باذهانهم من ان يكون اصله راجعاً الى التواطؤ والتشاعر ومردوداً الى الاصطلاح والتناد وهذا ظن هرج وزائل قائل عقل مغرور وقول رذل من خلط فاسد ومزاج ماؤف وهلا وقع الاصطلاح على رفعه وابطاله وانه لا حقيقة له ولا دليل عليه ولو لم ترد الكتب باحالته وبقيته وصرف الظنون عنه ومنع الخلق اعتقاد صحته ولم لم يعرض فى ابطاله وترك الايمان به اراب ومراد وبقيه وسبب والناس من جهة الحواس والشهوات وحب العاجلة ونيل اللذة اكثر نظراً واقوى وانفذ عزماً واشد انقياداً واسرع ارتكاباً واقتل احتقاباً وابين سماعاً واقرب نزاعاً ولكن العقول ذلك ابا طاهراً ودعت الى اثبات الثواب والعقاب فى الثانى دعوة مشهورة متصلة على اختلاف لغات اربابها وتباين اشارات المخبرين بها ولم تكن هذه الدعوة عن قسر وتمويه ولا حيلة ولا مكر بل دعوة تحقيق وايضاح وبينة وافصاح وكيف يسع عاقلاً يظن ان الناس على ما هم عليه فى اديانهم ونحلهم وعاداتهم ومصالحهم ومعادهم وتظالمهم مع الاستطاعة الحاضرة والتكليف العام ومعرفة الاصلح والافسد والاحسن والاقبح يفنون ويتبددون ويهلكون عن حال باقية بهما يحسن المحسن ويثاب الخير ويعرف التحقى هذا ما لا يجوز بجوازه عقل وان قيس ولا يلين له قياد وان استميل ولا يدلس به وهم وان استكره وانما يتحرك عند هذا الظن من ضاق بجمه وقل علمه ونبا سماعه وفهمه وفسد حسه ومزاجه وجعل نفسه منصباً لكل ريح ومغيضاً لكل سخف وامتاز لكل جاحد فاما الناظر فى اثناء الامور الداعى على احاديث الزمان الفاحص عن السرائر الغالب لظاهر الاحوال وباطنها فانه يربا بنفسه عن هجنة هذا الراى واغلال هذا العقد ويشتمل على ما نطقت به الكتب القديمة وتضمنت الاسفار الصحيحة واتت به الشرايع الصادقة وبنيت عليه الاذهان الحديدة وشهدت له الفطرة السليمة ودعت اليه العقول الراجحة وهذا وان تمادت فى الاجدات الاعمار وغلب على من لا خبرة له بما يأتى به الليل والنهار فاما من له رغبة فى حياطة دينه وهمه فى معرفة الغامض فيوأخيه من نفسه وعالمه ويبحث عن الرشد والمصالح فى الظاهر والباطن ونظر فى السياسة الالهية والانسية وخبر بالمورد والمصدر ليصير ذلك المتولد عليه فقد حماه الله غائلة هذا الراى وكفاه مؤونة هذا الخطر وجعله فى الاعلين فى حظيرة القدس وحضرة الانس حيث لا عى ولا ثقل ولا فراغ ولا شغل ولا هجر ولا وصل ولا ذنب ولا عذر

مقابسة اخرى

سمعت بعض مشايخنا ببغداد وغالب ظنى انه نظيف الرومى يقول العالم من حيث هو كائن فاسد ومن حيث هو فاسد كائن فلذلك نظمه بدد وبدده نظم ومتصله مفصول ومفصوله متصل وعقله موسوم وموسومه عقل ويقظته رقاد ورقاده يقظة وغناه فقر وفقره غناه وحياته موت وموته حياة قال فلا اطيل هاهنا

مثلا ينزع الى الحس ضرورة ويعترف به العقل اضطرارًا انظر الى السماء نظرًا شافيًا و
تأملها تأملًا بليغًا وجل في آفاقها بحثك ونظرك مليًا واستقر صورها استقراء
تامًا فانك تجد نجومها منتثرة متساقطة كان سلكها قد وهى ونظمها قد انخرط
على هذا ادراك الحس وسابق العيان وشهادة النظر وظاهر الخبر والاثر ثم انك لا تستنكر
بعد امعان النظر وانعام الفحص ومواصلة البحث ان تجدها متسقة اتساقًا ومتفقة
اتفاقًا وموزونة وزنًا ومعدلة تعديلًا ومنظومة نظمًا ومعباة تعبية ومزينة
بكل زينة ومحلاة بكل حلية حتى يقضي اختيارًا واضطرارًا وانبهارًا واقتدارًا
انها زالت عن حالتها المعروفة او حالت عن صورها المالوفة باقل من مثقال
ذرة او هباة تربة تهافت اصله وبطل بعضه وكله واضمحل خفيفه وثقيله
وبار كثيفه ولطيفه واضطرب اوله وآخره واختل محيطه ومركزه وهذا لان
الحس حين قضى في الاول قضاء بما في الطبيعة من الخلل والنقص والتلون ووكد
قيل الحس حاكم موئس وساع مفسد ومتوسط عياب وقاض خصم ودليل سوء و
مشاطة مشوطة وموضح لابس وناقد مدلس وخاطر ملفق وصديق متملق و
معلم مضل ومقوم مزل وناصح مزور ومرشد مغرر وجار مخاتل وشريك
مروق ووافد كذاب لا مقنع به ولا مفزع اليه ولا خير فيه ولا معول عليه
فاما العقل فانه يقضي بانتظامه ودوامه وسلامته وصحته وثباته واتصاله
والتيامه وذلك لان العقل عفيف وقاض عدل وصديق مشفق ووالد حدب
وجار محسن وشريك ناصح وهاد صدوق وصاحب مونس وخطيب
محقق وزاد مبلغ ومداح مفهم ومحدث مطرب وجليس فكه ونور شايع
وضياء ساطع وقول فصل وركن وثيق وجوهر شريف وطود منيف ونقطة متصلة
وذات مقدسة وخير محض وجود بحت من ذا يقدم على مدحه وتقريظه ونشر خصايصه
وتحصيل فضائله لما الوجود الحق من الموجود الحق له الحكم الفصل من الحكيم العدل
وانما اومى هذا الشيخ الى المعنى ايماء خفيا لتسمح عنه هذا الذي تراه وتقرأوه ولعله
ظاهر لنا فلهذا يزكوا على البذل ويزيد على الانفاق وثمرته حلوة وعوده ناضر
وسلطانه قوي وعزمه اقعس وذروته عالية من تحلى به ظهرت عليه جدته واستعما
له على عادته ومن تعرى عنه بخست قيمته وبدت عورته

مقابسة أخرى

سئل ابو سليمان يومًا الطبيب المعروف بفيروز فلان ملأ العين والنفس ما معناه
فقال فيروز لا ادري فان شئت ان تتصدق علينا بفايدة فان زكاة العلم واجب
عليه به من زكاة العلم على صاحبه فقال ابو سليمان هذا سهل جدًا وما احب ان
يقال هذا فانه يدل منك على عجز قد محاه الله عنك وعلى ملق قد رفع الله
عنه قدرك فقال فيروز ما احوجني الى ان املك رضاك باتباع امرك وابلغ
ارادتك فيما يشرفني بالطاعة وما اتصل الا للعلم ولا اتملق الا لاهله

وليس بعد هذه المراجعة المحمودة الا الاسعاف بما فى طى المسئلة فقال معنى قولهم فلان
ملاء العين والنفس اى يجمع بين المنظر المقبول بالعين اذا نظر اليه وبين المخبر الممدوح باللسان
اذا اشرف عليه وكان هذا كالزجر من الناس للفرق بين الشخص والنفس فان احدهما اذا ...
الاخر كمل الانسان بهما واذا اخطاه احدهما كان نقصه من جهته واذا لم يكن من النقص بد ولان
تكون من قبيل ما للعين اولى واعون ان يكون الانسان ملاء النفس اذا لم يكن ملاء العين
لانه اذا كان ملاء النفس غير ملاء العين كان روحا كله لطيفا وريحه واذا كان
ملاء العين غير ملاء النفس كان بدنا كله كثافة وغلظ وكان احدهما نصيبه من الهيولى
اكثر والاخر قسمته من الصورة اوفر فاذا ائتلفا كان الكمال المطلوب وانما قيل فى اللغة
العربية هذا ملاء هذا اى ملاؤه ومنه الملاوة ومنه الملا والملاء والملاء
والاشتقاق معروف لا يدفعه الاضعيف فقال فيروز عين الله عليك ايها
السيد فوالله ما نجد شفاء لداء الجهل الا عندك ولا نظفر بقوت النفس الا على
لسانك ولا نعلم يقينا الا بحسن تعرفيك اذا تحناك ولا نجل ظننا بانفسنا
الا اذا بعدنا عن مجلسك ولو كانت هذه الفايدة عندنا بعينها متى لنا ان نا تى
بها على هذه الطراوة والحسن امتع الله الارواح برؤيتك والعقول بهدايتك
فقال ابو سليمان سمع الله منك واجاب مثل فيك فما اعلقنى بمودتك وما
اوثقنى بمروتك جزاك الله خيرا

مقابسة اخرى

١٠١ قال ابو القسم علسى بن على بن عيسى ليس فى الدنيا خصلة يحسن الانسان فيها الى
نفسه ويجد عليها الا العلم وما يدخل معه كالصبر والكظم والتغافل والاغضا فاما
الخصال البواقى فان الانسان يحمدها اذا احسن الى غيره اوشكره فى ذلك الاحسان غيره
اكرمك الله وابقاك انما يبعثنى على رواية كل ما سمعته من هولاء الجلة الافاضل
فى عشقى لهم وحمدى لله تعالى على ما اتاحهم فلا تقرأن هذا الفصل ثم تقول وباقى
هذا من الفايدة فان درجات الحكمة مختلفة ولكل كلمة قائل ولكل قول داع ولكل
عمل عامل ولكل عامل داع وهذا الشيخ ممن قد اعلا الله كعبه فى علم الاوائل ووفر حظه
من الحكمة المبثوثة فى هذا العالم وفيما قال حث على حسن معرفة فضل الحكمة وفى معرفة
فضل الانبعاث على اكتسابه والاستكثار منه فان الحكمة سكينة الالهية وحلية
ملكية وقنية عقلية وقد اطلقه الناموس الحق على الله عز وجل فما ظنك بما
يبعث رب العالمين به وخالق الخلايق اجمعين ثم يبعث به لبشر خلق من الماء والطين
وابرد لعيون الناظرين تبارك الله رب العالمين

مقابسة اخرى

١٠٢ قال بعض اصحابنا كل شئ اجوزه من اثار النفس فانى اجوزه فى اليقظة وكل شئ اجوزه
فى اليقظة اجوزه فى المنام الا التركيبات فان النفس تخترع بها امورا لا تستجيب المواد
لها قال وانما اعنى بما اجوزه الانذارات والاطلاعات وقوة الكهانة وما اشبه

ذلك وهذا الذي قاله هذا الشيخ يحتاج الى شرح ولعمري للنفس هذه القوة وهي لها بالحق والتوا
ولكن البيان عن كون ذلك على التحقيق بالفعل عزيز ولعل الزمان يتسهل فيمكن التخلف عليه
بما يزيده شرحًا ووضوحًا ان شاء الله عز وجل وعلى ذلك فاني اقول في هذه الحال
ما تعين من الحق الذي اياه نقصد وفي طلبه نسعى ونجتهد وارجو ان لا يكون هذا الاعتراض
والتحري يعنا فني بعد ذلك الاستعفا والنفلاى وليس ينبغي لنا ان نجتري على العلم
متجد عين في طلبه فادعي ما لا يفي به ولا يحسن بنا ان نتحلى بما وهبه الله تعالى لنا
وفضله علينا فتوهمت انا مقصرون فيه ان اظهار التشبع مع اخفاء الجود قبيح
فكذلك اظهار التفاخر مع كتمان القدرة قبيح والخير ابدًا بين الطرفين والوسط
مطلوب كل ذي عقل ودين فاذًا لا باس ان يكون ذلك العطف على ما سبق من
قول هذا الفيلسوف في هذه المقابسة في موضعنا هذا فيكون هذا تدا فذنا بمبلغ
علمنا وكلنا المستفيد منا في الزيادة منها الى غيرنا فمن قد رفع الله درجته علينا
وجعله المحسن الينا اعلم ان الحال التي قد وضعت الفرق بين النوم واليقظة وهي التي تجد
للانسان بقوة احديهما فتشرح له امورًا قد سبقه باعيانها وجواهرها واعراضها
وامورًا هي مشهورة في الآن على ما هي عليه من حقايقها وزخارفها وامورًا هي على الزمان
في الثاني من اوقاتها وهذا الانجلا والشرح يستفادان من جهتين احديهما هي
الهيئة الحاصلة للشخص في السنخ والاصل الذي يتفقان بالقسمة السماوية والقوى
العلوية والاخرى هي الهيئة الحاصلة للشخص في الفرع والثاني بالروية النفسية والقوى
الفكرية وهاتان الهيئتان انما يختلفان في النظر الطبيعي والا فلا تفاق واتم بالنظر
العقلي والاول الالهي فعلى هذا لا فرق بين اليقظة والنوم ما دام الحكم يصدر من صاحبها
على اطلاع النفس وراحة التبل والفيض السابق وهذه حال لها مناسب كثيرة الى القوة
والضعف والشدة واللين والعمود المنصوب وبحسب ذلك يصح الانذار ويصدق
الزجر وتحق الكهانة وانما المريد انفع الحال في هذا الموضع لان النظر كان موصولًا بالامور
المجردة والمباحث الصافية والحقايق المقشرة للسكون والثقة فاما ما اتصل بالتركيب
فان النفس تفعل قوتها تبدع اصنافها وضروبًا لا سبيل الى بروز شيء منها من
القوة الى الفعل لعسر الهيولى وعدم اعيانها لان الطبيعة لا تليها ولا تعطف عليها وانما
يقف الطبيعة عنها لان النفس لا ياذن لها في توليها ولا تلقي اليها اماثيلها ورسومها
والنفس ايضًا في هذه تتشبه بالعقل فانه تجد منه لم تجد به وما اخذت عنه لا تحسبه
ثم تنتشر والجود وان كان في الغيرية اليها يرفان قال قايل الجود لا يحد وطوره ولا
يجوز طوقه ولا تتطاول اليه النفس به فقد تبتر لان ما تراه من ايضاح ما قاله هذا الشيخ
في تجويزه في المنام جميع ما تجوزه في اليقظة الا التركيب لان التركيب ورث في الطبيعة في
قابل وفي آثار النفس ايضا تركيب ولكن لا هي الا تري التحاب في العدد واشباغهم
والتكعيب والتثليث انما هو من فنون التركيب ولكن بنوع خارج من آثار الطبيعة في المواد
المنقادة حتى اذا علوت من هذه المرتبة الى اللوايق بالعقل وجدت هناك امورًا

يفضل عنها وصف اللسان ووصف البيان ولهذا الفعل خصوصية ليس بعدها سعي ولا
دوها رضى جعلنا الله واياك من صفوته بجوده وقدرته

مقابسة اخرى ١٠٣

قلت لعيسى بن زرعة ابي علي وابن عبدان الطبيب حاضر انا شديد الحرص على معرفة شيء قد طال تخلجه في صدري مع مواصلة مسئلتي عنه وحسن استفهامي لما فيه فقال ما هو فقلت اريد ان اعلم ان الاشياء التي نجدها بالحس والعقل كلها اتبعت العلل والعلل الاشياء فقال لي من اين ثارت عليك هذه المسئلة فقلت رايت جالينوس في منافع الاعضاء يذكر امورًا يكشف دقايق وينثر عجايب وينشر حكمًا جليلة ولعمري ان ما خلده في ذلك الكتاب وقاله واستنبطه يكاد يكون عن وحي والهام فضلًا عن غير ذلك فما نازع بي الى هذا البحث انى رايته يصف العين ويذكر مكانها من الانسان وانها كالربيئة له والطليعة وما دانا هذا وجرى معه وذكر ايضًا الاحتياط في العين لكثرة آفات هذا خاصة فقيل له وجدت احدى العينين في نقرة القفا والاخرى في وسط الجبهة لامكن ان يقال جعلنا احدى العينين من خلف ليكون وقاية وحراسة مما يكون هناك ويحدث ويذكر الضرر الذي يعرض من تلك الجهة فكانك ايها الحكيم لما وجدت هذه الامور على ما نظمت به وعنيت اثرت منها هذه الاعراض من العلة بفضل عقلك وقوة بيانك ولطف اشارتك فكانت الاشياء تابعة للعلل على هذا والتتبع بمقالتك يقتضي ان العلل تابعة للاشياء ليس الاشياء تابعة للعلل بدليل ما ضربناه من المثل لانك هكذا وجدتها فعلى ما وجدتها بينتها ولو وجدتها على غير ما هي عليه لكان استنباطك علمًا كنت تجدها عليه بفضل فحصك واستقرائك فعلى هذا عللك التي شرحتها وحكمك التي استخرجتها تابعة لا موجبة فقال في جواب ذلك ما احكيه على قصوري عنه وكان ابن عبدان الطبيب ينصر ما يقوله ويرتضيه ولقد اضطرب على كثير مما قالا ازعم في اول الجواب ان للمسالة غوصًا وانها معروفة عند الاوايل وقد اوسعوا فيها كلامًا كثيرًا في كتب معروفة واقول في هذا المكان ما يكون مقنعًا ان لم يكن كافيًا ان الاشياء التي من شانها ان تكون معلولة هي تابعة لا محالة لعللها وان اختلفت سبلها في اتباعها كما اختلفت احوالها في كونها وفسادها والعلة ما دامت علة فانها تقتضي شيئًا خاصًا والشيء ما دام مقتضيًا فانه يتبع علته الخاصة به وهي مع ذلك موجودة معًا لا على معنى القران ولكن على معنى الوجوب فقد قضى العقل مرتبة التابع دون مرتبة المتبوع ودرجة المتبوع فوق درجة التابع والعلل بنظر ما على ضربين علل موضوعة وعلل مصنوعة والصناعة مقتفية للموضوع لان الوضع هو بالطبيعة في الاول فاذا صحت هذه العبرة انكشفت الاشياء كلها عللها ومعلولاتها على وتيرة واحدة وسنن واحد في الوجود فان العقل وان كانت موسومة بالترتيب بالعقل فالاشياء تابعة لعللها ما دامت العلل عللًا لها والعلة مستتبعة للاشياء ما دامت تابعة لها فالاتصال بين العلل والمعلول اتصال الاهو لا فصل له ولا بينونة فيه وهذا

كله اذا لحظت مبدأ الوجود وبحسب جدك ونظرك واستخراجك فاما ما عليه العلة
في وجودها وما عليه المعلول في وجوده معلولاً فامر لا يتميز الا بالترتيب الذي تكرر القول
فيه فجالينوس قد هجم بنظره وبحصه على علتين احدهما موضوعة لذلك ومطبوعة
على ذلك والاخرى يبنيها منها ويضيفها اليها ويشبهها اقتدارا بالعقل البشري وتصرفا
بالقياس الانسي واثارة للحكمة الالهية واستنارة بالحال التوحيدية فالعلة الاولى
طباعية والاخرى صناعية والقياس المشار اليه من الاول برهاني والقياس المدلول
عليه من الاخرى بياني وانما يفزع في وقت بعد وقت الى ما هو دون البرهان لان
خفايا الاشياء واسرارها واسبابها في عللها كثيرة والعقل الهيولاني لا يفي في
هذا الجسم الجزئي كل الاضاءات ولا ترى كل ذلك فلذلك ما ترى صاحب هذا العقل
يطمئن مرة ويقلق مرة لان النفس تمر به كالبرق اذا استشرى او كالنجم اذا هوى
قال والكلام في هذا الباب اطول مما يظن قد نجل الا بهذا القدر شيء يمكن ان يكتفى به
مع التلخيص فيه واعدت هذا بعد على ابي سليمان فقال لي قد تجد علة في شيء
من الاشياء وتكون ذاتية فلا قدرة لها عندك الا ان تعرف انها كذلك فقط وقد
تجد علة اخرى لشيء اخر ولا تكون ذاتية له لان اخرى تزاحمها الا ان العقل يرتع فيها
ويبسط في استنباط الحكمة منها والحال الاولى من العقل شبيه بما في العقل وكل
ما في القوة فليس العقل منه الا الاينية والكمية والكيفية ثم قال فعلى
هذا التاسيس الاشياء تابعة للعلل لانها معلولاتها والعلل مستتبعة المعلولات
لانها عللها وهذا بشرح العقل لا بترتيب الحس ولا بتجرد لحظ العقل الا بتركيب من
المعلول واذا علوت عن هذه قليلاً لم تجد ما ينبغي ان يعطى جد العلة ولا حد المعلول
وانما ترسم هذه الاسماء والالقاب ما دمت تتصفح الامور وتقيس بعضها ببعض و
تستعمل اسماءها وتثبت صفاتها ولو خلص النظر من هذا كله لم يشهد الا وجودا
لا واحد ولا اما اخترعته لفظ ولا بيان له قوي فانتز في هذه الضائق بقوى
نفسك وهذي عقلك ودع عنك الناهض وغامض الغامض فان ذلك ينهضك
ويكدك

مقابسة اخرى

١٠٤ حضرت ابا سليمان يوماً فقيل له اذا كان للاشياء محرك اول فلم لا يكون لها مسكن
اول لان الاشياء تسكن تارة وتتحرك اخرى فقال الاشياء تتحرك كما قلت وتسكن
ومعنى تسكن انها لا تتحرك فمحركها في الحقيقة هو مسكنها لانها اليه تتحرك اذا تحركت
وبه تسكن اذا سكنت ولو سكنت بغيره ولو احتاجت في التحريك الى محرك وفي التسكين الى
مسكن غيره لكانت اما ان تاتلف السكون من جهة المسكن او تاتلف الحركة من جهة
المحرك وكانت تستمر على الحركة والسكون او كان المسكن لا يخليها فتتحرك بالمحرك وكان
المحرك لا يدعها فتسكن والوحدة التي تكرر الايماء اليها وترددت العبارة على الطف الوجوه
عنها في هذا الكتاب تاب هذا الوصف وتمنع من هذه السمة وذلك ان المحرك هو المسكن

المسكن هو الاول لا لانقسام الاول المحرك بين الحالين مختلفين ولكن لانقسام الوجود التي من شأنها الانفعال بالحركة مرة وبالسكون مرة ولو كانت الاشياء تحتاج في كل عرض الى من تنسب اليه لبطل التوحيد رأساً اعنى انها كانت اذا تضامت تحتاج الى ضام لها واذا تبددت تحتاج الى مبدد لها وعلى هذا سائر السمات وليس يطرد هذا البحث ولا يلزم هذا الاعتراض بل المحرك الاول بالتحريك الاول على ما يليق به وهو الذى جمع وفرق وحرك وسكن واعاد وابدى وافاد كل شيء ما كان محتملاً له غير باخس ولا ناقص وهذا كلام من سر التوحيد فليكن اكثار ك له على تدبره وتقدر حظك منه ثم قال وعلى ان للاشياء بنظر اخر تنقسم انقساماً اخر وذلك ان منها ما سكونه طبيعة له ومنها ما حركته طبيعة له ومنها ما هو مهيأ للسكون في وقت وللتحريك في وقت فلا يتحرك في وقت السكون ولا يسكن في وقت الحركة فلو ان مجموع هذا الباب راجع الى واحد متى تحرك شيء فاليه يتحرك ومتى سكن شيء فيه يسكن ومن لزم شيئ نهجا واحدا فلم يلزم لكان الخلل يدخل والنظام يزول والفساد يقع فان ظن من حرك له ولا معقول عنده مع هذا ان الخلل والفساد قد وقعا بما نشاهد من تغير الامور وتصرف الدهور وتلف الانفس وزوال النعم وتقض المرائر واعتراض الآفات والعلل فليعلم ان هذا ليس من قبيل ما كنا فيه وذلك ان كل من اوجب الحركة العلوية بالفعل اوجب الحركة السفلية بالانفعال فبحسب ذلك تمتزج هذه الاركان ويوجد منها اختلاف الشان ولو كان هذا العالم السفلى ثابتا على صورة واحدة كالعالم العلوى الذى هو على صورة واحدة لكان لا خلاف بين العالمين وكان لا يكون احد العالمين اولى بتحريك للاخر من العالم الاخر بتحريكه فحينئذ كان يسقط العلو والسفلى فلا يبين الفاعل من المنفعل ولا المؤثر من القابل ولا البسيط من المركب ولا البائد من الدائم ولا الصافى من المكدر ولا الطرى من الداثر وهذا كلام مرذول ليس عليه بهجة ولا نور فبالواجب تحرك ما تحرك الى واحد وسكن ما سكن بذلك الواحد لان هذه الفروع جارية على اصولها وهذه الاواخر تابعة لتلك الاوائل اعنى ان كل هيولى مهيئة لصورتها الخاصة لها وكل صورة مهيأة لهيولاها الخاصة لها فلا تعادى ولا فساد ولا تظالم ولا عناد في هذه العناصر والجواهر ما دامت سالكة نحو غاياتها ساحبة لقواها الى ما لها قال ومن ظن في هذين العالمين غير ما هما عليه فهو في واد الوهم واسر الحسبان اوبه غلبة من مرة او فساد من خلط او لعل تقليد من تقدمه قد اضله واعماه واصمه لان الحكمة بارزة والاساس محكم والقدرة ظاهرة والعجايب منتشرة والنظر مستخرج والعقل ممجد والنفس بحاثة والطبيعة متصرفة والامور موروثة والاسرار مكتومة والشواهد ناطقة والادلة حاضرة والاعلام منصوبة النظر الى الشمس في اشراقها والنار في احراقها والنجوم في ايتلافها والبحور في اعماقها والارض في نباتها والجبال في انتصابها والاودية في اشتكالها والى الغرائب في

اضعافها وانيابها تعلم ان الذى هو واحد فى الحقيقة هو املك بها واولى واقدر عليها
واعلا عنها وما احسن ما قال بعض بلغاء الحكماء فانه قال لامرما ربطت الجواهر
بالاعراض ولامرما تحركت الكواكب والافلاك ولامرما تباينت العقول والاذهان
ولامرما تصرفت الليالى والايام ولامرما وضع هذا المهاد مركزا لهذه الاوتاد ولامرما
لا يعجز المعانى المحرك عن تقديره احد صدق هذا الحكيم الفاضل لامرما ترى على سنن
لاحب ودليل ما شاهد واما غايب اما من جهة الحس واما من جهة العقل وقد بان
بما تستقل القول فيه من هذه المقابسة ان المتحرك متى سلب الحركة ما حركه بقى ساكنا فليس
يحتاج المتحرك الذى سكن فى الثانى الى مسكن غير من سلبه الحركة التى سكن بعدها وليس
المحرك مجبرا على التحريك فيحرك ولا يسكن بل هو واهب الحركة المتحرك ونازعها من الساكن
فالمحرك هو بعينه المسكن والمتحرك بعينه هو الساكن ومن كان طاهر النفس صافى
القريحة صايب النظر قصد الجواب ولحظ الحق بدون ما اتى ههنا من البيان
ولم تخرج نفسه الى شك مؤدٍ الى وحشة فالحق انس كل عقل والباطل وحشة كل نفس

مقابسة اخرى

سمعت اباسليمان يقول لو لم يكن فى النوم من الحكمة الا انه شاهد على المعاد لكفى دع ما
فيه من راحة الاعضاء وسكون الجرم واستجلاب القوة اليها بعد العيا والكد ولو
كان النوم حالا مصمتة لا شعور لصاحبها بها من اولها الى اخرها لكانت الوحشة
داخلة فى الشك قائما والتهمة واقعة ولكنها حال يتزود الانسان منها امورا غريبة
واحوالا عجيبة ويتلقف منها غيبا كثيرا ويستقبل منها عيانا ظاهرا افلا هذا
الرمز من اليقين الاعلى ما سلف القول فيه من ثبات النفس على حالٍ واحدة لان
النوم شبيه بالموت فاذن لا تموت لان الموت شبيه بالنوم فى الحالين جميعا
قد رأيتاعنها وحططنا دونها وفاتحة هذه المقابسة مدخولة ولكن الشيخ كذا
قال والاعتراض عليه مع علو رتبته فى الحكمة وجميل ظننا به
فى الاجابة والاصابة ليس من حقه علينا ولا مما يجمل فى المحال التى يجمعنا اعنى ابن كان
الاولجان يقول لو لم يكن فى النوم من الحكمة الا انه راحة لابداننا وجمام لارواحنا
وتخفيف عنا اثقال ما عملنا فى اليقظة بضروب التصرف واصناف الحركات
لكفى دع ما فيه من الشاهد على المعاد الذى عنه نبحث مجتهدين وعليه نكون
مضطرين ومن اجله ننفث ما فى صدورنا متروحين وما احق اكرمك الله هذه
الغاية بالسعى اليها والتشمير لها وبذل كل موجود ومدخور دونها والاستعانة
بكل صاحب وقريب فيها واستخلاص الروية فى تحصيل حقيقتها ورفض الراحة
والدعة عند فرصة تلوح من ناحيتها وبالحق وجب هذا الاجتهاد والاحتشاد
وهذا الفرق وهذا التحفظ والتيقظ وهذا التنادى والتحارس وهذا التنادى
والتنافس وهذا الغدو والرواح وهذا التثبت والسياح لان الانسان فى هذا
العالم وان بلغ المنتهى فى اماني نفسه من كل علم كالهندسة والحساب والنجوم

والطب وساير اجزاء الفلسفة وكذلك ان اشرف على غاية كل علم يتعلق بالاديان والاراء والمقالات والنحل فان اخر مطالبه ان يعلم مفاده ويعرف منقلبه وكذلك ايضا اذا بلغ في الدنيا كل حال علية وكل دولة سنية من المال والثروة واليسار والعز والامر والنهي والبايدين عن اصناف البرية ونيل كل شهوة ولذة وبلوغ كل ارادة وامنية فان اخر ما يقترحه ان يقف على ما يتحول اليه ويصير من هنا به ومفكوكا منه نعم صار النظر في هذه الخاصة والخالصة من اشرف ما في قوة الانسان واعلا ما في همته واعظم فوايده ولغلبة هذا المطلوب على جميع الخلايق حاموا حومه واردوا امراده ووردوا اشرايعه وسلكوا اشوارعه وعلوا روابيه وخاضوا سوابيه ورواسيه حتى اتفقوا على اثبات هذه الغاية لشدة حاجتهم اليها وتوقد حسرتهم عليها هذا مع اختلافهم في تحقيقها على ما ينبغي لها حتى هتف قوم بما القي على السنة الانبياء وهينم قوم بما راوه من التناسخ في الادوار وتخافت قوم اخرون بامور تبهرجها مجوز والاطناب في احصائها متعب فاستخلص كرمك الله نيتك وعزيمتك في البحث عن هذه الغاية مع الرفق الذي كل من لا يسر ويصيره صلة الى ما طلب منه فان المكث تحت هذا السقف على هذه الظهر يسير والتنقل وشيك والحاجة الى المعاد ماسة والعايق مع هذا كله عظيم والتناصر مرفوض ولولا لطف الله الذي به تماسكت السموات والارض وانتظم كل ما بعد بالحس والعقل لكان اليأس يغلب ويستولي والقنوط يستحكم ويستعلي

مقابسة اخرى ١٠٦

سمعت النوشجاني يقول وقد جرى حديث الصديق وحكي في عرضه الحد الذي للفيلسوف وهو الصديق اخر هو انت ويقال الصديق هو انت الا انه بالشخص غيرك فقال الحد صحيح ولكن المحدود غير موجود فتعجبنا منه فلما راى ما اعترانا قال تا بذوا وتلبثوا فليس الشرع بالانكار من اخلاق بغاة الخير وسجايا طالبي الحق ان الحد الذي قلتم حاكين عن الحكيم صنع من ناحية العقل والمحدود فرض في عالم الحس فتناصفنا هناك بالدلالة عليه لم يمكن ان نوجدها هنا بالاشارة اليه وذلك ان الوحدة التي في العقل تصور كل شيء بصورته التي لا كثرة فيها ولا اختلاف ولا تعاند ولا محادة حتى اذا غلبت الكثرة وغمر التضاعف وانقسمت الاشياء الى الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض جاء الاختلاف والتعاند اما ظاهرين واما خفيين وقد صح ان الانسان ذو طبيعة ومزاج وشكل واغراض متفاوتة كثيرة فاذا ما صادف اخر وهو ايضا ذو طبيعة اخرى وخواص اخر اما زايدة على ما للصاحب واما ناقصة عنه عرض حينئذ التفاوت والاختلاف بالواجب لا محالة فمتى يكون هذا الانسان على ما وصفنا هذا الانسان والمحال على ما وقفت عليه وبانت لك حقيقته واهما ما ينبغي ان يتبعه صاحبه ويأخذ عنه ويقتدي به ويأخذ بيده وينطق بلسانه ويهتم بقلبه ويتصرف على ارادته وكلاهما على مرتبة واحدة في الحد الذي

وصفت في الصديق فان اوجبت على احدهما طاعة الاخر والاقتداء به فهذا خلاف الصداقة
التي تقدم حالها لان هذه الحال بالعالم والمتعلم اشبه بالتابع والمتبوع اشكل قلت
له فعلى هذا ما فائدة هذا الحد ولم قال الفيلسوف شيئا لا حقيقة له ولا دلالة ولا يوجد
في الشاهد اصلا فقال قد قصد بهذا الحد المبالغة في الحث على توخي الصديق
لصديقه حالا لا يكاد يفصل بينهما في ارادة وايثار وقصد ومحبة وكراهية ورضا
فان هذا الحد اذا لحظ افقه العلي سلك اليه بالهمة الشريفة والعزيمة التامة والجد
البليغ والاجتهاد المستخرج للوسع فيكون ذلك داعية الى الغاية التي كلما قرب
منها كانت الحال اعني الصداقة الى الحقيقة اقرب وعليها اشمل وشرائطها اجمع
وعما يخالف هذه الصفات ابعد ثم قال وكيف يصح هذا الحد في الشاهد والحس
والانسان اذا كان وحده لا يلائم نفسه ولا يوافق ابدا رايه ولعله يترجح و
ينكفي في كل يوم بل في كل ساعة مرارا كثيرة مثل ابي براقش كل لون لونه يتخيل
وقال ـــ ايضا ان الانسان وان كان واحدا بوجه فانه كثير بوجه آخر
فالكثرة التي احالت بينه وبين صديقه في جمهور احواله فلولا التفرق الذي
فيه والكثرة التي تتوزعه ما كنت تجد انسانا الا على هيئة واحدة وشكل واحد
اعني انك كنت تجده ابدا اما طلق الوجه متبسم الثغر سهل الخلق ناشي الخلق
جوادا بالمال سهل المأتى قريب المأخذ طراحا للخلاف واما على خلاف ذلك
كله عابس الوجه منغلق الثغر شرس الخلق عديم البشر بخيلا بالمال عسر
المرام بعيد المنال مولعا بالخلاف او فيما بين هذه الاضداد بالزيادة والنقصان
والانحراف والاعتدال فلما وجدته على احوال مختلفة واشكال مفترقة واخلاق
لا تتلائم ولا تتلاحم علمت انه اذا صادف من هذا بعينه وطينته وعلى
هذا دينه واليه حنينه وتروعه وفيه غروبه وطلوعه كان المعنى الذي
انبأنا عليه الحد عنهما ابعد وهما عنه انفر واشرد وان ذلك الحد صدر عن
قضايا العقول وعرصة المحو حيث لا تزاحم الاشياء لا بالمشاكلة ولا بالمعاندة
فلذلك ما كان حلوا في السمع مقبولا كريها عند العمل مهجورا وهكذا احكم
ما يوضع بالعقل ويحد به اذا كان لا يكمل ذلك الا بالمباشرة الحسية و
والكلف البشرية والعادة الانسية ولكن الزماع والصبر والاجتهاد والاعتياد
والرياضة والدربة والتسبب والتعود مطايا مبلغة او مقدمة واسباب
محققة او مقومة ولولا هذه الفضائل التي تسلك اليها هذا السبيل لما
وجد احد في صدره برد اليقين ولا طمانينة الحق ولا ظفر بسرور النفس ولا
عرف روح العقل ولا احس لسكون الطباع ولا مطمع في اصابة المطلوب
ولكان الياس اغلب من الرجا والقنوط اوسخ من الامل والعدم انس من
الوجد وليس الامر كذلك بل النعمة سابغة والذرائع محركة والاستطاعة حاضرة والعافية
معرضة والرجاء مطمع والمراد مزمع والنداء عال والعطا متوال والله موفق

وليس يبقى حاطك الله الا السفولة والكسل وحب الهوينا والضجر ومتى تدرج في محو جميع الرذائل المكروهة والارادات الذميمة بالزهد في الدنيا ورفض الشهوات ومخالطة اهل الخير ومجانبة خلطاء السوء عاد البعيد قريبا والعسير منقادا والممتنع مستجيبا والعاصي طايعا قيل له ان الحق قد حوى هذا كله الا قيل هو انت الا انه غيرك بالشخص فبالموافقة تكون احد الصديقين الاخر وبالمخالفة يكون الشخص آخر فقال ليس يجاوز ان تكون في الحد تناقض ومتى استجيز هذا جاء الفساد الذي لا يحمل على احد ان كان المراد بالشخص غيرك انه يوجد سواك وتوجد سواه فهذا ما لا مرية فيه ولا شبهة على احد منه والعدد ايضا كذلك وان كان المراد به يوافقك ويجري على هواك وارادتك فقد قلنا ان هذا الوصف يدخله ذلك التعاند الذي سلف استبعاده واستكشافه من جهة الطباع والطباع والعادة والعادة والمراد والمراد والهوى والهوى والشكل والشكل فاذا الحد يجب ملحوظا بصرح العقل في عالمه النقي البهي المشرق الموتلق الخالص النير البعيد الا اذا قصد به وجد الامر في سلطنة الحس الكدر المظلم السيال المموج المضمحل المستحيل ولهذا المعنى كان الوصف ابدا زايدا على الموصوف والقول فاضلا عن القول عليه في امور هذه الدار وتفصيل احوال سكانها في جميع ما ينقلبون فيه ويعرجون عليه قيل له قد حصلنا جميع ما قلته ووجدنا زيادة كثيرة لمعرفته افدنا الان الفرق بين الصداقة والالفة فقد يالف الانسان ثوبا وزيا وطعاما وهديا ومذهبا ومكانا ولا يصادق شيئا منها والصداقة اذا اخذتها من جانب اشتقاق لفظها كانت من الصدق والصدق ميزان النفس وصورة العقل وكمال الجملة وزينة التفصيل واذا الف انسان انسانا فقد اجراه مجرى جميع ما تمنيناه واذا صادقه فقد دفع شانه وعلا مكانه وميز قدره وافرد حاله فيما لا يصدق اذا حدث ولا ينصف اذا عومل قيل فعلى هذا يتم هذه المقابسة التي حركت منا سواكن واثارت علينا كوامن فقال اعلموا انما بدا لكم من الخير والحكم خلسة والفوائد فرصة وليس كل وقت يوافق نشاط السايل في سؤاله رغبة المسئول في اجابته ولا في كل حال يمكن للانسان يثقف ما يقول ويقوم ما يعمل ويحقق ما ينوي قبل وبعد واني احدثكم عن الصداقة شيئا حسنا قرات في اخبار الملك الحكيم الاسكندر انه كتب الى معلمه ارسطوطاليس يصف له ما راى في مسيره الى الهند من الامور العجيبة والاحوال الهائلة فكان فيما كتب له ايها الحكيم انا انتهينا الى خليج من البحر من ورائه مدينة عظيمة من مداين الهند ورايا في اللجة من ذلك الخليج شيئا ناشزا بارزا كهيئة الجزيرة فمنعني منه صديقي فيلون وقال بل اعبر انا اولا فان كان هناك مكروه وقع في دونك فان هلك فيلون وجد الاسكندر منه خلفا وان فقد الاسكندر لا فقد لم يكن على وجه الارض خلف فعبر فيلون وعدة من خلاني وخلصاني فاذا ذلك الذي راينا في البحر دابة عظيمة من دوابه فلما دنا اصحابي منها غاصت في البحر فاضطرب الماء وغشي الموج سفاين اصحابي فاغرقها فلما شاهدت ذلك اشتد جزعي على صديقي فيلون ومن غرق معه من

خلاتى وانصرفت عن ذلك فقلب مضلدع وطرف مولع بالتمزيع فسئل عند هذه الحكاية
عن مسائل من مشكل الصداقة وحقايق فاجاب عنها غير متكلف ولا متعسف بعد تعاود
لهم واستعفاء قدّم واخّر قال كل مسئلة من هذه تستوعب فكر النفس وتفرق
بال الانسان وتأخذ بمنواقطار العالم وتضله في قفار البحث وما احب ان نسجل على بكل
ما يهمر مني فرشاى قصير وورودى ثمد وحظي نزر فقيل له على ذلك خبرنا ما العشق
فقال شوق الى كمال ما متحرك دائم على صورة ذى شكل الى شكله قيل له فما المحبة قال
هي عنوان العشق لا انها محاورة الحال الى الاتصال اقصاها رفع التمييز رفعا ويقطع التحيز
قطعا وتحدث الكلف وتورث التلف قيل فما الكلف قال كالنزوع للشيء قيل له
فما الشغف قال قريب من الكلف وهو اشد ارتفاعا في ملازمته من الاول على انا ان انصفنا
لم نحصل في هذه الاسماء شيئا لان حدودها وحقايقها لم تتنسق الينا صحيحة تامة غير مضمنها
مخرومة ولا مثلومة وانما نصفها احتباسا بها وببعض علاماتها الا اطلاعا على جميع غوا
ويها وعلى جميع ما دخل فيها وفي غمار لجواهها فلتكن الحال معروفة عند الحبيب
والعايب اذا عثر على زلة ولا يقدر منها احد من البشر وان لطف عقله ودقت حاشية
كلامه وهو دى سماع لفظه بسمع كلامه وتزين في بديع خطابته ولا غضاضة على من لو انا
قصر قصر من جهة يشارك بنو جنسه قيل له ما الصداقة لغة وهي اتم هذه المقابسة
فقال صحة الظاهر بالموافقة وسلامة الباطن من المخالفة واستقرارها على حد المواصلة
بالمناصفة والمساعفة والايثار مع الاهتمام بكل دقيقة وجليلة والاحتياط في كل ما حرس
اسباب القوى بالزلفة واطراح كل ما اشار الى المؤونة والكلفة وقيل له ان رايت
زدت في المحبة كلاما فقال المحبة اريحية منفتشة من النفس نحو المحبوب لانها تغذو ا
الروح وتضنى البدن لانها تشغل القوى كلها الى المحبوب بالتحلي بهيئته والتمني بحقيقته
بالكمال الذي يشهد فيه فالشوق يتوفر عليه والشوق شاغل عن كل ما عدا المشتاق اليه وهو
قوة تتأثر من هذا الى هذا زادها الاطراف والتفكر والوجوم والسهر والتتبع والتحيز
قيل فما المعرفة قال ان كانت ضرورة فهي نتيجة الفطرة وان كانت استدلالا فهي ثمرة الفطنة
ولا بد فيها من البحث الطويل والعريض والسماع الواسع الكبير لان النفس الناطقة لا
تعطيك مكنون ما فيها الا بتصفحك بكل ما هو دونها من اجلها قيل فما العلم قال
قال بعض الاوائل هو الراى الواقع على كنه حقايق الاشياء وقوعا ثابتا لا ينتقل عنه
قيل له قد استفدناه فيما يحكى وانما نرغب اليك فيما كان فضلك واستنبطه
فكرك وجاد به عقلك وانتهى اليه فضلك فقال العلم وجدان النفس مطلوبها
وان اعترضت الرتب على الانسان في امره وذلك انها اذا وجدت مطلوبها نو عدت
به واتحدت به فهذه صورتها عندنا وشك الانسان بعد ذلك بالراى الضعيف
والظن السخيف من ناحية الطبيعة والعادة والان وما جرى مجراهما لا يتحيف محصولها
ولا يسلبها ما صار بالواجب لها قال والعلم انفعال ما ولكن باستكمال يوديه الى النفس
بروز هادجوهرها اللذين هما خاصان لها والمعرفة تنفذ في الاشباح الماثلة



الاحساس المقابلة والعلم ينفذ في الارواح القابلة للعقول وقد يتعاد لان عند العامة كثير من
لدقة الفرق وغموض الفصل وذلك ان العامة تطلق كلاهما تحريفا وتجويفا تنزل عن كنه
لا انهما حضيض الامور بما تراه العين وتسمعه الاذن ومن وراء البصر والمسموع ومعادن
الحكمة الالهية وبحار الاسرار الملكوتية ومصادر نفس الانفس الزكية وموارد طمانينة الارواح
الطينية ومعارج رواة العقول الصافية قيل فالتوحيد قال اعتراف النفس بالواحد او وجدانها
اياه واحدا من حيث هو واحد لا من حيث قيل انه واحد وهذا هو الحد بين توحيد الجمهور بالتقليد
وبين توحيد الخاصة بالتحقيق فاما اعتراف اللسان فهو ثابت عن اعتراف النفس اذا كانت
هذه النيابة على حد الكمال ولم يكن تلقينا من عامة الناس ثم قال وليس معنى قولنا وحدا فلا
ان قل هو واحد هذا مفهوم العامة لا معقول الخاصة بل معنى قولنا وحدا اي عرفه واحدا وعلم
واحدا واثبت واحدا ووجد واحدا الا لانه نفى عنه الثاني والثالث فصاعدا وكيف ذلك
ولا ثاني له فيبقى ولكن لانه واحد وحده بل هو وحده وواحد لا على سبيل نسق في عادة اصحاب النفس
ولا على تعقيب يقتضيه الف اكثر الخلق بل على لحاظ ذات لا شوب فيها وتجريد انية لا نعت
لها واشارة الى هوية لا عبارة عنها ثم قال وهذا موضع نزيغ عنه العقل الانسي دون سوء من
الانسان العنصري وذلك لان العقل يجد المسلة الاولى وجدانا على اتم صورة واشرف نعت
وابلغ قول فيهش اليه ويتهالك عليه قابلا لفيضه ومقتبسا من ذاته وسابحا في جوده و
متشبها بحقيقته ومناسبا بغنيته يتحلى به من كان به عاقلا ومن كان به كاملا عليها دونه
وعزوفا عما سواه فلذلك يظن الانسان اذا سما عقله الى هذه الافاق العلية ورد ناحو هذه
الغايات البعيدة انه خولط وجن وانه وسوس وهذا عار يحل على بوبوة العين ونا ظر الحاقة
فيحيث هذه الحدائق المونقة والظلال الرحيمة والثمرات الحلوة والنعمة الدائمة و
السعادة الحاصلة والامنية الشاملة قيل يتزل تعليلا عن هذه الربوة فانها قد اخذتنا
عن درجاتنا ومقاماتنا الى ماهيتنا لمعرفة هذه الدقائق والتوغل في هذه الاعماق
ما الفتوة قال طهارة الحدة والطراوة في كل حال مباشرة لاانها متى فقدت جاءت الخلوقة
والرثاثة ومن ذلك سمي الفتى فتى والفتي فتيا لا لاب الكرم والمجد والجود والحفة والنجدة
وكبر النفس وعلو الهمة وسائر خصال الفضل والخير غضة في كل زمان طرية في كل مكان
كان الطاهر بها والمظهر لها والمؤثر لاحكامها والمجدد لرسومها فتى وصاحب فتوة قيل
له فالمروة فانها يتبع الفتوة فقال هي القيام بجوامع ما الانسان يكون عليه محمودا وبه
ممدوحا وهي اعني المروة اشد لصوقا بباطن الانسان واما الفتوة فهي اشد ظهورا من الانسان
فكان الاولى اخص والثانية اعم اي لا فتوة لمن لا مروة له وقد يكون ذو مروة ولا فتوة
له واما اذا اجتمعا فقد اخذ الحبل بطرفيه وملك الامر بحذافيره قيل له ان الحسن بن وهب
قال غزال الصداقة ارق من غزل علاقة فما وجه هذا القول قال صدق هذه نفثة
فاضل قد احسن كمال الصداقة لانها مؤثرة بالعقل ومجراه على احكامه ومحمولة على رسومه
فاما العلاقة فهي من قبيل الحس والطبيعة عليها اغلب واثارها فيها ابين وفي الجملة ينبغي
ان يعلم ان ذا الطبيعة مشاكل للذي للطبيعة وكذلك ذو النفس مشاكل للذي للنفس

وكذلك ذو العقل مشاكل الذي العقل وهذه النعمة لم تقصر في جهة الطبيعة الاولى لانها واحدة سارية في الجميع ولكنها
وقعت من جهة المواد والقوابل الزايد والناقص وهكذا الحال في النفس والعقل لان شأنهما الفضل وعلمهما اسنى و
اسما وذلك لان الطبيعة انما تنتهي الى الشي اليسير بالجهد وتحصله من ناحية النفس والعقل والطبيعة نفس في الاصل
والنفس عقل في الاول والعقل هو البدء وكل هذا واحد اذا لحظت القوة القائمة والجود المنبجس والواحد كل
اذا لحظت الجود المحض ومتى خلص النظر من شوائبه وصفا البحث من عوائقه وارتفع الحاجز الذي
قصد وانتفى المعارض الذي تعرض وجدت حقيقة هذه الحال من غير تجوز ولا اختلاف فالهوى
من عوارض الطبيعة والحب من علائق النفس والعشق من محاسن العقل وكل واحد من هولاء
الذين سميناهم صاحبه في موضعه وحكمه بحكمه في مكانه ومتى اقتضى الفاضل الحكيم هذه
الاوائل وساق اليها هذه التوالي وترامى من الادنى الى الاشرف وانتسب الى الاقوى دون
الاضعف وهي كالطرق المذللة والسلاليم الموصلة بحلا الشي وينسب بغيره حتى اذا
نيل الفوز بمحاسنه الغاية التي هي الغرض الاول والمراد الافضل ادرج ما علا ذلك كلما راد راجا
وطوى ما سواه طيا وهذه كالرويا لا تاويل لها الا رياضة الانسان طبيعته حتى لا يتم الا
بما ينبغي ولا تاتي الا ما يجب ولا يقول الا ما يحق حسنه لا يتطاول الا الى ما ينحط عنه ولا
يتشرف بما يزدهيه ولن يتم له ذلك اولا وآخرا الا بمواصلة العقل وصحبته والعمل برسمه
والشرع الذي يتولى نصحه والعقل وان لم يكن باسره عنده فبعد جزو ينزع لشرفه الى الصلة
يصححه بانواع السيرة الفاضلة والاخلاق الحميدة ويكف هوائج الطبيعة ويحسم مواد العادة
الردية ويحث على استعدادها لا يستغني عنه في العاقبة ويوزع العدل الذي هو
صورته على الاحوال الراهنة والطارئة ولن يتم هذا كله الا بهذا الانسان دون ان يكون مهيا له قابلا صح
معترضا له في الفزع ثم قال ولا تمت فيك الا ما احياه الله لك ولا تزع على نفسك ما كفه الله
عنك وخذ بآداب اهل الحكمة نفسك واغذ بها روحك واستر عليها عادتك واجعل الخير كله
ارادتك ولا تكترث بسيلان طينتك وذوي عودك وتعادي اخلاطك وتزايل وصالك
وارتداد نفسك ومفارقة الفلك واستحالة عنصرك وفساد مزاجك ودوام اختلاجك و
تقدر تدبيرك في هيكلك فانك باق بحقيقتك دائم بجوهرك موجود بذاتك واحد بانيتك
كامل بحجتك سعيد في نفسك عجيب في تركك ظريف في خبرك بديع في شأنك صلة الدهر
وعنوان الغيب ومحبوب الشاهد وتمام العين ونظام السلك وضالة كل طالب ورضى كل
واجد وانس كل وحشة ومصور كل انسة وقرب كل حاضر ونجي كل غائب هذا بعض حديثك
وجزء من شانك وبعض ما يتراءى بعينك ويتناجى بأذنك ويتسرب في فؤادك ويعزب ور
ويجب عنك ورقك ويسيغ فيك طرفك ويربك فيك ويحول عليك ويعرضك
فيك ويكشف لك ويعرفك اياك ويحدثك بك ويدنيك منك ويقربك اليك
ويحضرك بين يديك ويعيشك وينعشك ويجودك ويزودك ويجلك غير روحك و
يحيطك ويحيط بك ويخاطلك فيا لها غبطة ويا لها سعادة لو كان للسامع فطنة مع
عزم مع تصديق توفيق لها البشر انما سرك في الثاني حسن حصلت في الاول من البشر انما
يسرك ان تصفو من هذا الكدر وتلقى في هذا القشر والقذر وتصير في زمرة الملأ الاكبر

حيث لا بلاء ولا ذوب ولا شوب ولا عير حيث لا يصل اليك البطلان ولا يتسلط عليك الاحزان
حيث تبدو عينك في بهاء شعار في معدن الامن والقرار بعد استيفاء مدة هذا الليل والنهار
حيث لا ينطق بلسان ينالها عي ولا حصر ولا تم بنفس يعتريها طيش وضجر ولا استمع باذان يلجها اذى
ولا ينظر بعين يغشاها قذى حيث تبتهل لك الالهية البشرية وتستغرق الربوبية العبودية
حيث لا ينعقد بطين ولا ينحل بماء ولا ينقلب بهواء ولا يحرق بنار ولا يتكل بمزاج ولا تعتدل باخلاط
وبالجملة حيث لا سلطان للطبيعة عليك ولا سريان لهواها فيك ولا تخطيط من رسومها
واشكالها عندك حيث لا تظن فتخطى ولا تتمنى فتحصر ولا تامل فتخاف ولا تحرك
فتسكن ولا تسكن فتتحرك حال بائسة دائمة عما يعتاد من هذا البلد الذي انت فيه غريب
والى وطنك مشتاق فان سميتها سكونا فذلك سكون بهدو وطمانينة وامن وسكينة وان
سميتها حركة فهي حركة تشوق وتشم واستمداد واستلذاذ لا كارادتك التي الفتها وعاداتك
التي عرفتها وجلالتك التي اسلفتها فلا يسحرنك الاسماء والكنى هذه الاشكال
ولا تسهو بك هذا الترنج الذي لا يلحظ وترى فوراحستك نفس ووراء نفسك
عقل وفي اسماء العقل انت بما انت انت لا بما به انت وغيرك ولا بما انت به غيرك وانت لكن
بما انت به كنت مرة انت واذا حللت هذا الدار لم تكن هناك لان الكون يعقبه فساد
ولا فساد هناك فاذن لا كون ولا فساد ومن الكون والفساد فوقك ومن الشيء وضده علوك
وبالشيء الذي لا اسم له عندنا حلولك يا هذا استخلاصه ذلك العالم في هذا العالم
ولكن علاك من الغريزة هما شحوب وبالك عنا وكد ودروب ومسك كلال وتعب لغوب
فانكرت نفسك وانكرك الناظر اليك لانك ثبت فيك ما غيرك وحجبك من كذبك
وغشك وصحبك من استعزك وعزك وملكك ما عافك وصدك فلما ضللت الطريق
لزمت مكانك وعكفت على ما يعللك فالفت ذلك الالف الوضيع فلما اراد افطامك ظلت
تجزع وتفزع وتستغيث وتستصرخ وانت الجاني على نفسك فمن يصرخك وانت الموبق
لنفسك فمن ينقذك هيهات لا رجعة للطبيعة اليك ولا عطفة للنفس عليك ولا اثر
عند العقل منك ولا نسبة لما حل عنه هذه كلها فيك شقيت فبدت ولو سعدت بقيت
ومن تمام مصابك انه لا مفجوع به غيرك ولا باكي لك سواك فعلى نفسك نح ان كنت
لا بد تنوح فلما غمرنا هذا الشيخ بهذا الفن وطوحنا في هذا الذي ذكر سكت سكتة اوجب
علينا حسن الادب التفرق عنه فما مرت ايام حتى نظمنا ذلك المجلس وضمنا مثل ذلك الانس
فقال له بعض صحابنا واظنه ابا الخير اليهودي ان اذنت لنا في تمام الدرر من تلك الجمة العذبة
فانا صدرنا عنها وبنا برح ومن وهب الله له ما وهب لك خليق بالجود وعلى المستحق ومن
عرفه الله ما عرفك حرى بالتلطف في المسئلة انت بحر الله في الخلق تقذف بالجواهر
وشجرة العقل في العالم تخرج ضروب الثمر في كل حين واوان فلا زلت مكنونا بالمعرفة
مؤيدا بالنصرة جوادا بالعطية بذا بالرفد محببا الى القلوب جاليا بالعيون ممدوحا
بالالسنة مصحوبا بالتوفيق مذكورا بالثناء والغايات متنافسا عليه بالطارف والتالد
فقال لولا اني اعلم ان عشق الحكمة حرككم لهذه الكلمات الغر وهذه الفقر الغر التي توقف حسنا

على الذين لا اثنيت عليكم ووددت نفاسكم اليكم شفقة على مرواتكم من عادة المتلقين وصيانة
لاعراضكم عن دنس المارقين فحولوا الآن فيما اجبتم فانما الحق على اهله الاشقى ولا ينفس
بالصواب على طالبه الا الادنى وودى فقيل له فالعقل قال العقل خليفة العلة الاولى عندك يناجيك
عنه ويناغيك به ويبلغ اليك منه ويدلك على قصده والسكون في حرمه ويدعوك الى صوان
والتوحيد به والاعتزاء اليه والاعتزاز به وهذا كله بتخضع لا غش فيه ورفق لا عنف معه وبيان
لا يخالطه تلجلج وتقاض لا تلطف به يحلج قيل له فقد قيل ان العقل ماخوذ من العقال فقال
هذا كلام خلف ومعناه دنس ودعوى متهافتة انما يدل الاشتقاق من الكلمة على جهة واحدة
والمطلوب المتنازع لانه ماخوذ من تركيب الحروف وتاليف اللفظ وصورة المسموع ترانا اذا
نطقنا بلغة اخرى بالرومية والهندية بمعنى العقل لكنا نريد به معنى العقال لا وامه بل هذا
المعنى موجود ايضا في صفاته ومذكور ايضا في عرض ما ينعت به لان العقل يعقل اي يمنع
ويحبس وهو ايضا ينجح ويطلق ويسرح ويفرح ولكن في حال دون حال وامر دون امر و
مكان دون مكان وزمان دون زمان بل با العقل اذا دنوت اليه وهو في فناء القدس
ومعنى الا له ينبعث انه صورة لحدية ابدية سرمدية مشاكهة للمبداء الاول مشاكلة يكاد
بها كانه هو فكل من نال من هذه الصورة وهذا الجوهر وهذه العين نصيبا وحصة مزاجه
المعتدل والمنحرف وطبيعته المواتية والآبية وطينته الندية واليابسة وقوته الفاعلة
والمنفعلة ونفسه التصحيحة والجامحة وآدابه الحسنة والسيئة وعاداته الكريمة واللئيمة
كان ذلك مطية سعادته وشقاوته ومبلغا الى صحته بقامته وقنائه وبابا الى قامه ونقصه
وطريقا الى استقلاله وشذوذته وكلا اتلف له بعض مضموم الى بعض ومجموعا انتظم من
مفرقه وخصوصا صفا له من عمومه ومركبا عاد الى بسيطه وبددا صار الى نظامه ومقبوضا فكد
على قامه وباغيا تخلص من نشدانه بوجدانه ومهجورا وصل الى حبيبه ومقيدا اطلق من
قيده ومنفيا اعترف بنسبه وذليلا البس ثوب عزه وضالا اهتدى الى رشده ونعيمه ثم
قال والكلام في العقل والعاقل والمعقول واسع ولسنا نقدر على اكثر من هذا الايضاح
في هذا الوقت مع تقسيم البال وانفساح الوقت قيل له فالروح قال قوة منبثة في
الجسم بها قوامه في الحس والحركة والسكون والطمانينة ومبداها من امتلاء الاسطقسات
ومادتها في جميع ملائمها وانفعها من ضروب الاغذية النبات وغير النبات وهي تابعة
في الاصل لخواص المركبات وقد ظنت العامة وكثير من اشباه الخاصة ان النفس هي الروح وانه
لا فرق بينهما الا في اللفظ والتسمية وهذا ظن مردود لان النفس جوهر قائم بنفسه لا حاجة بها
الى ما تقوم به وما هكذا الروح فانها محتاجة الى مواد البدن والآلة وبها يوجد نسيم وبها
يبطل ببطلان البدن ولو اردنا استقصاء الفرق من هذين احتجنا الى الحدين المعروفين
مع الشرح الطويل وهذا القدر كاف في جملة هذه المسائل قيل له فالراي قال شيء
من تلقيح الظن والوهم بشركة العقل والتجربة قيل فالسعادة قال نيل النفس طلبتها قيل
فما طلبتها قال عودها الى معادها بريئة من كل دنس وكذب خالصة من كل عارض وشوب قيل
فما تفسير عودها قال الكلمة مشكلة والاشارة دقيقة قال يجب ان يقال على التقريب عودها انما

هو استعمالها بلوغها غايتها التي كانت قبلتها ومقصدها قيل فما الجود قال بذل ما حواه الملك
وما حوته النفس من الحكمة بصفاء من المن خالصة من الكدر قيل له فما الظن قال قوة وهم لا دعامة
له من العقل ولا ايادٍ له من العيان قيل له فما الوعد قال قول يجاس به قلب الموعود بانتظار الخير
قيل له فما الوعيد قال كلام ينفر به عن توقع المكروه وحلوله قيل له فما الحكمة قال القيام بحقائق
الاعتقاد في العلم والتناهي في الاجتهاد ببذل الوسع في صلاح العمل قيل فما العالم
قال صنم مزين قال اقديم هو ام محدث فقال محدث ولكن في هيئة قديم وقديم ولكن في صورة
محدث فاما القدم فلم يحق المماثلة للعلة الاولى والتوشيح العالم عن الجود الدائم واما
الحدث فيحق العيان الذي يشهد من ناحية المعلول المعلول الثاني قيل فما الدنيا قال
لعب ولهو وغفلة وسهو وهي في غيب ظاهر عيان ومصحوب حسن ومفارق لحقيقة عقل
قيل ثم ماذا قال شاهد كذوب وزخرف خلوب قيل ثم ماذا قال موجود ولكنه معدوم وحقيقة
ولكنه باطل ويقظة ولكنها حلم وكون ولكنه في طي اضمحلال واضمحلال ولكنه في طي كون
ومتصرم ليشير الى الدوام وغاش في جلباب نصيح وعدو في ثياب صديق قيل فما الانسان
قال شخص بالطينة ذايب بالروح جوهر بالنفس اله بالعقل كل بالوحدة واحد في الكثرة فان
بالحس باق بالنفس ميت بالانتقال حي بالاستكمال ناقص بالحاجة تام بالطلب حقير في
النظر خطير في الخبر لب العالم فيه من كل شيء شيء وله بكل شيء تعلق صحيح بالنسب الى عن نقله
من العدم قوي النسب لمن يستفيد عن امر اخبار الانسان كثير واسراره عجيبة من عرفه
فقد عرف سلالة العالم ومصاصته وقد حوى جوهره شبها من كل ما يعرف ويرى فهو مثال
لكل غايب وبيان لكل شاهد هيوب عجيب الشان شريف البرهان غريب الخبر والعيان قيل
له فما الشريعة قال هيئة في اخر الذروة البشرية تصدر عن القوة الالهية وينشئها من النفس
لها من النفس فيها فواتح طبيعية واوايل حسية قيل له افما صدرت من العلو اشرف ام نشأت من السفل
فقال فمحتد القوة الصادرة من هناك اشرف وغاية الناهية من ها هنا اعرف قال وبما يوضح هذا
ان تلك ترسخ في الزمان بعد الزمان لانها في غايتها تقوى وتصح وتظهر وتثبت وتتمكن وتنبت و
سعادة الشريعة عملية وفيها افنان الحكمة وسعادة الفلسفة عملية وفيها حقايق العمل والعلم
الالهي والعمل نعت بشري وتلك استصلاح القلوب النافرة واستجماع النفوس لشاردة
الابية وهذه روح للنفوس المكروبة وجلاء للصدور الصدية وتروا نقاء الالفاظ لعلية
بالسير المحمودة المرضية وتلك تعطيك جملة مقنعة وهذه تعطيك مفصلة موثقة ومتى اراد
متبحر ان يعرف الطبيعة والنفس والعقل والاول واثارها واسرارها وعيونها وودايعها
وما في اعماقها قد القى اليه وقصر بالله عليه وثبطت عروقه وبحر فهو عمره لم يجد سبيلا
الى حرف منها الا برمز غير شاف وعلامة غير بالغة ودعوى غير مثبتة ومتى رام فيلسوف ان
يضع ناموسا الهيا محلا بالكلمات الصحيحة مؤيدا في العقول السليمة مجموعا فيه مصالح
البرية قدر على ذلك وقد تم هذا في قديم الدهر عند مس الحاجة اليه ثم درس على الايام رسم
اثره سائر ما يأتي عليه الزمان وكان جميع ما تقفناه ولقناه عن الشيوخ في مجالس التعليم
مع جماعة متعاونة فلذلك ما استوسق هذا القدر الذي ملكته هذه المقابسة وقلما

تيثوابيين وانا احمله بتمامه ان شاء الله تعالى قيل فما الموجود قال الذي ليس فوقه ما ينعت به ولا
دونه ما يحط اليه لانه لو كان فوقه غيره لكان ايضاً موجوداً ولو كان دونه لكان ايضاً موجوداً
فعلى هذا كما تراه للعين او ثبت للمختار وانتصب للنفس وتحقق بالعقل من غير فرض ولا
توهم ولا وضع فهو موجود اما بالقوة واما بالفعل قيل له فما الغنى قال صورة
العقل شهود بالحس لمتناهي مطلوب بكل غاية محفوظ بكل رعاية موثر بكل ايثار مختار بكل
اختيار غاية كل طالب ويقين كل شاك وسكون كل قلق وراحة كل متحير بسيط بالعقل
مركب بالحس مظنون بالظن موهوم بالوهم نظام كل موجود وقوام كل محدود وتمام كل
شهود ثم قال ومن عجائبه ان من حاول اظهار باطل لا استطيعه ولا يقدر عليه
ولا يتمكن منه بوجه ولا بسبب حتى يشوبه به او بشيء منه لا يقبل وهو صرف ولا ينقاد
وهو بحت هذا يدل على ان هذا العالم الذي هو في هيئة باطل لكونه وفساده ومفتقر
الى ذلك العالم الذي هو في حقيقته حق لصحته وتمامه واستقامته والتيامه ولانه لا طريق
للكون والفساد اليه هذا اذا كان المبطل قاصداً الباطل باختياره وحوله وقد يكون
الانسان على غير هذا الراي بان يقصد الحق المحض والصواب المجرد فلا يبلغ ايضا غاية مراده
الا بشيء يخلص اليه من غير ان يستصحبها ويزيده او يرومه وهذا لان الناظر في الحق الطالب
للحق ممزوج مركب ومشوب مخلط لا يكمل له شيء من حظيرة العقل الانسي يلتبس به من ناحية
الحس وهو في الاصل متهئ لقبول ذلك لان معجون طينته ومركب ضمايره واول سوسه
هكذا وقع وعليه استمر ولهذا يعينه بالتكثر عليه اسهل من التوحد والتوحد عليه
اعسر من التكثر ومن له بالبراة من هذه الحال وتقديس نفسه من هذا الدنس وهو ذو
انفس ثلاث ناطقة هو بها اقل بهيمية هو بها اكثر وسبعية هو بها اظهر وهذا الاعتبار يقتضي
ان يكون بالاكثر اكثر وبالاقل اقل وانما اتفق بالعرض ان يكون هذا الانسان واحداً في الغاية
طلبت له صورة الوحدة من الثلاثة وهذه الصورة تلتيم من الثلاثة واستحال ان يكون
مركبا بالنفس الواحدة اعني الناطقة لانها لا تقبل التركيب ولهذا تجد الاجرام العلوية بواطن
لانها عادمة المزاج والتركيب والشوق فلما كان الانسان متقوما من جزء ناطق وجزء
حي وجزء مايت وكان الناطق يفهم ويرتب ويهذب وبالحي يحس ويتحرك ويسكن وبالمايت
ينتهي ويفسد ويبطل كان جميع ما يحيط به عقلاً او يدركه حساً او يفرضه مدخولا
ناقصا متخفيا متلوما حتى اذا قوي الجزء الناطق الالهي واقتنا خصايصه وملك ما
هو اللايق به من العلم الحق والعمل الحق حينئذ اهمل الجزءين اعني ما هو متحرك حساس
وما هو ميت باطل وان شئت ما هو بهيمي وبه يسعى خلص الى فقه العلي ومكانه
البهي خلوصاً بريئا من كل ما عاق التركيب والتقليب والاستحالة والاستبادة والعفاء
والدثور وبلغ معانيه الذي كان معرضاً للخلق به والمصير اليه فلحق المعتقد والخير المؤثر
والصواب المتحلى والمجد المعتاد والزهد المقدم ورفض ساير ما عاند الفضائل وحجب
عنها وحال دونها فلا يزال هناك باقيا بقاءً لا اخر له وكيف يكون له اخر وانقطاع وحيلوله
وارتجاع وقد استفاد ذلك البقاء من الحق الاول والموجود الذي ليس قبله موجود

بالتشبه والاقتداء والمماثلة والاهتداء والتعمم والارتداء هذا ما لا يجوز ان يظن بجنس ويعقل
وانت توافي الشاهد ملكا حكيما صار بما شهما سايسا جلدا يرغب كل احد من خدمه وخاصته
ورعيته واوليائه في خدمته وحضور مجلسه في الفسر به وباخلاقه وهمهم طلبا للكرامة
منه والحظوة عنده وعلما بان القرب منه والدنو اليه مصرفة للافات عنه مجلبه
للعزلة مدعاة للاماني عنده وان الاطماع تنقطع عنه والجاه والقدرة يعظمان به
والعزة والمجد يسمان عليه وترى كل واحد من الخاصه والعامه يبذل وسعه ويفيد جهده
ويبلوا ما يمكنه بميته لينال تلك الحال وتلك المنزلة وتلك السعادة وتلك الخطوة فاذا
كان هذا في المثال المحسوس على ما يجده من غير شك ولا مرية فما قولك في الحقيقة العالية
والغاية الالهية والنهاية الاصلية يا هذا ان الامر لعظيم وان الشان لخطير وان المطلوب
لعزيز وما هو الا ان تصمد نحو السعادة بتطهير الاخلاق وتجريد العادة واصلاح
السيرة وتقديم الجد في الراي وقصد العزم بالحزم وتوخي العمل بما له مرجوع
في العاجل بالثقة وفي الاجل بالحقيقة مع الاشفاق على تضييع الزمان وتصرم العمر
وتقطع انفاس الحياة حتى تلقط المشترى والزهرة بيدك وتخرق كل حجاب وهما
بجوهرك وتصير فوقهما بحقيقتك وتنال حينئذ ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا سنح على بال احد من الانس فليكن حاطكم مثلكم الى الحكمة
ميل من يتخذها مطية لدرك الامل فانه سيجدها اكثر انفعا
في اخر العمل لا ميل من عادلها وليسم بذكرها ويعرضها
في اسواق الجهال وينادي عليها بين السفهاء والانذال
ويرضى بعرض الدنيا خلفا وبدلا عنها فكل ما كان هذا دابه
فقد انغمس في بحر الشقا وسقط في مثوى البلا والفنا
لا يرتجى لدائه برء ولا لعلته شفاء ولا لصرعته
انتعاش ولا لاسره فكاك اخذ الله بنواصينا
ونواصيكم الى ما اعده للاخيار الابرار وتحولوا
عن هذه الدار بحسن الاختيار لا
بقبح الاضطرار والسلام تمت
المقابسات ولواهب العقل الحمد
سرمدا وصلوته وسلامه وتحياته
واكرامه على سيدنا محمد
النبي المبعوث الى الخلق
كافة وآله الا اله
الا الله ولا
معبود
سواه
م

بسم الله الرحمن الرحيم

الوصايا الذهبية لفيثاغورس

قال فيثاغورس الفيلسوف أوّل ما اوصيك به تبجيل الذين لا يحلّ بهم الموت من الله تعالى وليائه واكرامهم بما يوجبه الشريعة وتوقّي اليمين واوصيك بامثال ذلك للالاهيين الناظرين في مذاهبهم واوصيك بتحصيل عمار الارض بفعل ما يوجبه الشريعة في اكرامهم كاكرام سلفك واقربائك وتوقّي اليمين وان تتخذ من جميع الناس افضلهم صديقا يكون صديقا في الفضيلة وان يلاين لجانبك في الكلام والفعال ما اداه ذلك الى المنفعة ولا تستفيد صديقا لهفوة ولا تهجر صديقا لهفوة منه ما امكنك على الامكان وقريب من الضرورة وتعود ضبط نفسك في امر بطنك وفرجك ونومك وغضبك واحذر ان تركب قبيحا من الامور بوجه وفي وقت من الاوقات على خلوه ولا مع غيرك وليكن استحياؤك من نفسك اكثر من استحيائك من كل احد والزم نفسك الانصاف في كلامك وفعالك ولا تحملها على ارتكاب امر من الامور بلا تمييز واعلم ان الموت حالّ بجميع الناس لا محالة وليكن قصدك في المال اكتسابه في حال واتلافه في اخرى وربما ابتليت به من الاشياء المؤذية بالاسباب السماوية فاصبر على ما ينوبك منها من غير ان تضجر بك ان تروم مداومتها وانها بقدر طاقتك واعلم ان ما ينوب من الاخيار من الناس من هذه الاشياء ليس بكثير واذا سمعت من انسان كلاما جيدا او رديا فلا تستخفّ منه ولا تحمل نفسك على الامتناع من استماعه واذا سمعت كذبا فهوّن على نفسك الصبر عليه ولا يفعل ما ليس بجميل وروّ قبل الفعل كي لا تعاب في فعلك واحذر ان يفعل او يقول ما يستجهل منك واقتصر منهما على ما لا يعود ضرره عليك ولا تفعلن فعلا وانت جاهل به واطلب الواجب منه ولا تهمل امر بدنك في حفظ صحته وليكن غاية عنايتك بالقصد في الطعام والشراب الرياضة التي لا يفترك بحال وعود نفسك ان يكون تدبيرك نقيا غير مضطرب وكن دنيا واحذر ان تفعل ما يجلب الحسد عليك ولا تكونن متلافا بمنزلة من لا خبرة له بمقدار ما في يديه ولا تكونن ايضا شحيحا فتخرج عن الحرية فالافضل في الامور كلها القصد فيها واستعمال الفكر قبل العمل ولا تدع النوم عينيك قبل ان تتصفح كل واحد من الافعال التي فعلتها في نهارك اجمع وابتد في ذلك من اولها واجعل تفقدك الى آخرها لتقف على الموضع الذي زللت فيه عما ينبغي وعلى ما لم تفعله مما كان يجب ان تفعله وعلى ما فعلته مما كان واجبا ومتى كنت اتيت مكروها فليؤذ عزك

ومتى كنت قد اتيت جميلاً فليبهجنك وفى هذه الاشياء فليكن اجتهادك ودؤوبك واليها
فاصرف محبتك فانها ترقيك الى الفضيلة الالهية اى والذى وهب لانفسنا الينبوع
ذا الاربع من الطبيعة ومتى التمست فعلاً من الافعال فابك بالابتهال الى ربك
فى النجح فيه فانك اذا لزمت هذه الوصايا وقفت على كنه ما يجرى عليه الامر فى الله
وفى اوليائه معشر الناس ما فيه زايل فى الواحد بعد الواحد وما منه ثابت و
علمت ما قدر من مجرى الطبيعة فى كل شئ على مثال واحد كما لا يرجوا ما لا يرجوا فلا
يذهب عليك امر من الامور وعلمت ان الناس بشفاء جدهم الذى اختاروه
وارائهم فى حد من يرى له اذا كانوا مشرفين على الخيرات وهم يقدرون عليها ولا ينقذون
انفسهم مما بلوا به فان الشاذ من الناس تتهيأ له استنقاذ نفسه من الشرور وان
ما بلوا به من ذلك هو الذى يقدح فى اذهانهم فهم ينقلبون بمنزلة ما يدحرج من
الاوقات المختلفة الى احوال مختلفة فيقعون فى شرور لا احصاء لها وذلك ان المرء الغر
تربه عينه يبكى وهولا يشعر وينبغى ان لا تساعد من يقرب منه باظهار الاستجداء بل انها
الاب الواهب للحياة حقا اقول انك لقادر على ان تدفع عنهم بلايا كثيرة وا ظهرت
لهم السكينة التى جعلتها فيهم لكنك انت ايها الانسان ينبغى ان تتجمع فانه اذا كان فى الانسان
جنس المهية فالطبيعة الالهية تقوده الى الوقوف على كل واحد من الاشياء التى
ان نلت منها حظا من المحظوظ لزمت ما اشير به عليك وشفيت نفسك
من هذه الصفات ونجوت سالما لكن امتنع من الاطعمة التى ذكرناها
واجعل امتحانك لها تزكية النعمة اخاسرها واختر لواحد واحد
مما تقف عليه من ذلك واجعل القسيم المشرف على الله بك
التمييز الصحيح فانك عند ذلك اذا فارقت هذا البدن
حتى تصير محلاً فى الجو تكون حينئذ سايحا غير عائد
الى الانسية ولا قابل للموت تمت الوصايا
الذهبية لفيثاغورس والحمد والحمد لله
دائما وفرغ هذا الكتاب المستطاب
على يد اقل العباد ميرزا حسين
الشيرازى فى خامس شهر رمضان
المبارك سنه ١٣٠٦ والصلاة
والسلام على سيد نا و
نبينا محمد واله الطيبين
الطاهرين و
صحبه
اجمعين

فهرست المقابسات

فهرست المقابسات

رسالة تسمى الوصايا الذهبية

لفيثاغورس الفيلسوف

